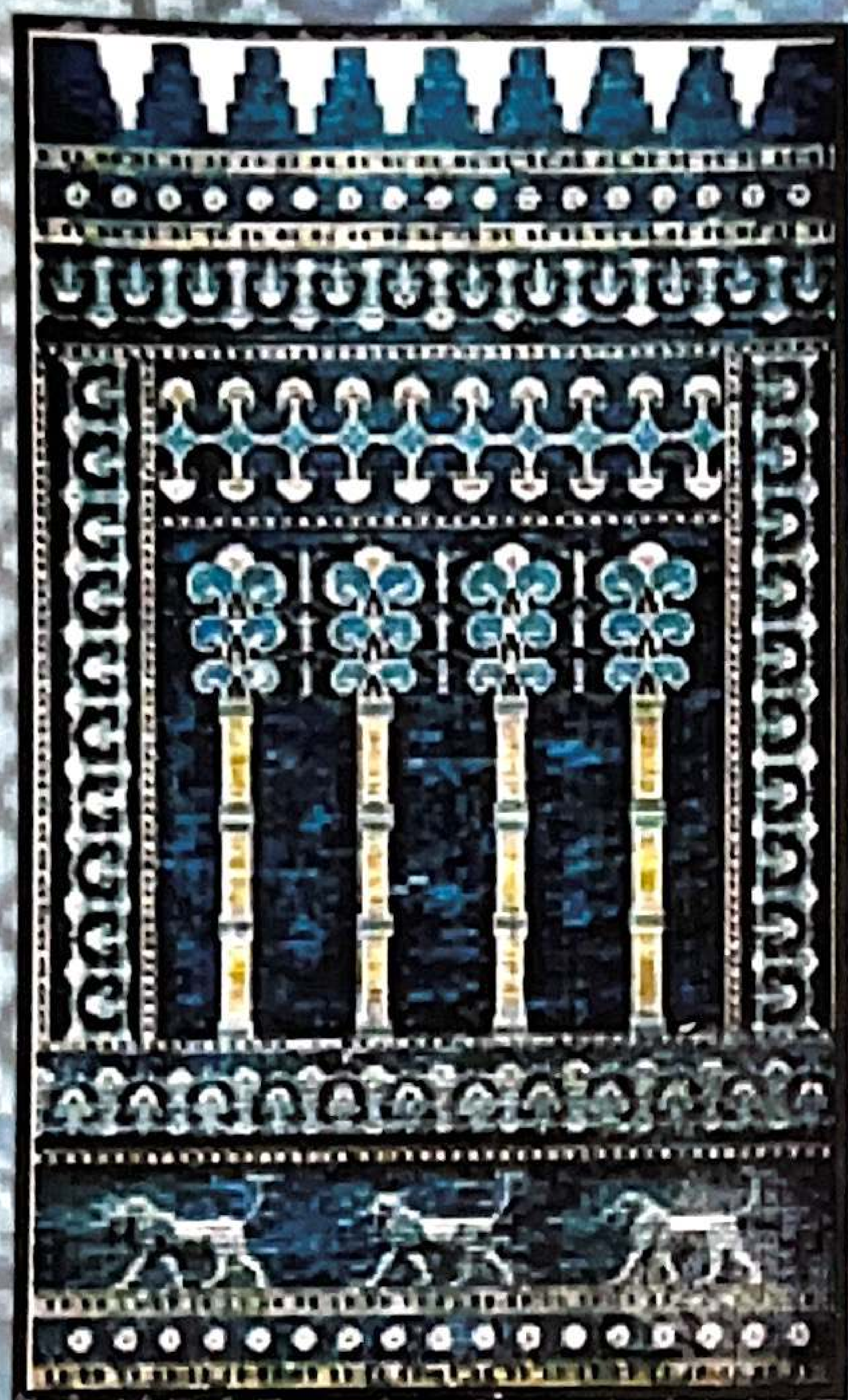


٤
نيسان - ٢٠٠٨

سلسل... مرية يصدرها بيت الحكمة العراقي

ماري وكارانا

(مدينتان بابليتان قديمتان)



تأليف
ستيفاني دالي

ترجمة
كاظم سعد الدين

بغداد ٢٠٠٨



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها بيت الحكمة العراقي

(٤)



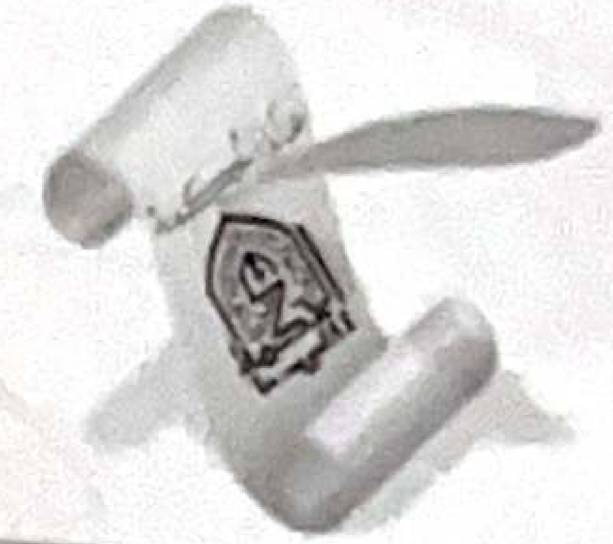
ماري وكارانا

((مدينتان بابليتان قديمتان))

تأليف
ستيفاني دالي

ترجمة
كاظم سعد الدين

نيسان
٢٠٠٨

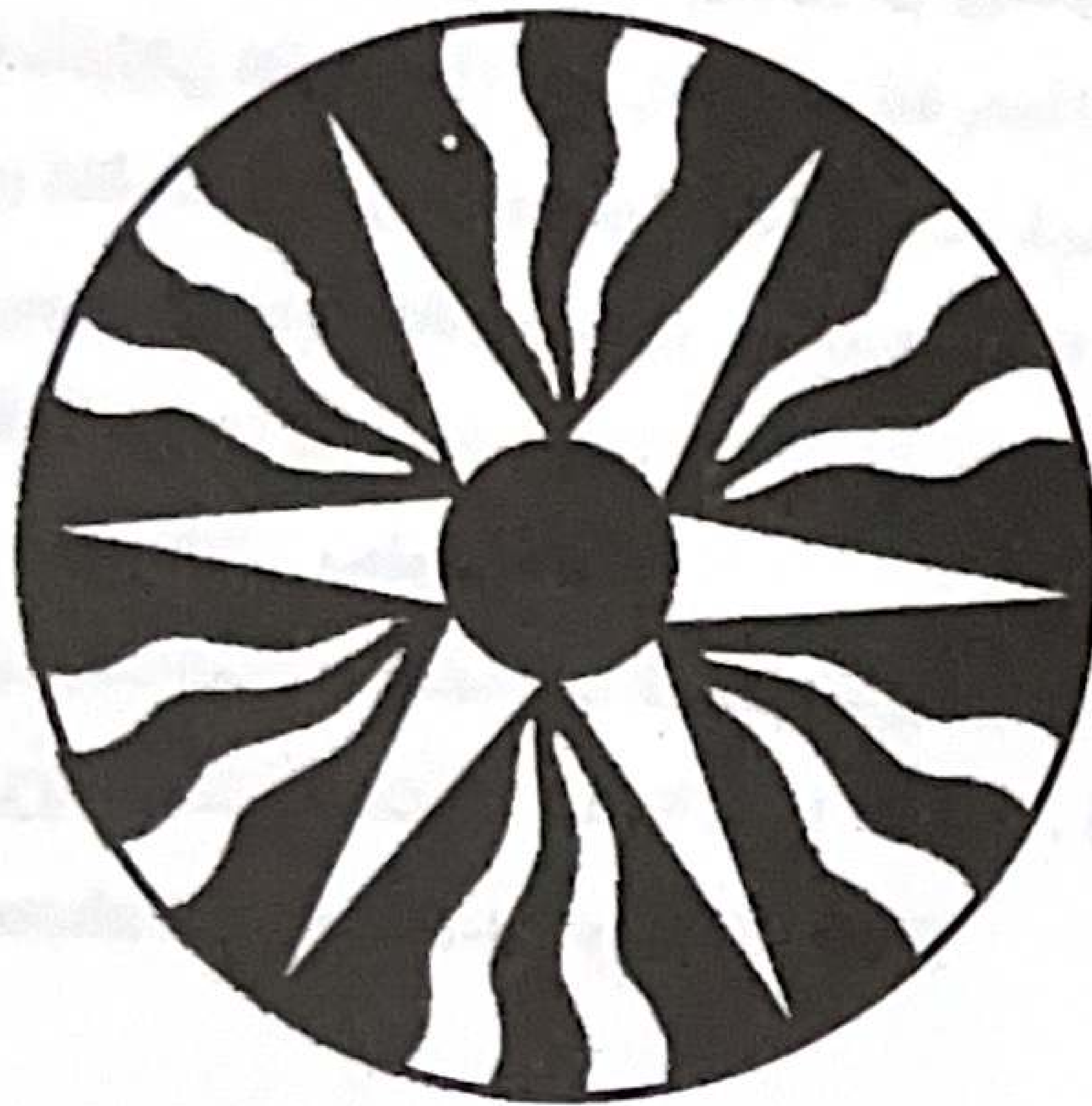


تنضيد واخراج وتنفيذ
بيت الحكمة

العنوان
الاصلي
للكتاب

MARI AND KARANA
Two Old Babylonion Cities

Stepkanie Dalley



عنوان الكتاب: ماري وكارانا (مدينتان بابليتان قديمتان)

تأليف: ستيفاني دالي

ترجمة: كاظم سعد الدين

الناشر:بيت الحكمة/ بغداد

الطبعة الاولى/٢٠٠٨ م

بيت الحكمة- العراق- بغداد- باب المعظم- ص.ب.(٥٣٦٤٠)

مكتب بريد الأقصى هاتف-٤١٤١٢٠١/٤١٤٠٠١٥، فاكس ٤١٦٤٩٥٠

E-Mail: Baytul-hikma@Yahoo.com

سلسلة عالم الحكمة

منذ أن تم رفع قواعد بيت الحكمة سنة ٨٠٠م وهو يقوم بعملية رفد الحضارة الإنسانية والحركة العلمية في العالم بما ينتجه الفكر الإنساني في مختلف فروع المعرفة والحكمة.

ولا يزال يمارس دوره الريادي في الإسهام الفاعل في ذلك وفي إعادة بناء العراق ومقومات التحول السياسي والإقتصادي والإجتماعي وإحياء التراث العربي والإسلامي بما يدعم عملية التعايش السلمي بين الشعوب والإعتراف بالآخر والحوار الحضاري بين الاديان والشعوب والتلاقح بين الحضارات.

ومن اجل رفد المسيرة الإنسانية إلى غدٍ افضل ودعم الحركة العلمية، وإثارة روح الإبداع في الشخصية الإنسانية فإن بيت الحكمة إرتأت أن تؤسس لسلسلة ثقافية بإسم "عالم الحكمة" تنفتح على كل الافكار والإتجاهات وتدخل كل فروع الحكمة والمعرفة وتتعامل مع الآخر أياً كان الآخر بروحٍ علمية موضوعية هادفة إلى البحث عن الحقيقة ونشرها بأمانة وآملاً في المساهمة في نهضة الأمة وبناء الإنسانية على اسس علمية متميزة ومن الله تعالى نستمد العون والتوفيق.

أ.د. شمران العجلي

رئيس مجلس أمناء بيت الحكمة

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم
الكاتبة والكتاب

د. ستيفاني دالي:

نالت ستيفاني دالي الزمالة السنوية من المدرسة البريطانية للآثار في العراق سنة ١٩٦٧. وحصلت على درجة الماجستير من جامعة كيمبرج والدكتوراه من مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في لندن.

شاركت في مختلف التنقيبات في بريطانيا. واشتغلت في التنقيبات في نمرود وتل الرماح في العراق.

قامت بتدريس اللغة الأكدية في جامعة أدنبره في ١٩٧٧- ١٩٧٨، فضلاً عن القاء محاضرات في تاريخ وحضارة وادي الرافدين وتقوم بالتدريس في جامعة اوكسفورد.

كتابها (ماري وكارانا: مدينتان بابليتان قديمتان) المنشور اول مرة في ١٩٨٤ في لندن ونيويورك، دراسة مفصلة عن جوانب من الحياة في بلاد الرافدين: في مدينة ماري، الآن في الجانب السوري، وكارانا، الآن في الجانب العراقي. ويتمثل ذلك في تصوير حياة بعض اعضاء العوائل الملكية والرجال والنساء الذين كانوا في خدمتهم ونوع الاعمال التي كانوا يقومون بها. وتصور مآكل الناس ومشاربهم. ووسائط النقل التي كانوا يستعملونها، ومعتقداتهم وعباداتهم وممارسة تلك العبادات والايمان والقرابين وتقاليد دفن الموتى. وتبين ذلك دور النساء الملكيات ونساء عامة الشعب واعمالهن ومراكزهن في المجتمع والدولة. وكذلك الحرب والدبلوماسية والمعاهدات التي كانوا يعقدونها والخدمة العسكرية وتعداد السكان، وقصورهم وفنونهم.

انها صورة شاملة لحضارة راقية ذات تجارة متطورة وبضائع تدل على ذوق رفيع ورفاهية ومنجزات عظيمة في الفنون والصناعات وتنافس مثيلاتهافي مصر وكريت في ايامهم وكثيراً ما تتفوق عليهم في كثير من ابداعاتهم بدلائل مستخلصة من الآف الرقم الطينية والتماثيل والرسوم وبقايا العمارة والادوات التي عثر عليها المنقبون خلال نصف قرن من الزمان، افادت منها المؤلفة خير افادة. انه كتاب يضيف الى مفاخر سكان بلاد الرافدين في جوانب لم يسبق لاحد من المؤلفين ان تناولها بمثل هذا التفصيل.

واود ان اقدم جزيل الشكر الى بيت الحكمة ورئيس مجلس امناء بيت الحكمة أ.د. شمران العجلي وقسم دراسات الترجمة وقسم التنضيد ولا سيما الآنسة سارة سعد هامل والسيد عمر عادل عباس في طبع هذا الكتاب.

كاظم سعد الدين

بغداد

شكر وتقدير

ازجي شكري إلى كل من ساعدني بطرق كثيرة جداً، ولا سيما بتشجيعي ومناقشتي، واخص بالذكر البروفيسور جان بوتيرو الذي اقترح ان اكتب كتاباً عاماً، والبروفيسور ديفد اوتيس الذي ابدى ايماناً عظيماً حين عهد برقمه الطينية الى دراسة نقوش كتابية قليلة التجربة في سنة ١٩٦٧، والى الدكتورة جون وير من ادنبره التي قرأت مسودات متعددة بصبر جميل ولطف وذكاء، وساعدتني في تطوير النص تطوراً عظيماً، والى الدكتور روجر موري من متحف الاشموليان، اوكسفورد الذي قرأ مسودة اولى وامضى وقتاً ثميناً في كثير من المناقشات المحفزة، والى روب برنك من انسترون المحدودة والى روز اندا هاويل- كولديكوت لثلاثة رسوم ممتازة، والى جميع اولئك الذين تكرموا بتزويدي بصور فوتوغرافية، وفي النهاية الى مجموعة لونكمن للناشرين لحماستهم وعملهم المثمر.

يستند هذا الكتاب كلياً تقريباً الى نتائج البحوث المجدة التي اضطلع بها عديد من العلماء من قوميات مختلفة في اكثر من نصف قرن تقريباً.

ومن المستحيل ايفاء حق علماء المسماريات في صبرهم في التدقيق الشديد والمثابرة المضنية التي عالجوا فيها الرقم الطينية، الذين كانت جهودهم اساس هذه الاطروحة. وسوف يكون العمل في المستقبل حرياً دونما ريب باجراء التعديل في هذا التقرير، لان آلافاً من الرقم الطينية ما تزال تنتظر الدراسة والتفسير، وسوف تضيف مادة جديدة وتبصراً يتخطيان مدى فهمنا في الوقت الحاضر. وتتحمل المؤلفة كامل المسؤولية عن الاخطاء والغفلة عن ادراك ان كتاباً دقيقاً وكاملاً في هذا الموضوع لا يمكن ان يكتب ابداً.

المؤلفة

تمهيد

واجه دانيال في اوائل القرن السادس قبل الميلاد نبـوخذ نصر الثاني ملك بابل ورأى بالثازار الكتابة على السور في ٥٣٩ قبل الميلاد. وانحدر سنحاريب والاشوريون مثل ذئب على الحظيرة قبل قرن ونصف القرن.

هذه هي الاحداث التي تبرز في مقدمة معرفتنا عادة من العهد القـديم حين يرد ذكر بابل وآشور. وإذا كنا قد سمعنا اسم حمورابي ملك بابل الذي دوّن مجموعة قوانين، فإننا نميل الى ربطه بتلك الاسماء المألوفة الاخرى، وقد تصيبنا الدهشة من ان المدة بين نبوخذ نصر وحمورابي طويلة كالمدة التي تفصلنا عن الملك الفريد العظيم (ت ٨٩٩م) ولم يعش صاحـب الشريعة في فجر حضارة بلاد الرافدين، بـل في منتصف المدة تقريبـاً. وكانت حكايات كلكامش البطولية بالنسبة الى حمورابي قديمة جداً. وكانت المدة العظيمة التي استغرقتها حضارة وادي الرافدين ٣٠٠٠ سـنة وهي تساوي تقريباً المدة التي حكم فيها الفراعنة مصر.

ان بلاد الرافدين وممالكها في سومر وبابل وآشور قلما ترتبط بمصر في عقول معظم الناس الى وقت متأخر في تواريخهم. وحتى وقت حديث جداً بدا ان الدليل الاثاري يبين ان هذين المركزين الحضاريين القـديمين كانا منفصلين، جزيرتين في بحر من البربرية. ولم يعد بالامكان تأييد مثل هذا الرأي. وقد كُشف القصر المنوئي في كنوسـوس في كريت في سـنة ١٩٠٠، والقصر العظيم في ماري في الفرات الاوسط في سـنة ١٩٣٤، وثروات ايبلا قرب حـلب فس سـنة ١٩٧٤. وان مجموعة متنوعة من الادلة الجديدة تربط الآن تلك المكتشفات المذهلة في المكان والزمان وتبين ان الشرق الادنى القديم مع مصر والاناضول كان مدينياً، رفيع الحضارة ومتعلماً في اغلب الاحيان منذ ٢٣٠٠ ق.م. في الاقل.

ان الصورة الشاملة مثيرة ومع ذلك فإن القـارئ الكثير الاسـتعلام

يصاب بالاحباط من اكتشاف المزيد لان مقياس الزمن يصيبه بالدوار و الاسماء الصريحة لعدد لا يحصى من الملوك غير مألوفة وتثبط الهمة ومن النادر حقاً ان يكون المرء قادراً على الاطلاع مباشرة على اي م الرجال والنساء البارزين في ذلك الزمان. وفي اغلب الاحيان تواج مجموعة جافة من الاسماء والاعمال والاشياء تواجه القارئ المثابر، في تاريخ عديم الحياة. ولكن بشيء عظيم من الحظ السعيد اكتشف في التنقيبات في ماري وكارانا ارشيفات (محفوظات) عظيمة من الرقم الطينية لا تحتوي على سجلات القصر يوماً بيوم فقط بل على رسائل عوائل ملكية ومواليهم قبيل سنوات من قوة حمورابي المتنامية التي اطاحت بهم نحو عام ١٨١٥ ق.م.[1] الحقبة هي القرن التاسع عشر قبل الميلاد حين ازدهرت حضارة ويسكس في بريطانيا وحين خطط القصر المينوئي في كنوسوس في كريت في عظمة ظاهرة. ولم يكن في اي مكان في حضارات العالم القديمة قد ظهر مثل هذه المعلومات الواسعة المدونة في حقبة مبكرة جداً.

وقد بدت مراسلات القصر طليقة وسهلة الفهم في ايامنا هذه. وثمةاسباب عدة لذلك، إذ وضعت المترجمة الكلمات في مصطلح حديث قدر الامكان، ولم تختر لهذا الكتاب فقرات من نص لا يمكن فهمه. وثمة عامل آخر وهو ان هذه الحقبة من الحقب النادرة حين سجلت الكتابة المسمارية اللغة المحكية الحية. ولعل أهم شيء ان الثقافة التي كشفت في النصوص هي التيار الرئيس للتراث الذي ورثناه من خلال الكتاب المقدس ومن خلال الحضارة الكلاسيكية.

ومع ذلك فإن ما هو مألوف ظاهرياً يجب ألا يضلل القارئ بشأن مدى جهلنا الحاضر. فما يزال كثير من الكلمات والعبارات والتقاليد مبهماً.

ولم يثر الكتاب بعض الاسئلة المهمة لأن علم الآثار والالواح الطينية يقدمان دليلاً على الاجابة عنها. والنصوص ملزمة ان تقدم صورة مرقعة، متميزة، لان تلك النصوص لم يكن القصد منها ان تعطينا رأياً موضوعياً

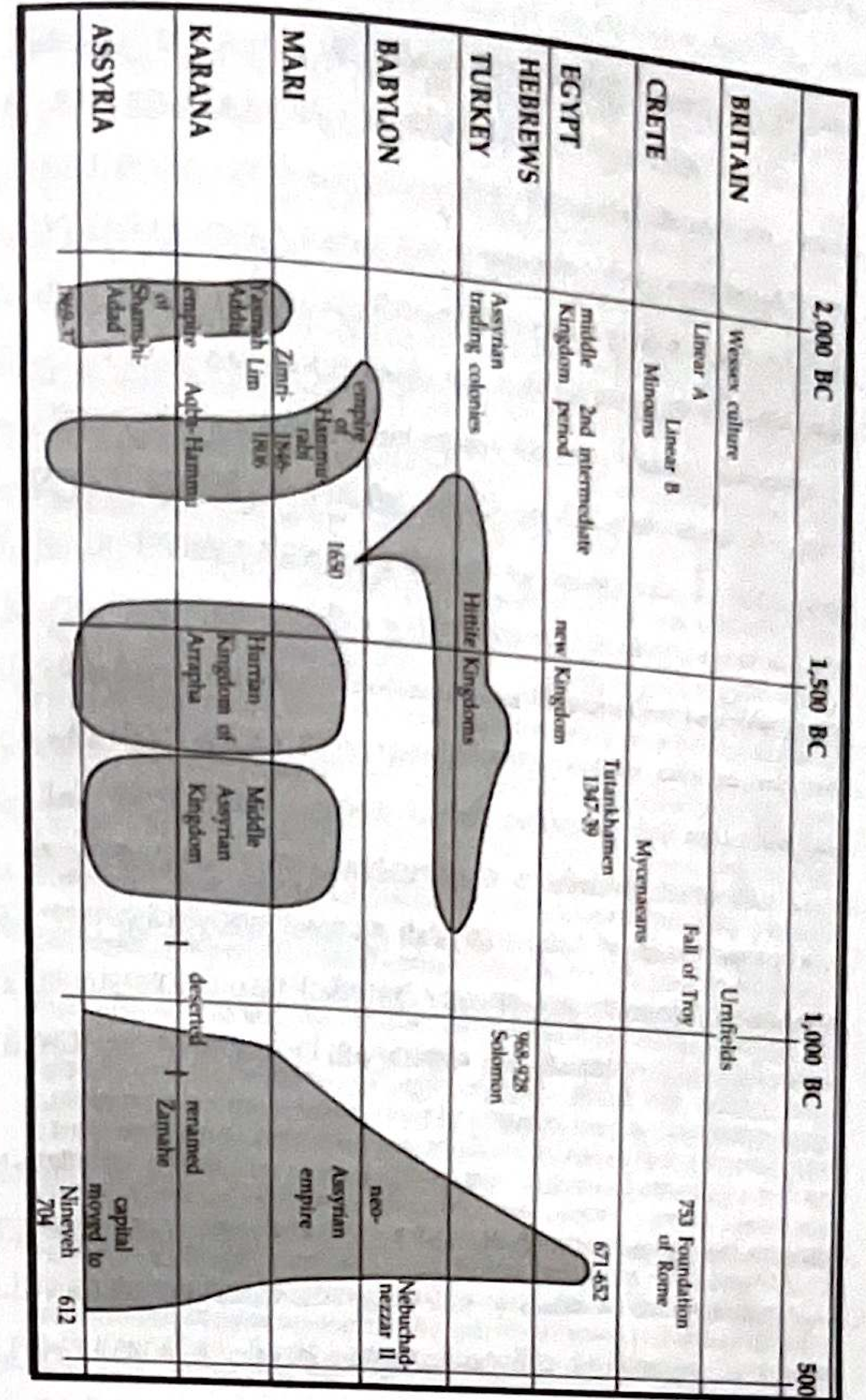
عن بيئتها. ورد كثير من اسماء المدن الكبيرة في الفصول القادمة غير انك لن تجد بعضها على الخارطة لانها لم تحدد اماكنها حتى الآن بشيء من الدقة، على الرغم من اننا نمتلك رسائل كتبها ملوكها ونعرف كثيراً جداً عن هذه الحقبة من تاريخها. وحتى العهد الذي اعطي لحمورابي هو عهد تقريبي وقد يكون الخطأ فيه يساوي قرناً واحداً.

تقع حقبتنا هذه ضمن العصر البرونزي الوسيط حين كان معظم الادوات والاسلحة يصنع من نحاس ممزوج بمعادن اخرى، ولم يكن عمل الحديد قد تطور حينئذ. وقد استمر العصر البرونزي كله من ٣٢٠٠ الى ١٢٠٠ ق.م. وقد ازدهرت في معظم سنواته ماري وكارانا. انهما مدينتان من العصر البرونزي اصبحتا مهجورتين في العصر الحديدي.

ولم تكن ماري وكارانا راكدتين في تاريخ البشرية. فهما تسجلان تبادل الآراء بين الثقافتين الشرقية والغربية في نطاق الشرق الادنى، بين بلاد الرافدين والعهد القديم، بابل واورشليم. وهما تربطان ايضاً سومر وبلاد بابل بالحيثيين والفينيقيين الذين تدين لهم الثقافة الاغريقية بدين جدير بالاعتبار. وقد اثرت تقاليد زمري ليم ملك ماري، وعقبة- حمّو، ملك كارانا في الطرائق التي نفكر ونتصرف على وفقها في اوروبا الغربية حتى في القرن العشرين. وان سجلات القصور مذهلة قراءتها لانها تتناغم مع الثقافة الاوربية في كثير جداً من الطرائق، على الرغم من مرور قرابة اربعة الآف عام بينها وبيننا (نحن الاوربيين). وان العمليات الانتقائية في التطور قد صاغت نتاجاً صرنا نتعرف فيه على انفسنا.

ملاحظة:

(١): استعمل في هذا الكتاب التاريخ الزمني الطويل للاحداث المتسلسلة، متبعين دراسة ب.ج. هوبر وجماعته "تاريخ فلكي لبابل الاولى واور الثالثة" في اوراق عارضة عن الشرق الادنى، ١/ ٤ ماليبو، حزيران ١٩٨٢.



صورة (١): مخطط للانتشار التاريخي والجغرافي للثقافات

دليل الممالك والعوائل الملكية بين ١٨٥٠ و ١٨٠٠ ق.م.

بلاد آشور: العاصمة آشور:

شمشي- ادد (١٨٦٩- ١٨٣٧ ق.م.) ابنه الأكبر، اشـمي- داكان، كان ولي العهد نائب الملك في جنوبي وشرقي بلاد آشور. ابـنه الاصغر كان نائب الملك في ماري والاقسام الشمالية اشـمي- داكان الاول ورث عرش ابيه، غير انه اضاع كثيراً من دولته.

ماري: يحدون ليم، ابن يكبد- ليم.

سومو- يامام، طرد بعد حكم وجيز، لعل الآشوريين فعلوا ذلك.

يسمح- عدو، ابن شمشي- ادد الاول، حكم بصفة نائب الملك.

ايشار- ليم، حـكم الخابـور الاعلى عن يسـمح- عدو ثم اغتصب عرشه زمري- ليم، طرد الآشوريين، واسـتعاد عرش والده، يحـدون- ليم. دحره حمورابي البابلي، شبتو زوجته، ام توأم وكثير من البنات.

كارانا (تل الرماح):

ما يزال تعيين الموقع غير حاسم.

سامو- يحدو، لعله تابع شمشي- ادد.

اشكور- عدو ابنه.

ايلتاني ابنته.

هاتنو- رابي، اغتصب العرش حين طرد زمري- ليم الآشـوريين من بابل.

اشكور – عدو، ابن سامو – عدو، استعاد عرش والده من مغتصبه، جرده زوج اخته، عقبة حمو، من الملكية، فالتجأ الى ماري. بيني – شاكيم، ابنه.

عقبة – حمو، متنبئ محترف، طرد اشكور – عدو واصبح تابعاً لحمورابي البابلي. ايلتاني، زوجته، ابنه سامو – عدو.

بابل: حمورابي (١٨٤٨ – ١٨٠٦ ق.م.) اول حاكم تابع الى ريم – سين ملك لارسا، اسس في اخريات حياته امبراطورية ضمت ماري وكارانا.

رازامار: هي دويلة مدينة قرب كارانا.

شاروم – كاليما – كايما، يُعرف بشاريا بصورة غير رسمية، وهو حليف هاتنو – رابي. لعل عقبة حمو دحره بعد أن حاصره.

اشنونا: (تل اسمر شرقي نهر دجلة (عند زاوية معسكر الرشيد الشمالية الشرقية)).

ابيال – بي – ايل الثاني حاول في اثناء حكم زمري – ليم استعادة امبراطورية والده، دادوشا. غزا ماري وكارانا مرتين ولكنه رد على اعقابه.

دانوم – تاهاز، تمتع بحكم قصير الامد.

صيلي – سين غزا شمالي بلاد الرافدين وتورط بحصار رازاما، افل نجمه بظهور قوة بابل.

يمحد: اقوى مملكة في سوريا، مركزها في حلب.

يديم – ليم، والد زوجة زمري – ليم، أجار زمري – ليم المنفي في اثناء حكم شمشي – ادد.

كاشيرا، زوجته.

حمو – رابي ابنه الذي حمل في الوقت نفسه اسم ملك بابل نفسه.

كركميش: ابلا هاندا، شجع يسمح – عدو على تذوق الخمر.

كبار الموظفين في ماري:

بهدي – ليم مسؤول القصر عند غياب زمري ليم.

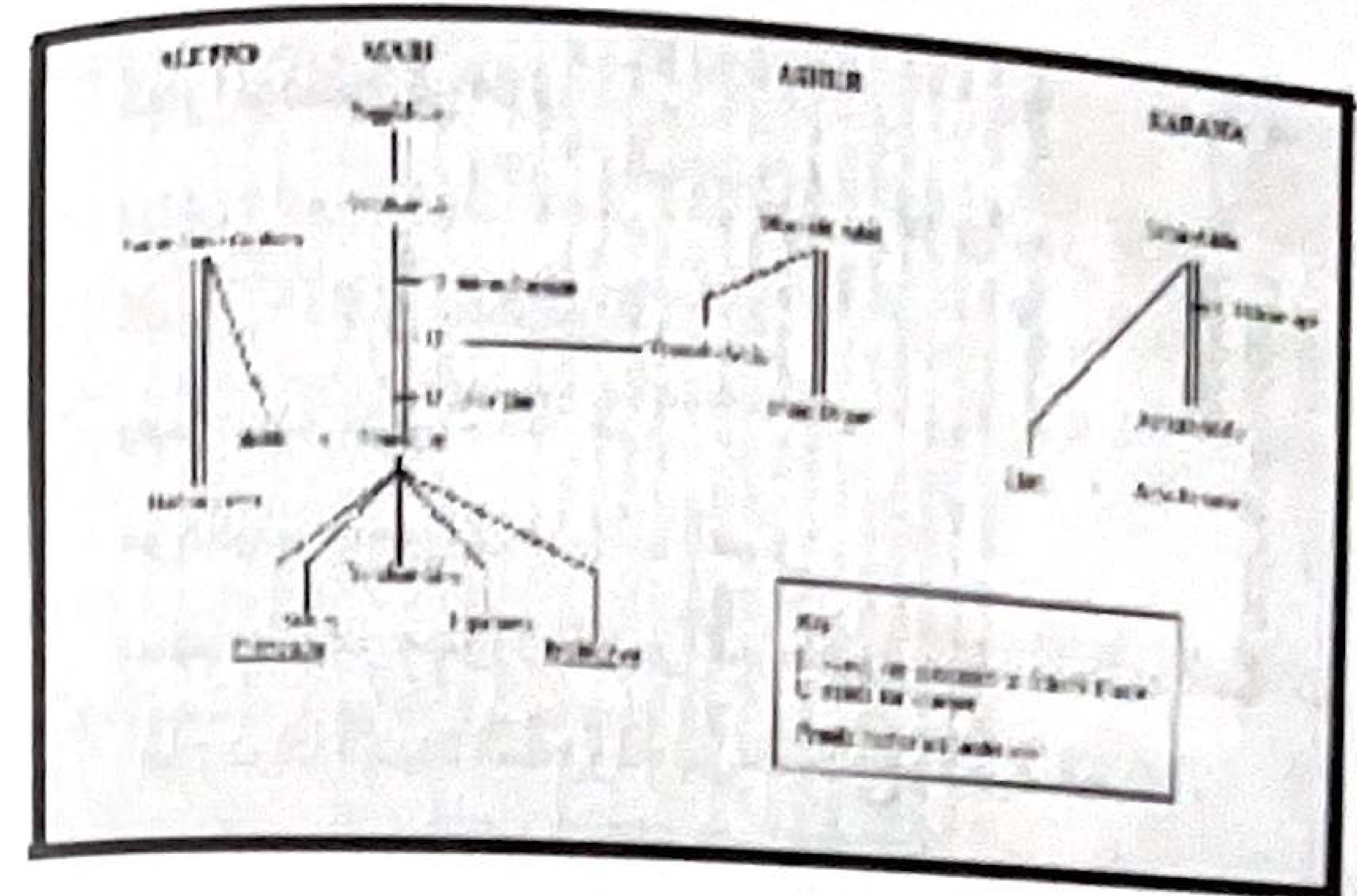
كيبري – داكان حاكم تيرقا.

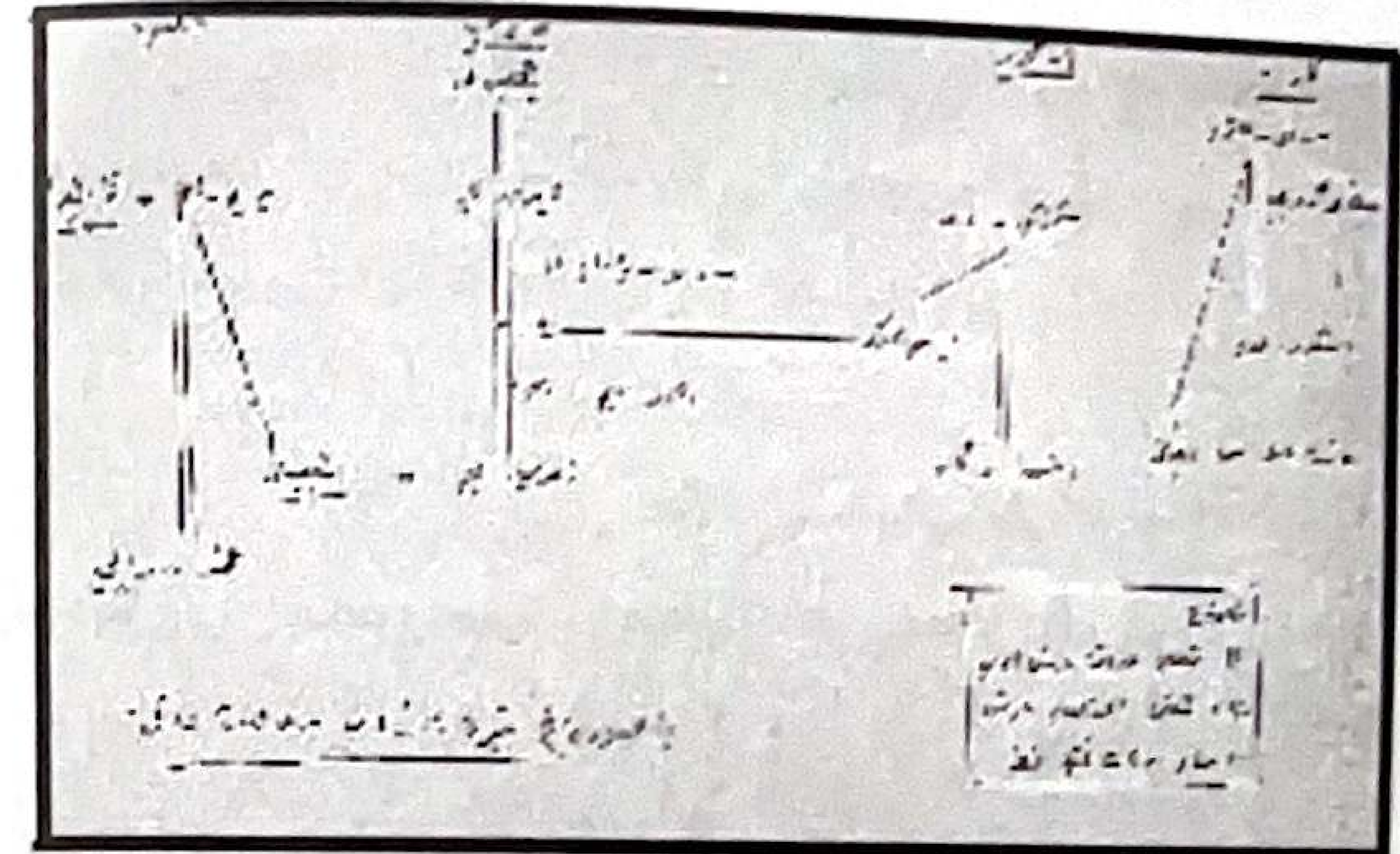
يقيم – عدو حاكم ساكَار اتوم.

موكانيشوم مسؤول مشاغل القصر.

يسيم – سومو مسؤول شؤون الموظفين والمستخدمين والسجلات.

أما – دوكَا السيدة المسؤولة عن المطابخ والمواد الغذائية.





صورة (٢): شجرة انساب سلالات حاكمة

الفصل الأول
اكتشاف ماري وكارانا

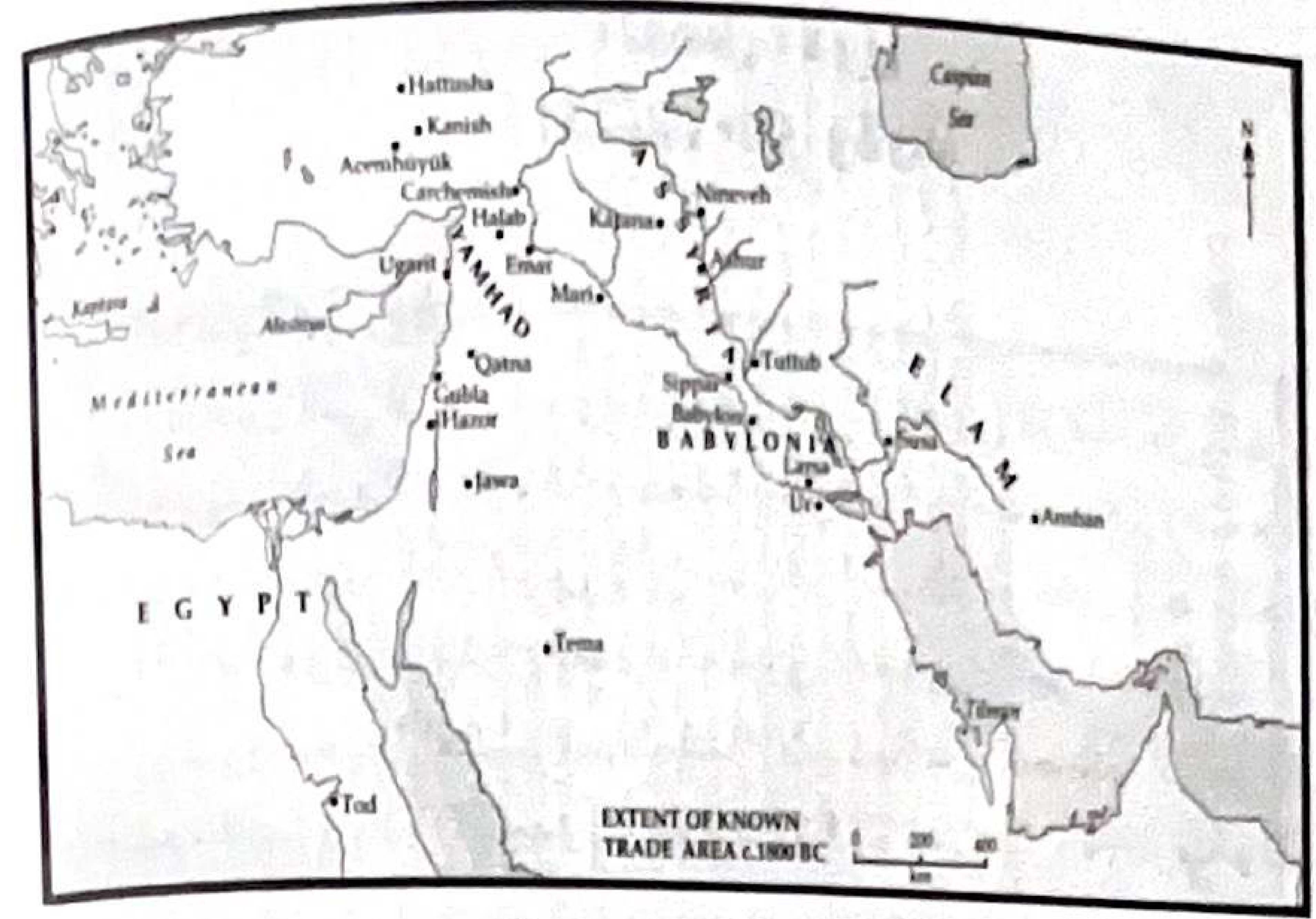
الخلفية التاريخية:

الارض التي تدعي ميسوبوتيميه (بلاد الرافدين) الواقعة بين النهرين العظيمين، دجلة والفرات، تنتج طعاماً وفيراً عند اروائها. وفي وقت مبكر من تاريخ البشرية تعلم الناس الذين سكنوا بلاد الرافدين كيف ينتجون كثيراً ليأكلوا، وكيف يبنون المدن بالطابوق المفخور وغير المفخور.

وحين ضمنوا احتياجاتهم المادية الاساسية من المصادر الزاخرة في وطنهم، فانهم وجدوا فائضاً من الوقت وتاقوا الى الثروة والزينة واللهو والتسلية. غير ان ارضهم كانت تخلو من جميع المعادن، وجميع الاخشاب الجيدة للبناء والاثاث وجميع الاحجار الكريمة الملونة. وكان من الواجب استيراد هذه المواد المشتهاة من بلدان اجنبية. ولهذا السبب كانت التجارة والقوافل التجارية دائماً الوسائل الشريفة لاسباب العيش خلال تاريخ بلاد الرافدين حتى العصر الحديث.

ونشأت كثير من المدن الرائعة، في كل واحدة منها معبد مركزي مكرس الى الهها الحامي.. وكان الإله من معبده والحاكم من قصره يزود العاصمة بالتجار الذين يجلبون اليها وسائل الترف واسبابه لتزيين القصر والمعابد في مدينتهم. وغدا التاجر ومصرفيوه ووكلاؤه اعمدة المجتمع، ويحظون بالترحيب الملكي في القصور.

وبما ان نهري دجلة والفرات يغطيان مئات كثيرة جداً من الاميال، ويربطان الشمال بالجنوب، ويجعلان الاتصال ممكناً من الخليج العربي الى البحر المتوسط تقريباً، فقد كانا الشريانين الحيويين اللذين تجري فيهما التجارة. لذا فإن معظم المدن العظيمة نشأت على ضفة نهر، امثال بابل واور وآشور ونينوى وماري وكركميش.



صورة (٣): خارطة تبين منطقة تجارية معروفة، ١٨٠٠ ق.م.

وحيثما تنشر الطرق البرية فان قوافل الحمير والبغال (وبعد ذلك) الجمال صارت تسافر بانتظام، عابرة الممرات الجبلية، وبمحاذاة التلال عند سفوح الجبال، او عبر القفار شبه الصحراوية القاحلة. وتشكل المدن الاصغر علامات بارزة على هذه الطرق البرية، لانها المحطات الريفية على الطرق بين المدن الرئيسية، امثال اربيل وكارانا وحرّان.

وقد بدأت الحضارة المدينية نحو سنة ٣٥٠٠ ق.م. في بلاد الرافدين.واظهرت الاكتشافات الحديثة ان ثقافة المدينة هذه لم تكن مقصورة على جنوبي بلاد الرافدين بل ازدهرت ايضاً في المناطق العليا من الفرات. وفي عصر فجر السلالات (٢٦٠٠ ق.م. فصاعداً) كان الملوك منهمكين باحراز البضائع الاجنبية من اجل مسراتهم. وان المقبرة الملكية في اور مملوءة بالمعادن المستوردة، والاحجار شبه الكريمة، والاثاث المجلوبة، على الرغم من ان الاخشاب الاجنبية التي صنعت منها قد اصابها البلى تماماً[1]. وهذه تمثل مستوى مذهلاً من المعيشة لم يكن

استثنائياً او مقصوراً على حدود جغرافية ضيقة. وانتشرت حكايات رحالة كثيرة بصورة واسعة تروي عن الحملات المحفوفة بالمخاطر التي كان كلكامش واينميركر، ملكاالوركاء، يشرفان عليها الى بلدان بعيدة يبادل ملوكها مواد وحرفاً يدويه بالحبوب, وكانت مدن كبيرة عديدة تفخر بحاكمها القوي في ذلك الوقت، ولم تكن البلاد موحدة حينئذ، ثم حصلت الوحدة تحت حكم سرجون الاكدي وسلالته الحاكمة (٢٣٨٠- ٢١٦٧) ولكن المجازفات التجارية تحت رعاية ملكية، واتخذت قصص جديدة عن مغامرات جريئة في بلدان اجنبية مكانها في ذخيرة الرواة المسلية.

وقد أدى التمزق الى نهاية حقبة طويلة الامد من الرخاء. فقد غزا شعب جبلي يدعى الكوتيين بلاد الرافدين السفلى واغاروا على كثير من المدن الثرية ونهبوها. وليس بوسعنا ان نعرف الى اي مدى حطم ذلك الغزو نمط التجارة خارج بلاد الرافدين السفلى، ولكن بعد قرن من الزمان حين نهض ملوك سلالة اور الثالثة واسسوا دولة اخرى واسعة الانتشار انتعشت التجارة مع بلدان اجنبية بنشاط متجدد. وعندما انحلت تلك الدولة ايضاً بعد قرن من التماسك، عادت بلاد الرافدين الى تراثها القديم بمدن كثيرة وملوك كثيرين، واستمرت التجارة الاجنبية بكامل قوتها في الحقبة المعروفة بالبابلية القديمة (٢٠٨١- ١٥٧٦).

انماط تجارية:

تركزت انماط التجارة قبل مدة طويلة من الحقبة البابلية القديمة بمصادر خاصة من التجهيز وبطبيعة التضاريس الارضية. وكان القصدير من ابرز احتياجات العصر البرونزي ذلك المعدن النادر الذي يصنع افضل برونز حين يمزج بالنحاس. وفي اثناء الالف الثالث والالف الثاني حين كانت مدينتا كارانا وماري في اوجهما، كانت تجهيزات معدن القصدير "اناكوم"[2] تدخل بلاد الرافدين من مصادر في الشرق ما تزال غير معروفة. كان القصدير يأتي خلال بلاد عيلام التي كان ملكها في

زمن حمورابي البابلي يدعى سيوي –بالار – هوهبـــاك (وفي ماري واجهتهم مشكلة نطق هذا الاسم الاجنبي فاطلقوا عليه شيبلارباك). وكان سيوي –بالار – هوهباك يحكم كلاً من سوسة، العاصمة التقـليدية لعيلام، وانشان، المدينة القديمة التي تقع قرب بيرسيبولس، على بـــعد ٢٠٠٠ كم من ماري براً. وكانت قوافل القصدير ترحل خلال انشان وسوسة وتدخل بلاد الرافدين خلال ممر خانقين الى اشنونا صعوداً الى عرفة، ثم تعبر الى دجلة وتمر فوقه عند آشور أو قربها. وان مدينة آشـــور، عاصمة بـــلاد آشور التقليدية، تدين بـــثروتها الاصلية ومكانتها الى هذا الطريق البـــري مثلما تدين الى مرور البضائع صعوداً ونزولاً في دجلة. فقـــد كانت مدينة تجار وسطاء (سماسرة) ترسل تجارها بعيداً خارج البلاد.



صورة (٤): خارطة تبين الطرق التجارية بين ايران والاناضول وسوريا، ١٨٠٠ ق.م.

وكانت السلع التي تنقل من آشور تصعد في دجلة الى وادي القـــصب متجنبة امتدادات اعالي دجلة وبضمنها نينوى التي كانت يصيبـــها التمزق

احياناً او تسيطر عليها قبيلة توروكو الاشداء، ثم على طول الطريق الذي يربط جميع المدن مثل كارانا التي تقع جنوبي جبل سنجار الذي يشـــرف عليها. وتستمر من هناك في طريقها اما على الممر الجبـــلي نحـــو جاكار بازار أو تظل سائرة جنوبي الجبل متجهة غرباً نحو نهر الخابور حـــيث الميناء النهري يخدم كارانا والمدن المجاورة لها، ويبـــدو انه قـــاطونا. ثم تسلك الطريق صعوداً الى اواســـط الاناضول الى كانيش حـــيث ســـكنت عوائل آشورية، من اهالي آشور في حيهم الخاص المنعزل في المدينة[٣]، حتى التوسع الحيثي في القرن الثامن عشر قبل الميلاد الذي أجبـــر التجار على ترك مستوطناتهم خارج بلادهم. كانوا يكسبـــون عيشـــهم بتســـليم البضائع واعادة توزيعها ولاسيما القصدير واعادة سلع من انتاج محـــلي ولاسيما الانسجة[٤] في رحلة العودة.

معلوماتنا عنها من مجموعة محدودة من سجلات العمل الخاصة التي وجدت في التنقيبات التركية في كانيش وعلاقاتها بقـــوافل الملوك وتجار شبه بداة ليست واضحة حتى الآن.

كانت لبـــنان مصدراً غنياً لكثير من الاخشـــاب، ليس الارز اقـــلها. واستدعت المباني العامة الاكبر في مختلف انحـــاء بـــلاد الرافدين طلبـــاً لدعامات خشبية أضخم وأمتن مما يمكن ان يوجد محـــلياً. وقـــد تطلبـــت الصناعة اليدوية الماهرة انواعاً مختلفة من الاخشـــــاب للاثاث. وغدا الراتنج الشذي رائجاً بين الناس مثلما كانت العطور رائجة. وارسل كثير من الملوك من بلاد الرافدين ومصر وشمالي سوريا حملات لجلب الخشب من لبنان ومن جبال عمانوس.



صورة (٥): اعالي دجلة في اسكي موصل، من الشمال الشرقي



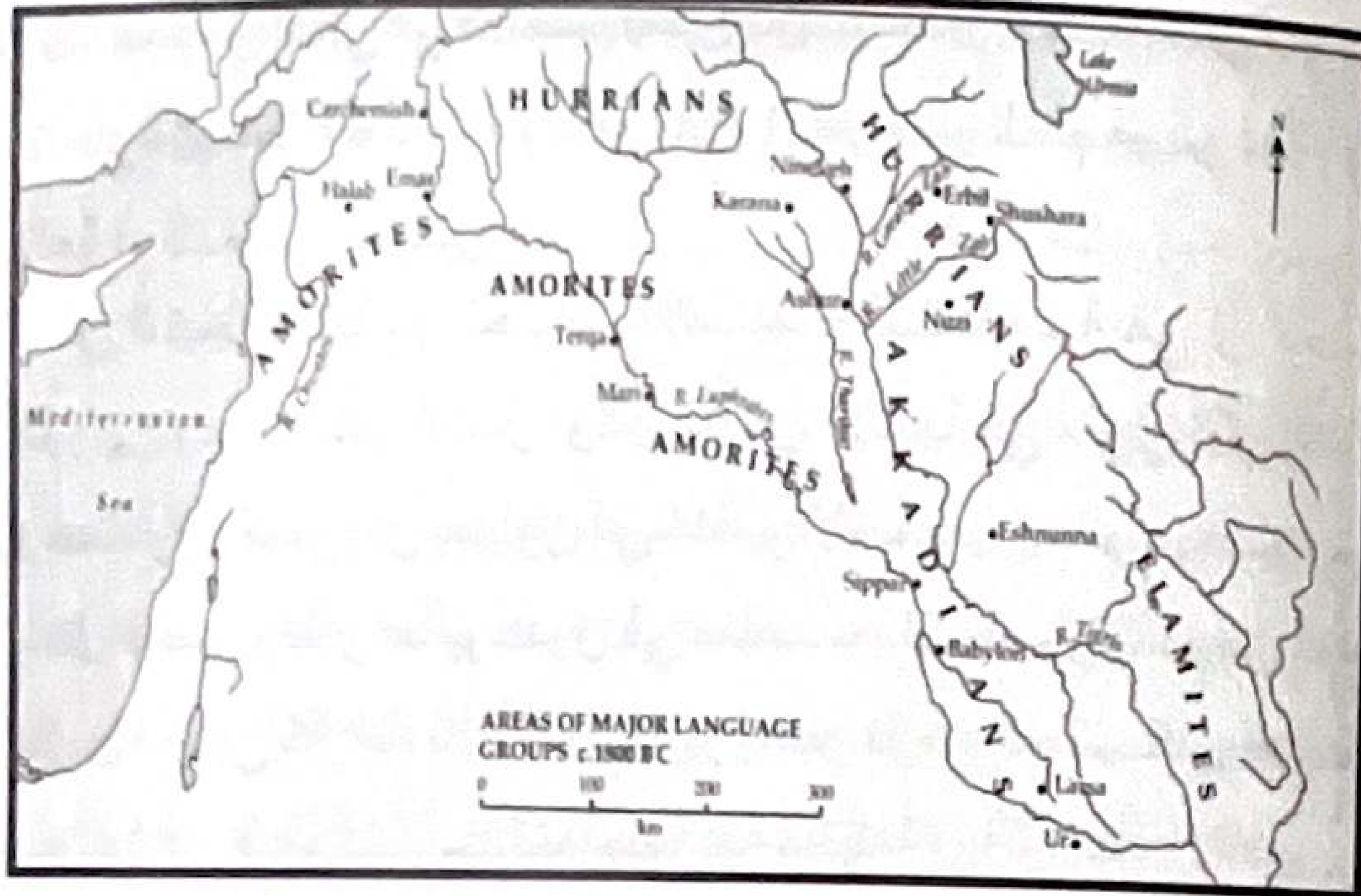
صورة (٦): سلسلة جبال سنجار، تشاهد من الجنوب

وفي رحلة الخشب الى بلاد الرافدين كان يصل عادةً الى كركميش أو إلى ايمار على الفرات ثم ينحدر مع مجرى النهر نحـو الجنوب بصحبـة الخمور واحجار الرحى من شـمالي سـوريا. ولعل النحـاس من مناجم قبرص اتخذ الطريق نفسه.

وكانت معادن واخشاب واحجار اخرى تأتي من الشـرق وتصل الى النهرين العظيمين عند رأس الخليج العربي ثم ترحل صعوداً فيهما. وكان العقيق الاحمر واللازورد وخشب سسو (٥) من السـلع الكثيرة التي ربـما دخلت بلاد الرافدين بهذا الطريق.

وعلى الرغم من ان وديان الانهار كانت الطرق الرئيسية الواضحـة

لنقل التجارة فإن طريقاً بديلاً اتخذ تواً من الفرات الاوسـط الى جنوبـي سوريا وفلسطين. الطريق الصحراوي الممتد من دورا يوروبـوس مارا خلال تدمر الى دمشق او خلال تدمر والقـريتين الى حـمص كان آنذاك مستعملاً في سنة ١٨٥٠ ق.م. (٦) وقد احتلت ماري موقعاً اضفى في ما بعد اهمية على دورا يوروبوس، وكانت بـالميرا (مدينة النخيل) تدعى تدمر (تتمر اي مدينة التمر) وكانت "القريتين" تدعى نشلة (٧). وليس اسم دمشق القديم في هذه الحقبة مشخصاً حـتى الآن، غير ان حـمص كانت تدعى قطنا. وكانت ماري وقطنا تشتركان بحدود مشتركة تمتد عبر هذا الطريق الصحراوي، فكان عليهم ان يتفاوضوا بخصوص حقـوق الرعي عبـر حدود لم تكن لها أي معالم طبيعية. وكان اناس شبه بداة يجوبون المنطقـة ولعلهم كانوا يؤدون دوراً في تنظيم التجارة. وربما كانت المنطقـة آنذاك اقل جفافاً مما هي عليه الآن. ولا ريب ان الرحلة الصحراوية في الازمنة الحاضرة صعبة جداً من غير استعمال الجمال، وليس ثمة دليل مقنع على ترويضها لتكون حيوانات حمل في هذه المنطقة وهذه الحقبة. لذلك ربـما كانت رحلات القوافل من ماري خلال تدمر الى قـطنا تتم على الحـمير والبغال (٨).



صورة (٧): خارطة تبين مناطق مجموعات اللغات الرئيسة، ١٨٠٠ ق.م.

السكان:

في اثناء الحقبة البابلية القديمة كانت اعالي الفرات وبضمنها مملكتا ماري وكارانا يحتلها ثلاث مجموعات من الشعوب: الاكديون والاموريون والحوريون.

الاكدية هي اللغة "السامية" الشرقية للبابليين والآشوريين، والامورية هي سلف العبرية (وهي لغة سامية غربية)، والحورية لغة ليست سامية ولا هندو اوربية (وهي مجموعة لغات تنتمي اليها الانكليزية والاغريقية والحيثية) وهذه هي العناصر المختلفة في السكان التي يمكن تحليلها. فقد رتبت قائمة بالاسماء الشخصية من مجموعة نصوص. كان كثير من الاسماء في شكل عبارة مؤلفة من عنصرين او اكثر، وهذه تحليلها اسهل في العادة من الاسماء ذات العنصر الواحد. وسواء أكانت الاسماء المركبة اكدية ام امورية ام حورية فإن لها معنى مثل " ادد إله العواصف مولاي"، "شمش إله الشمس يحميني"، "خادم الإلهة عشتار". يشكل الإله دائماً تقريباً جزءاً من هذه الاسماء وان جنسية الإله معروفة في العادة. هذا هو المؤشر الاول، العنصر الثاني في الاسم يمكن تحليله لغوياً بعناصر نحوية وعناصر مفردات لغوية [٩]. واخيراً فإن الافتراض العام هو ان لغة الاسم هي لغة ام الشخص المسمى.

ان النتيجة الكلية من تحليل الاسماء الشخصية هي ان اسماء الاموريين وجدت اكثر انتشاراً وشيوعاً من الاكدية في ماري على الفرات الاوسط، وان الحوريين يعملون في اغلب الاحيان اسرى حرب في مشاغل القصر ونادراً ما يوجدون في مناصب ذات مسؤولية. ومن الناحية الاخرى فإن في كارانا، كان الحوريون جزءاً من السكان الاصليين موجودين في طبقات اجتماعية مختلفة، وفاق عدد الاكديين عدد الاموريين. وإذا اخذنا معلومات مشابهة من الرقم التي وجدت في تنقيبات

في مواقع اخرى، فإننا نستطيع ان نرسم خريطة تبين التوزيع التقريبي للمجموعات اللغوية [١٠]. ولم يكن سكان بلاد الرافدين مقيمين جميعاً ولا متمدنين جميعاً. وكان يوجد عنصر شبه بدوي مهم يحتوي على رعاة غنم يعيشون احياناً في خيم واحياناً في اطراف المدن يجدون وظائف جنود مرتزقة في الجيوش الملكية او في اعمال غير نظامية او يعيشون على اللصوصية وقطع الطرق. وكان بعضهم رعايا خاضعين للاحصاء الرسمي ويعملون للتاج في الاراضي الملكية في مملكة ماري، ويوجد آخرون مسؤولون عن قوافل ضخمة من الحمير في اعالي الفرات [١١]. في معظم الاجزاء انصاف البداة هؤلاء من القبائل يستعملون الاسماء الامورية الشخصية. وتوجد عدة مصطلحات تصف مجموعات مختلفة منهم وان التمييز بينهم ليس واضح المعالم، غير انه في العموم يصدق القول ان السوتو يوجدون في جنوبي الفرات الاوسط بين ماري وقطنا، ان الحانيين واليامنيين (الذين اعتادت الترجمة ان تسميهم الترجمة الانكليزية البنياميين [١٢]) يوجدون في ضمن وطن ماري، على طول نهر الخابور الجنوبي حول حرّان وفي مملكة يمحد. ويوجد ضمن هذه المجموعات مجموعات اصغر في تكويناتها الاجتماعية لا يمكن تمييزها دائماً بوضوح من بقية السكان.

التنقيبات في ماري:

مركز اهتمامنا هومدينة ماري نفسها. ففي آب سنة ١٩٣٣ جاء ملازم في دورة تفتيش في منطقة البوكمال فوجد بالمصادفة مجموعة من البدو يحفرون مستخرجين صخرة من رابية خرائب قديمة تدعى تل الحريري. بعد ايام قلائل جاء رجل محلي الى دائرة الملازم في البو كمال واخبره باكتشاف تمثال في تل الحريري. عاد الملازم الى الموقع لتحري

التمثال الذي لا رأس له وفحصه وكان يحمل كتابة مسمارية ولاحظ اهمية الاكتشاف ونقل التمثال الى البو كمال واخبر السلطات العليا. بعد أقل من شهر وصلت كلمة الى المختصين بالآشوريات في اللوفر في باريس الذين فهموا الثروة المحتملة في الموقع من لقية واحدة. وانصرفوا سريعاً جدا ووصل بعد ثلاثة اشهر فريق من فرنسا الى سوريا بترخيص في التنقيب معهم المال الضروري، قبل عيد الميلاد في السنة نفسها وبدأوا في حفر الارض اول مرة. وفي اثناء تنقيبات الموسم الثاني بدأ المدير اندرو بارو وفريقه كشف قصر زمري ليم العظيم. واشرف على اكثر من عشرين موسماً من العمل منجزين اهم المكتشفات في آثار بلاد الرافدين [١٣] وكشف عن المخطط الكامل للقصر البابلي القديم، وكشف الاف السجلات المسمارية التي توثق الحياة في تفصيل عظيم.

كانت ماري مدينة واسعة ذات تاريخ عظيم. وتقع على الضفة الجنوبية لاواسط الفرات قرب البو كمال الحالية غير بعيد عن دورا بوربوس حيث كان النهر يتعرج خلال وادٍ عظيم. تقع المدينة في الطرف الجنوبي من هذا الوادي بين أعلى مجرى الوادي واسفله وقد شق النهر مجراه بين الضفاف العالية وغدت على جانبيه تربة حصوية وكانت الارض حول المدينة خصبة جداً لتنتج الغذاء الكافي لسكان مزدهر، وكانت الجداول التي تجمع الماء من الفرات والخابور تمتد الى مسافة عظيمة من المملكة التي يمكن ارواؤها. وكانت السلالة الاولى من الملوك في قائمة الملوك السومريين قرابة ٢٥٠٠ ق.م. [١٤] كانت نقطة مفتاح في الحملات والخطط العامة لملوك اكد العظماء، سرجون الاول (٢٣٨٠-٢٣٣٥) ونرام سين ٢٣١٠- ٢٢٧٤). وتبين المكتشفات الحديثة من الالواح الطينية في ايبلا قرب حلب التي ترقى الى ذلك التاريخ ان ماري كانت ذات اهمية استثنائية بالنسبة الى ملوك ايبلا الموجودين حديثاً، ومعاصريهم [١٥].



صورة (٨): منظر جوي لقصر ماري

ان اسباب اهميتها لا يصعب ايجادها. فقد كانت ميناءً نهرياً تستوفي الضريبة عن جميع البضائع التي تمر في الفرات بين بلاد الرافدين السفلى وسوريا مع ما يتصل بها من بلاد البحر المتوسط والاناضول ولا ريب الآن من انها كانت آنذاك رأس الطريق عبر الصحراء السورية والفلسطينية. الذي يربط بلاد الرافدين العليا بجنوبي سوريا وفلسطين حتى ان ملوك ماري كانت لهم صلات وثيقة بحكام قطنا[١٦] و حازور[١٧].

ان الزائر الحديث يرى هضبة واسعة جداً من اللبن المدمر حفرتها التنقيبات قبل نصف قرن وتهيمن عليها نتوءات حمر من الطابوق الاحمر المعروف بالمباني الحمر. تمتد الهضبة كيلومتراً واحداً وترتفع ١٥ متراً من مستوى الارض المحيطة بها. ويجري الفرات العريض متعرجاً في منظر مريح. ولا توجد سلسلة تلال تهيمن على الافق، ولكن امتداداً فسيحاً من الارض على جميع الجوانب تتخللها هضاب بين مسافة واخرى لتشير الى علامات مستوطنات قديمة. وتوجد ارض خصبة نسبياً قريباً من النهر حيث تكون التربة غرينية وتظهر الارض في منطقة شبه صحراوية صخرية الى امتداد بعيد. وليس ثمة اشجار تلطف الارض القاحلة. ان المشهد في ايام حمورابي يمكن للمرء ان يستحضر شبكة من الجداول، ووفرة من الحقول المزروعة والبساتين والبرك والمراعي. وهذا يختلف تمام الاختلاف عما يراه المرء من الارض المهملة المهجورة اليوم.

القصر البابلي القديم:

جرى التنقيب في القصر في ماري في الحقبة البابلية القديمة بكامله، وقد حصلنا منه على فكرة جيدة عما يجاوره حيث كان احد الملوك يسكنه في اوائل الالف الثاني[١٨]. كان مبنى ضخماً يسع ٢,٥ هكتاراً من الارض. يحيط به اسوار من اللبن، وله مدخل مهيب مبلط بالطابوق المفخور

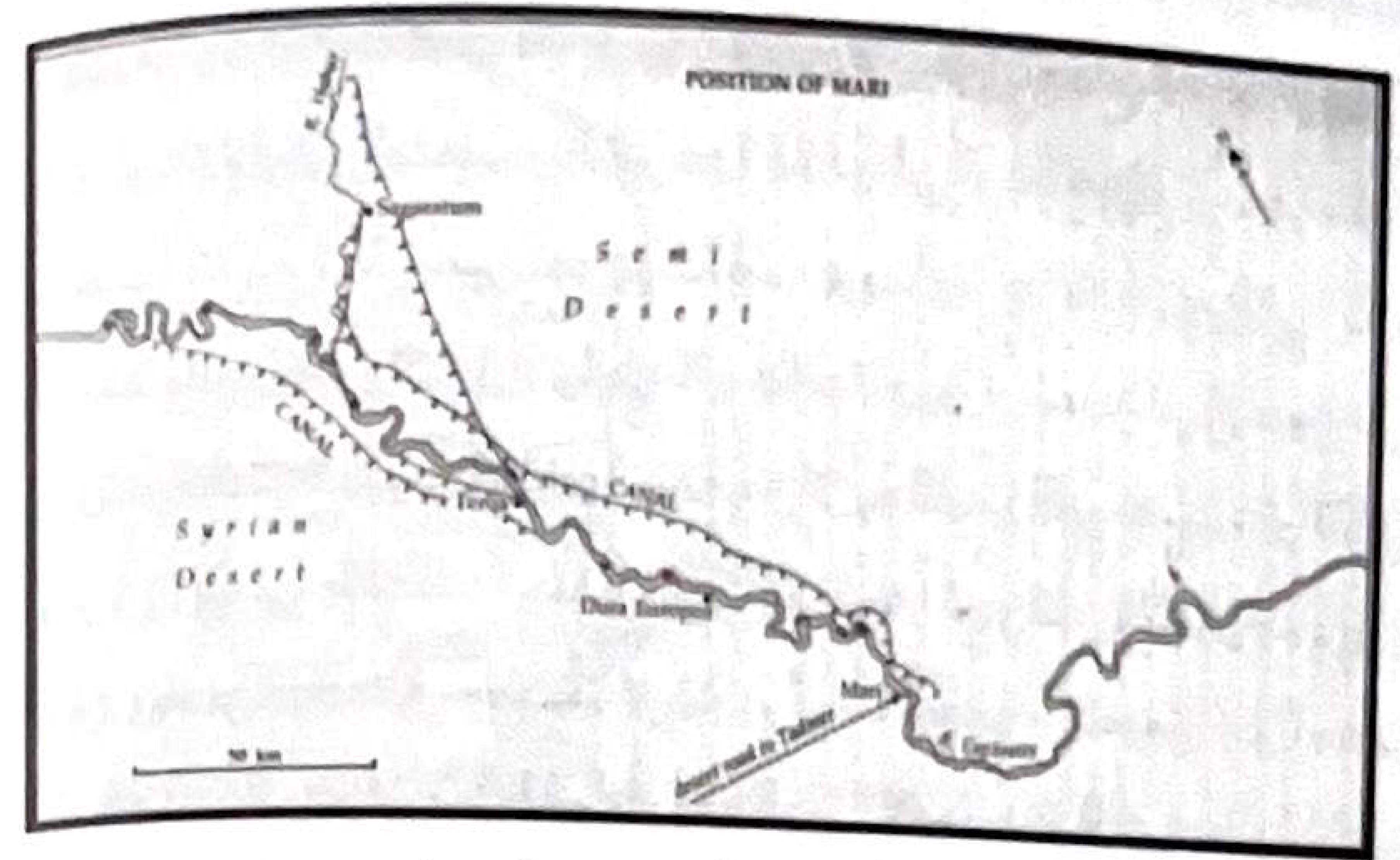
وتحميه ابراج على جانبيه. ويتألف الداخل من مخطط من وحدات متنوعة واحياناً متجانسة، كل وحدة فناء مكشوف تحيط به حجرات. وكانت ابهاء الاستقبال وقاعات العرش الفخمة او المقابلات الملكية في الطبقة الارضية. ومن المشكوك فيه وجود طبقة عليا فوق جميع اجزاء القصر.

وما تزال الاسوار الداخلية والخارجية قائمة الى ارتفاع يبلغ اربعة امتار، وعرضها ثلاثة امتار حين جرى التنقيب فيها. وكان احد الافنية في الاقل مزروعاً باشجار النخيل، ولعل كل فناء كان مزروعاً بنوع معين من النخيل. وكانت الحديقة الداخلية سمة مركزية للبيت التي بقيت تراثاً في الشرق الادنى منذ ذلك الحين. وكانت الجدران واطر الابواب داخل القصر مكسوة بالجص ومصبوغة. وكانت احياناً تتضمن اجزاء دنيا مزخرفة من الجدران بسيطة وملونة باللون الاحمر وازارتها مطلية بالقير الاسود، والجزء الاعلى من الجدار باللون الابيض.

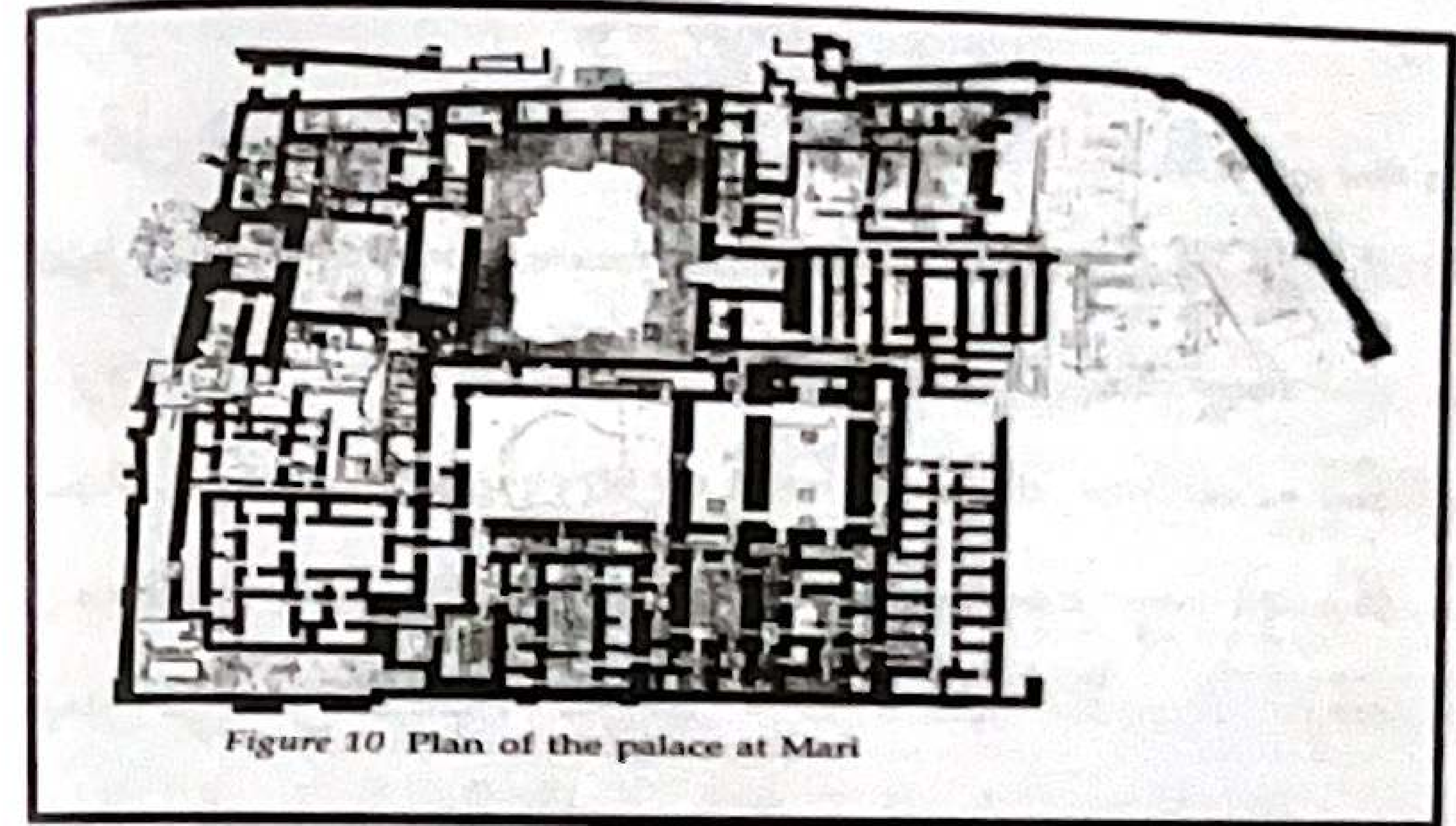
وفي الحجرات الاخرى مشاهد شعائرية واسطورية مرسومة على الجدران، كل مشهد صغير مؤطر بإطار زخرفي.

كان القصر في البدء منزلاً للعائلة المالكة. لذلك فإنه كان يحوي شققهم الخاصة بهم وكذلك حجرات عامة للمقابلات والتسلية. ولكنها كانت تقوم مقام مركز الحكومة المركزية، ولهذا السبب وجد الكثير من السجلات والرسائل فيها. وكان يرد الى القصر تقارير بصورة منتظمة من موظفين يعملون في اجزاء اخرى من مدينة ماري أو انهم كانوا مقيمين في مدن اقليمية. وكان لكل مركز مقاطعة حاكم يسكن ((قصراً)) لأن كلمة قصر تدل على ((بيت حكومي))، وليس منزلاً ملكياً على وجه الحصر.

وكانت للقصر وظيفة اخرى نادراً ما تقل اهمية وهي النزل او الخان الذي يجلب البحار الاجانب او المحليون اليه بضائعهم وكانت الفناءات



صورة (٩): خارطة تبين موقع ماري


Figure 10 Plan of the palace at Mari

صورة (١٠): خارطة مبنى القصر في ماري

الواسعة الداخلية للقصر في ماري ملائمة بشكل واضح لاستقبال اعداد كبيرة من الرجال وربما حيواناتهم ايضاً، وثمة دليل نصي جيد على ذلك. ان الطبيعة المنعزلة لهذه الفناءات تحمى السلع المترفة من السرقة الصغيرة غير النظامية او من الغارات. وكان القصر كله يغلق ليلاً حتى ان اكبر الموظفين لا يستطيع الدخول اليه. ان مثل هذا الضمان كان ضرورياً ايضاً لان القصر كان يقوم مقام مستودع للضرائب. فيخبرنا احد النصوص ان الضرائب كانت تجمع في حجرة نوم بحضور الملك. وكانت بعض البضائع مثل الخمر والخضراوات المجففة تحفظ في حجرات مختومة داخل القصر.

وبما ان القصر كان يحوي بضائع اجنبية ومنتجات محلية فليس من العجب ان نجد انه يحوي وحدة للبيع بالمفرد، سوقاً او بازاراً حيث كانت البضائع توزع. هذا القسم من مخطط القصر يشبه كثيراً خطة سوق حديث في الشرق الادنى وكان يسمى "كار ايكاليم" اي سوق القصر [١٩]. غير اننا لا نعلم الى اي مدى كان العامة في كل حال ميسوراً لهم الوصول اليه.

وكان القصر الى مدى اقل مركزاً للانتاج في صناعة البضائع حين لم تكن العمليات تتم في الداخل غير مثيرة للضجيج، او الرائحة او الخطورة. وكان اغلب عمل الانسجة يتم داخل القصر، من الغزل والنسيج والخياطة بكل تأكيد، اما صبغه ونشره ليجف فانه يتم خارج اسوار القصر. وكان كثير من تحضير المواد الغذائية والطبخ يتم في داخل القصر، ويوجد كثير من مواقد الطبخ في حجرات مختلفة ويوجد دليل على ذلك. اما الانواع الاخرى من المنتوجات مثل الاعمال المعدنية فلعلها كانت تمارس خارج اسوار القصر، ولم يعثر في التنقيب على افران، ويتحدث احد النصوص عن جلب الاعمال المعدنية الى القصر من الخارج. وعلى اي حال فإننا نعرف كثيراً جداً عن تلك المهارات لان جميع سجلات العمل المنفذ على

حساب القصر كانت تخزن هناك سواء أكان العمل ام لم يكن قد تم فعلاً داخل اسوار القصر. اننا نعرف ذلك كله من محفوظات (ارشيفات) الالواح المسمارية.

الرقم الطينية:

كشف الآثاريون الفرنسيون الذين كانوا ينقبون في ماري اكثر من ٢٠,٠٠٠ رقيم طيني في القصر البابلي القديم لان القصر كان يضم جميع اداريي المكاتب الذين يعملون للملك. فوجدوا رسائل من جميع الانواع وقوائم حصص الاغذية وغيرها وقوائم ذاتية، وسجلات قرارات شرعية، ومجموعات ضرائب وقوائم بقالة للمطابخ- هذه كلها واكثر من ذلك بكثير[٢٠].

الرقم المسمارية قطع في شكل وسادة من الطين بمختلف الاحجام. وحين اكتشفت كانت غير جذابة تماماً لانها تشبه قطعاً غير مصقولة من الحجارة المصنوعة من اللبن التي وجدت فيها. ومع ذلك فإنها تكشف عن الحضارة القديمة بمعنى اكمل من السجل الآثاري النقي الذي يأمل ان يؤديه.

وان هذه الرقم مكتوبة باللغة الاكدية باستعمال خط مقطعي تمثل فيه العلامة المسمارية الواحدة مقطعاً واحداً. كانت كلمات قليلة هي في الاغلب اسماء نكرة كتبت عادةً بصورة لوغوغرافية (اي الكتابة الرمزية الفكرية) اي ان علامة واحدة او مجموعة علامات تمثل كلمة واحدة من غير اي وظيفة مقطعية. وقد استعملوا نحو مئتي علامة لان الالفباء بوصفها علامات اقتصادية، لم تكن قد اخترعت حتى ذلك الحين. وكانت الكتابة تقرأ من اليسار الى اليمين (مثل الانكليزية) وهي اللغة السامية الوحيدة التي تفعل ذلك.

وكانت الرسائل والوثائق تختم احياناً على ظرف من الطين للاحتفاظ بخصوصية المحتويات ومنع التغييرات الاحتيالية. وكانت هذه الظروف تكسر عادةً لتفتح حالما تصل مقصدها. وكانت الشظايا تكنس وربما كان يعاد تركيبها. وقد وجد قليل من ذلك. غير ان رسالة وجدت في كارانا ما تزال مختومة على ظرفها وغير مفتوحة ومعنونة الى "دادو رابي" وقد كتبها عقبه حمو الذي طبع ختمه على الظرف. كانت الجملة الاولى من الرسالة: "كتبت اليك خمس مرات مثل اول مرة" ولعل دادو رابي كان يعرف جيداً كل ما كانت تقوله الرسالة. ولم يهتم بفتحها. وكانت مهارات الكتبة متخصصة، ولعل القصر كان يحوي مدرسة يتدرب فيها الكتبة على حرفة الخط[٢١]. وما دام معظم الموظفين الذين يجب عليهم تسجيل اعمالهم وانشاء رسائلهم لم يكونوا قد تدربوا ليكونوا كتبة فإن القصر وظف عدداً من الكتبة الذين يعملون مع الاداريين. لذلك كانت الرسائل تملى وحين تصل الى من تقصده فإن الكاتب الذي يتلقى الرسائل يقرؤها بصوت جهوري. لذا فإن كل رسالة تبدأ بصيغة توجيهية الىالكاتب مثل: اكلم الملك، هكذا يقول الحاكم "وهي تماثل خطابنا المباشر" عزيزي فلان الفلاني، المخلص لكم فلان الفلاني".

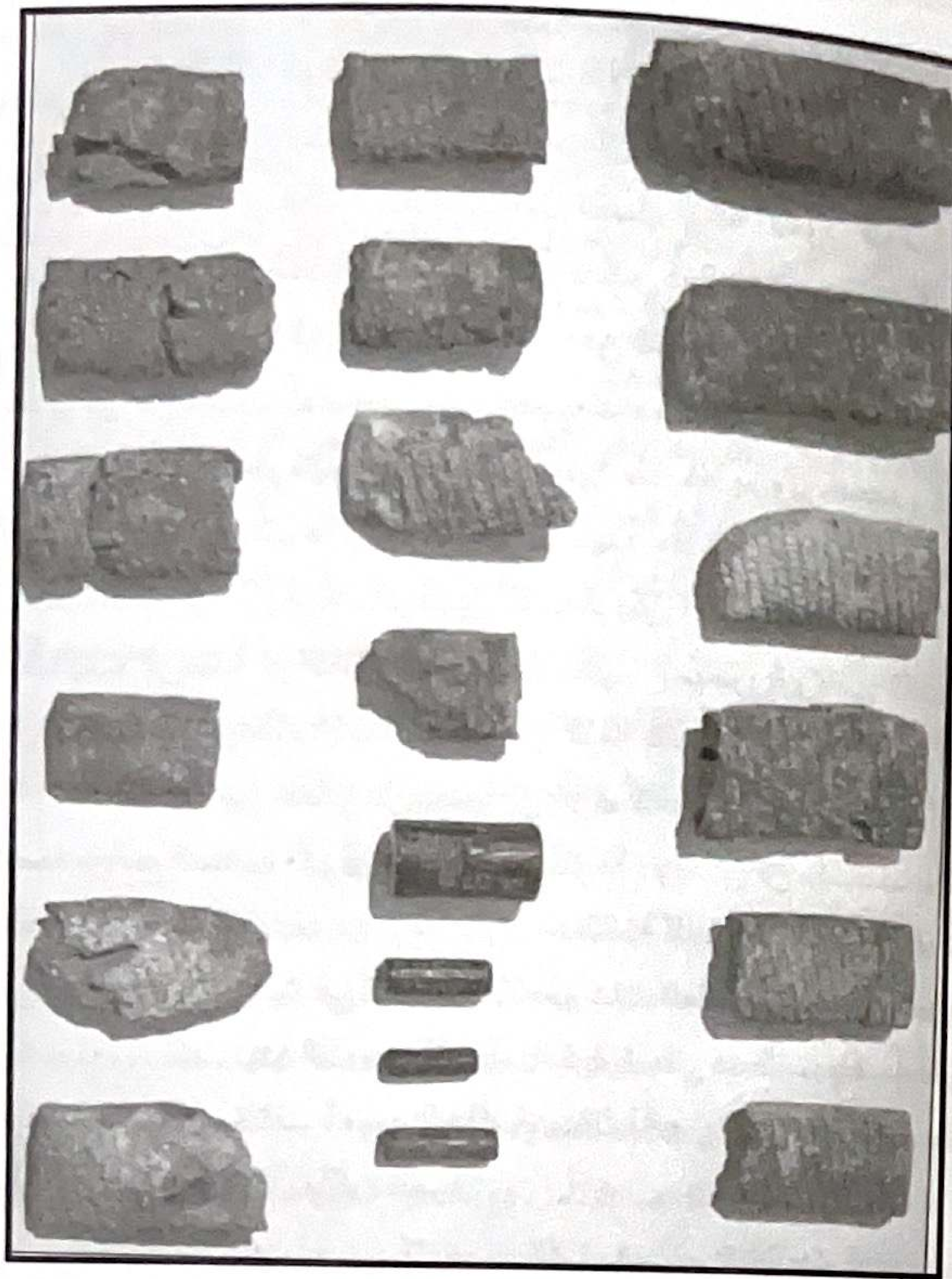
كان كثير من انواع الرقم المختلفة يحفظ في القصر. قبل كل شيء، كانت اللوائح الضخمة تحفظ عن جميع الناس المسجلين في الاحصاء الرسمي للنفوس في المنطقة. ومن تلك القائمة كانت تلخص اسماء لاستعمالها في قوائم خاصة، مثلاً قوائم الحصص لهيأة العاملين في المطبخ. ثم ان كل تسليم بضائع الى القصر وكل اخراج من مخازنه يجب تسجيله على رقيم، سواء أكان ذهباً ام ثوماً. وحين تصل احدى القوفل القصر فإن اسماء الرجال المصاحبين لها يدونون اسماءهم على الطين. وتحفظ سجلات المنازعات الشرعية التي تخص أياً من هيأة القصر



(أ)



(ب)



(ج)

صورة (١١): مجموعة من الرقم الطينية

الكبرى في مقدمة العقد. وان موظفي الملك الاداريين سواءً يشتغلون في مكتب القصر او يساعدون في حكم الاقليم، يرسلون تقارير يومية الى الملك في شكل رسائل شخصية.

ولمجابهة الكم الهائل في المراسلات كان للملك وكيل يمثله ويتسلم الرسائل عنه عند غيابه[٢٢]. وكان له سكرتير (امين سر) شخصي يساعده[٢٣]. وبما ان الكتابة كانت تستعمل لنقل توافه الامور اليومية فإن لغة الكتابة في هذه الحقبة كانت تبدو انها تعكس لغة الكلام بدقة تامة حتى الى درجة الاشارة الى الفروق الصغيرة في اللهجة واللفظ. وكانت خالية نسبياً من الرسميات المحافظة على القديم، لذا نستطيع ان نستشف حالات الملوك النفسية وهمومهم وما يغضبهم ويثير سخطهم ويزعجهم وكذلك رسلهم في اثناء املاء ما يريدونه على كتبتهم، امناء سرهم. وفي معظم الحقب الاخرى لتاريخ بلاد الرافدين القديم لم يكن الامر كذلك. فقد كانت الشكليات الرسمية او التعلق المتعمد بالاساليب المهجورة وحتى الكتابة الرمزية الفكرية ونظام الكتابة تجعل تدفق اللغة غامضاً.

اننا نعرف من النصوص نفسها ان الرقم كانت تخزن في سلال أو صناديق مع اشياء اخرى في غرف مختومة، ويمكن ان تكشف لاجل المراجعة[٢٤]. لذلك يجب ان توجد طريقة نظامية للخزن. وعلى الرغم من ان رُقم ماري وجدت في كثير من المجموعات المتميزة في حجرات منفصلة، لم تثبت لهذه المجموعات اهمية كبيرة حتى فحصت بدقة اكثر. وكانت رقم من مختلف العهود الحاكمة، مختلطة من غير نظام، رسائل ملك شرعي مع رسائل ملك مغتصب.

قوائم طعام مختلطة برسائل من حكام اجانب. وقد جاءت قوائم طعام متماثلة لوجبات طعام الملك من اماكن منفصلة. ولم تجرِ أي محاولة لتدمير سجلات نظام حكم غير شرعي او غير شعبي، كأن التغيرات في السلطة السياسية نادراً ما كانت تعيق مجرى البيروقراطية الداخلية. ولكن

ربما كانت بعض الرقم متناثرة ومختلطة حين كان القصر قد نهبه البابليون المنتصرون الذين انهوا سلطان حكم ماري.

وما يزال يتواصل اعادة انماط كثيرة من الرقم المؤرخة الى وضعها السابق، وسرعان ما اعيد ترتيب اسماء الاشهر واسماء السنين الى كامل وضعها حتى اننا نجد كثيراً من الطرائق وتأريخ حفظ السجلات، وتاريخ سني الموظفين. وسنكون قادرين بالتدريج بتمييز عمل رجل في وظيفة سابقة من عمله في وظيفة لاحقة بعد ترقيته.

وفي الوقت الحاضر ما يزال يوجد كثير من الصعوبة في عزل وظائف اعمال الموظفين في القصر، ويبدو من الواضح انهم لم يكونوا متخصصين كما يتوقع المرء. ومما يزيد الصعوبة صعوبة ان تأريخ جميع الرسائل والاحداث التي تصفها تظل موضع إشكال، لانها لم تؤرخ باليوم والشهر والسنة السجلات الادارية دائماً. وما دامت السنين تذكر حادثة مهمة ولم تعط نظاماً عددياً فإنها طويلةحقاً، وما تزال مهمة غير كاملة في كشف نظامها لكل ملك ولكل مدينة. وبالتدريج فقط يثبت امكان تطبيق تارخ السنين المتعاقب لسجلات الرسائل الذي يصعب الحصول عليه، وان كثيراً من الاحداث العرضية الموصوفة في الرسائل قد لا يمكن وضعها في مكانها المناسب. ولمثل هذه الاسباب الواسعة ليس من الممكن وصف تاريخ السنين المتعاقبة. لوصف سلسلة الاشخاص في طبقة الموظفين وكيف كان تنظيم العمل.

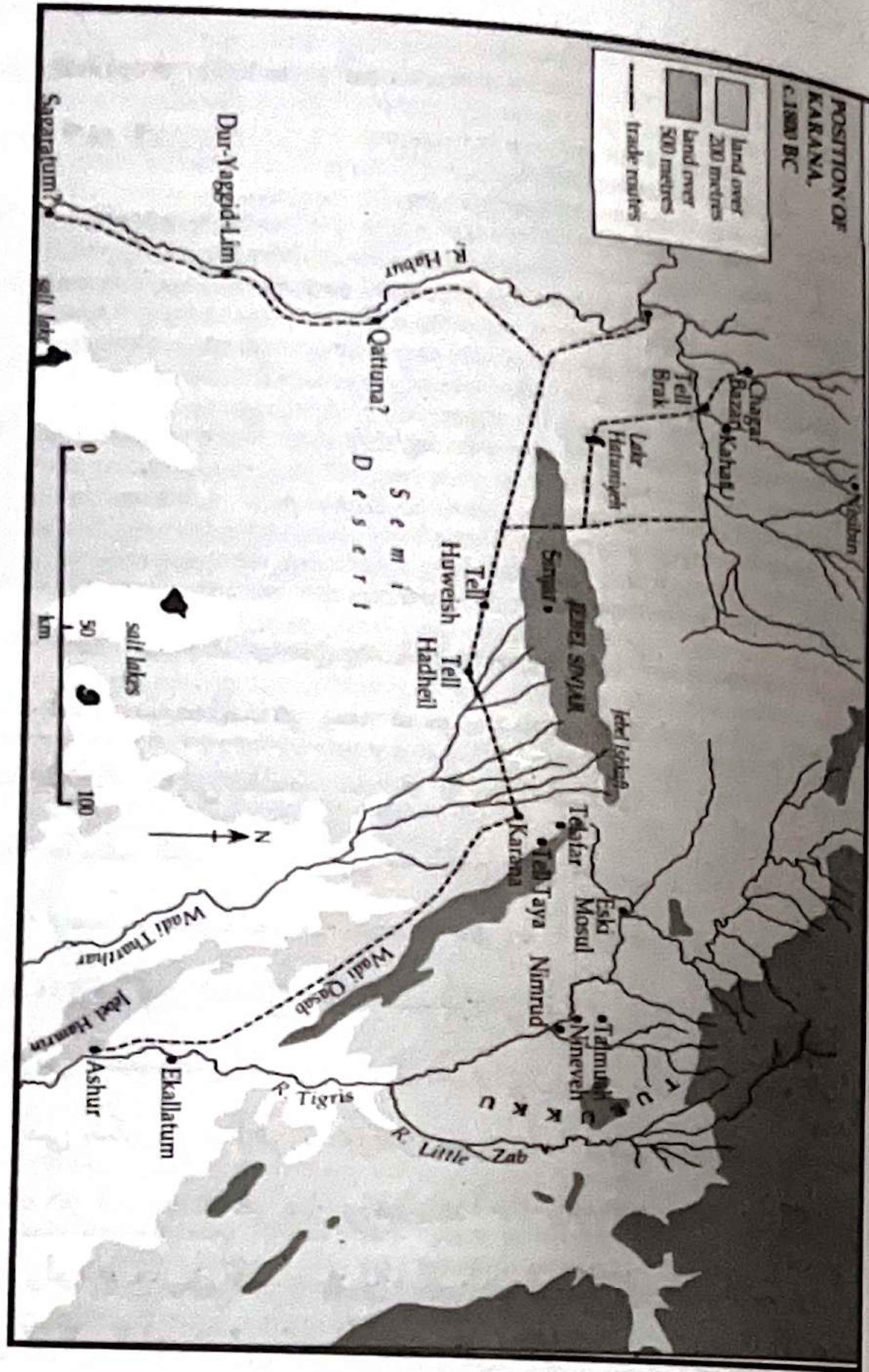
وحين جرى التنقيب الكامل في قصر الحقبة البابلية القديمة، بدأت البعثة الفرنسية تنقب لتجد ما كان في الاسفل. ومما أثار دهشتهم انهم وجدوا قصراً اقدم لا يقل ابهة عن الذي يليه ووجدوا سجلات قليلة جداً من الادارة اليومية. وقد اظهر ذلك ان القصر اللاحق استمرعلى اسلوب الحياة نفسه الذي كان اقدم كثيراً. فقد كان ملوك الحقبة البابلية القديمة

يتبعون تقاليد حياة القصر التي كانت آنذاك لا تقل عن ست مئة سنة في عمرها. وان الشيء الجديد والمثير هو صنف واختلاف وتفصيل المحفوظات (الارشيف) في ماري، والفرصة الفريدة التي لا نظير لها والتي اعطتنا الفرصة لاكتشاف الماضي.

التنقيب في تل الرماح/ كارانا:

تل الرماح تل من اللبن التالف في شمالي العراق. ويحوي البقايا المتآكلة والمتعرضة للعوامل الجوية والمتآكلة لمدينة تجارية صغيرة اسمها كارانا ازدهرت في اواخر الالف الثالث وفي اثناء الالف الثاني كله ق.م. موقعها اليوم على بعد ١٧ كم جنوبي مدينة تلعفر الحالية، وهذا الموقع مميز يشبه عدة تلال اخرى ذات حجم وموقع مشابهين في تلك المنطقة وتقع بعيداً الى جنوبي الجبال لتستفيد من التزود بالماء المنتظم الذي يسيل منها، ولا تقع في اي مكان قريب من نهر دائم الجريان لذا فإن الري يقوم بدور صغير في اقتصادها القديم. وتعتمد في الصيف على آبار ومياه راكدة واسعة المساحة. الزراعة الحديثة والرعي هناك امران لا يعتمد عليهما، لان المطر لا يفي بالمرام اولا يمكن التنبؤ به في كل عام ولا يوجد دليل على ان المناخ قد تغير في السنوات الاربعة الآف. وان فصل الربيع في آذار وفير وجميل وغني بالعشب ونضير بالازهار البرية، ولكن في خلال ستة اسابيع تتحول الارض الى تراب يرتفع وينتقل مع كل هبة ريح. ويتحول الى مستنقع هائل من الاوحال عند هبوب عواصف مطرية. وفي الخريف والشتاء يمكن ان يحول الطين السميك الطرقات الى ممرات لا يمكن اجتيازها، ويمكن للمشاة الحذرين الافادة من آثار الارض التي سحقتها عجلات السيارات.

ان مثل هذه الاحوال لم تكن موجودة دون ريب في اثناء الالفين الثالث والثاني قبل الميلاد. وفي المنطقة الهامشية تغيرت البيئة غير الثابتة

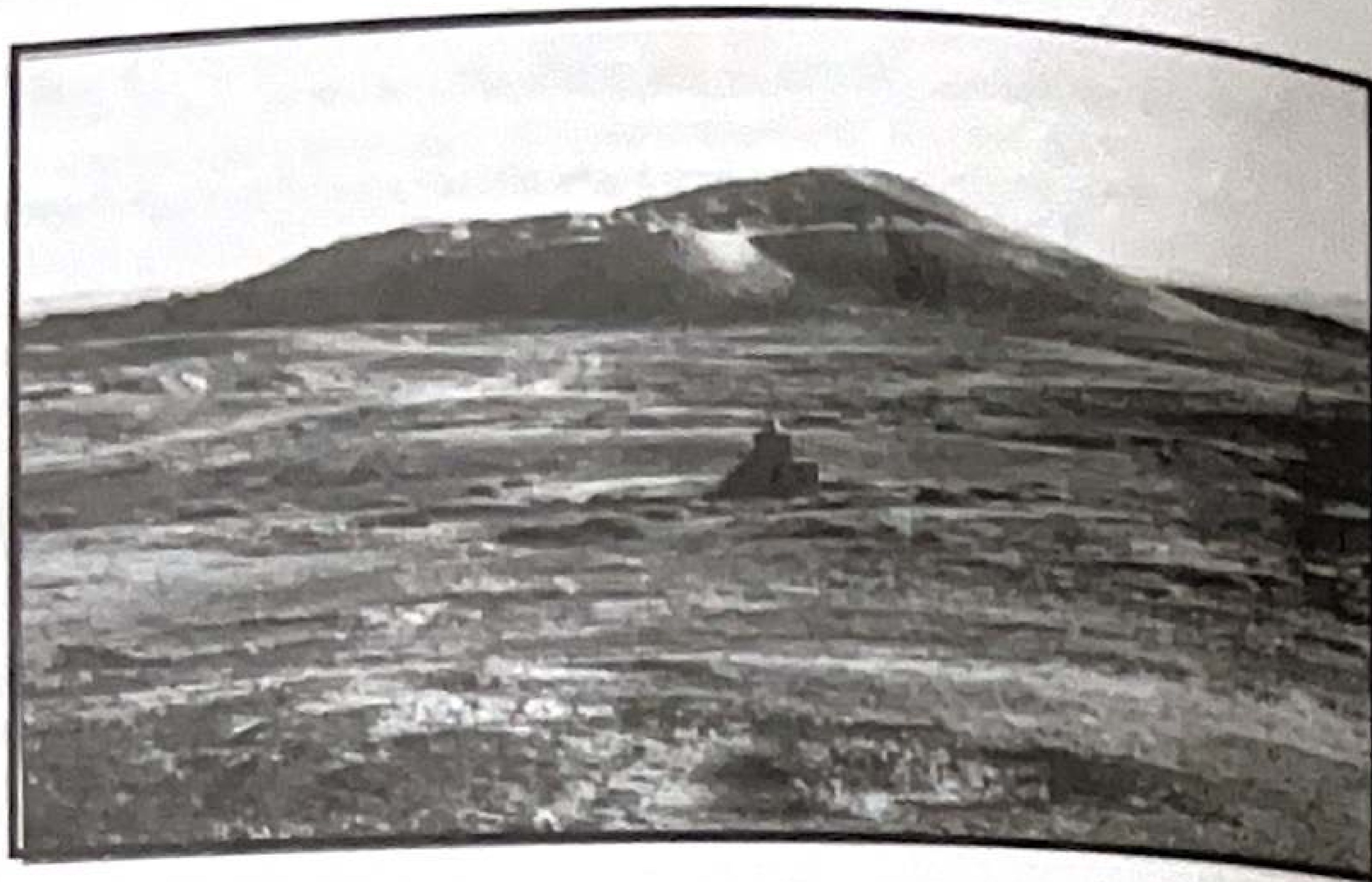


صورة (١٢): خارطة تبين موقع كارانا

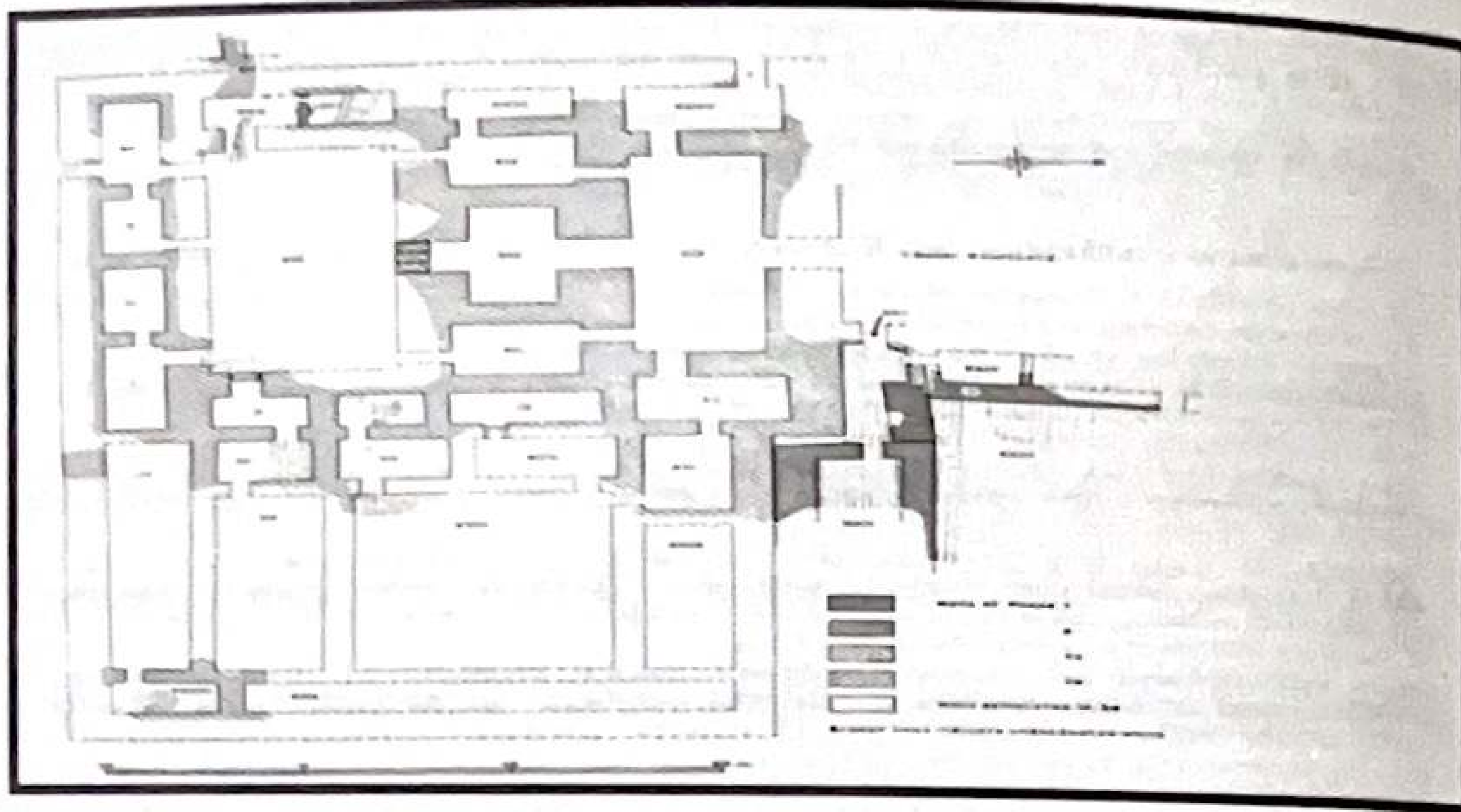
بتدخل الانسان وحيواناته المدجنة، او ربما بتغير طفيف في هطول المطر الحيوي او في مستوى الماء السطحي [٢٥]. وان السكان الحديثين متناثرون جداً (من حيث الكثافة السكانية) وفقراء اذا ما قورنوا بالناس الذين يعيشون في اسفل التلال، في تل اعفر وبلد سنجار.

وقد اتحد المسح السطحي والتنقيبات لبيان ان هذه المنطقة كانت ماهولة في عصور ما قبل التاريخ، وهذا يعني بمصطلح البحر المتوسط قبل نحو ٣٠٠٠ سنة ق.م. ولكن بانشاء خط من المدن التجارية جنوبي التلال، وربما كان ذلك في الالف الثالث، بدأت المنطقة تتمتع بأوج رخائها. وقد جلبت تلك المدن اهتمام الاثاري سيتون لويد الذي قام بمسح شامل لها في سنة ١٩٣٨ لمصلحة المدرسة البريطانية للآثار في العراق[٢٦]. وفي ١٩٦٤ اختار الآثاري ديفد اوتس تل الرماح من بين عدة مواقع مشابهة من اجل توسيع معرفتنا الضئيلة عن تلك المنطقة في تلك الحقبة. وقاد ثلاث بعثات في ستة فصول بين ١٩٦٤ و ١٩٧١. وكانت البعثات الثلاث الاولى بالتعاون مع فريق من بنسلفينيا [٢٧] وفي سنة ١٩٦٧ بدأ فريقه بكشف القصر المعاصر للقصر في ماري، واكتشف رقماً مسمارية ايضاً. وكانت الفرحة عظيمة حين قرأ اول مرة اسم ملك ماري المعروف، زمري- ليم في رسالة من تل الرماح. وتراكمت الادلة بالتدريج من النصوص لتبين ان تل الرماح ربما كان كارانا القديمة، المدينة التي تذكر مراراً في نصوص ماري [٢٨]. وفي الحقيقة ان الرسائل من ملوك كارانا وجدت في ماري قبل هذا التاريخ ونشرها فريق فرنسي بلجيكي. ولم تعد ماري تقف منعزلة، فقد كان الملوك القدماء على اتصال.

ان الزائر الحديث الى كارانا القادم الى الموقع من تل اعفر يرى تلاً فوق مركزه خرائب زقورة ومعبداً تظهر للعيان بوضوح وكذلك السور



صورة(١٣): خرائب كارانا



صورة(١٤): خارطة القصر في كارانا

الدائري تقريباً الذي يحيط المدينة. انه تل اصاب اللبن فيه العوامل الجوية وكان خالياً من الحجر، ويحيط به خندق لينقــل مياه الفيضان (السيول) المدمرة التي تتلف اللبن اسرع مما تتلف الحجر. في يوم من ايام الصحو يستطيع المرء ان يرى عبر السـهل البسيط الى تلال مشابهة دائرية الاسيجة هي تل هنيل وتل حويش، وحتى سلسلة جبل سنجار الواطئة. وينتصب في هذا المكان تلال تمثل مدناً تجارية اخرى من الحقبة البابلية القديمة. وعلى الرغم من انها لم تشخص حتى الآن فان بوسعنا ان نتأكد ان اسماءها القديمة مألوفة كلها لدينا من الرقم التي وجدت في ماري وكارانا.

اننا نعرف ان المنطقة لم تكن كثيفة السكان في الالف الاول قبل الميلاد. وحاول ملوك العصر الآشوري الجديد اعادة الشباب اليها ببناء مدن جديدة التي اسكنوا فيها اناساً مرحلين بالقوة من اجزاء مختلفة من امبراطوريتهم الواسعة. غير ان هذه المدن الجديدة كانت قصيرة العمر ويمكن ان يرى سبب اخفاقها لسوء اهمال الطرق البرية وفي التغير العظيم في الطرق التجارية بين الالف الثاني والاول الذي سار بالتلازم في التغير من العصر البرونزي الى العصر الحديدي. ولم تكن ثمة مدن ذات حجم جدير بالذكر في المنطقة منذ ذلك الحين.

ومن الواضح تماماً ان ثروة كارانا كانت تعتمد على البضائع ولا سيما القصدير القادم من الشرق الى الغرب ويعبر نهر دجلة قرب آشور. وان التغير العظيم الذي حدث في وقت ما عند نهاية الالف الثاني هو ان طريق القوافل التجارية الراحلة شرقاً وغرباً لم تعد تستمر في السفر غرباً من عرفة باستعمال معبر النهر.

وبدلاً من ذلك استمرت القوافل في اغلب الاحيان بالاتجاه شمالاً سيراً في جنوب تلال جبال زاكروس خلال اربيل، وقد اصبحت المنطقة اكثر استقراراً وسيطرة، وعبرت الزاب الاعلى في القوير او قرب كلك،

واتجهت غرباً لتعبر نهر دجلة في نينوى. وايضاً، من غير سيطرة كاملة تقريباً على التجارة في اثناء حقبة الامبراطورية الآشورية الطويلة، كانت جميع البضائع تميل الى التجمع في نينوى وآشور، وكانت تجارة المرور اقل بكثير من السابق.

ونتيجة لذلك تدهورت مكانة آشور بوصفها مدينة تجارية، على الرغم من ذلك استمرت بوصفها ميناء نهرياً للنقل الى اعالي دجلة واسفله. وظلت تتمتع بمجدها حاضرةً تراثية للدين والملكية الآشورية. وانتقل ملوك آشور الحديثة في اوائل الالف الاول بانفسهم متجهين شمالاً سالكين الطريق الرئيس واسسوا عواصم جديدة حيث يستطيعون الانتفاع المباشر من تلك التجارة وطرقها، في نينوى ونمرود وخور صاباد، ولا ريب في وجود اسباب اخرى لوجود هذه العواصم الجديدة: تجهيز ماء انظف وافضل، ونقطة ارشاد للحملات التي لا تكل نحو الشمال والشرق والغرب. ومواقع فسيحة جميلة جديدة، بعيداً عن القلعة المزدحمة في آشور، غير ان التغير في طريق التجارة كان مهماً ايضاً.

وعلى الرغم من ان طريق القصدير كان حيوياً بالنسبة الى كارانا، فلعله كانت خطوط اخرى للاتصالات لا نملك عنها الا معلومات اقل مما تزودنا بها النصوص. على دجلة في اقرب نقطة الى كارانا كان للتلين القديمين في اسكي موصل (نحو ٣٠ كم من كارانا) ونينوى (على بعد ٤٠ كم) موقعا احتلال مستمران خلال الالفين الثالث والثاني. وليس من الأمان الملاحة في دجلة صعوداً من اسكي موصل، غير ان الميناءين النهريين كانا يقومان مقام نقطتي عبور وسائط النقل في الرحلات النهرية التي تحتاج الى الانتقال من ضفة الى ضفة اخرى، ولا ريب ان كارانا قد افادت من قربها من نينوى واسكي موصل حينما كانت الظروف آمنة.

ثمة سمة اخرى لموقع كارانا الذي يدعو الى الاهتمام وهو مكانها على رأس مياه الثرثار، النهر الثالث، لبلاد الرافدين. المياه في فصل الامطار التي تجري جنوباً من الجبال لها اهمية ذات اعتبار، وتسيل الى الثرثار. انه نهر داخلي ومالح احياناً، ويصب فيه روافد موسمية صغيرة جداً، ويجري بموازة نهر دجلة على جهته الغربية، ويجري في ارض سبخة، ذات منخفض داخلي. ويحده قطاع من النباتات الدائمة، غير موسمية تساعد على حياة حيوانات المنطقة وبضمنها الماشية البرية والنعام. وكانت الآبار متكررة الوجود على مسافات صغيرة. ولاريب ان هذه الآبار كانت في خدمة الرحالة شبه البداة المتنقلين ببضائعهم ويفضلون اجتناب ضرائب المرور التي تفرضها آشور على التجار المحترفين الذين يستخدمون النهر.

وقد قام الملك الآشوري توكولتو – نينورتا الثاني (٨٩٠– ٨٨٤) برحلة غرباً من آشور الى الثرثار، ثم جنوباً، ويعطينا الوصف الوحيد الذي بحوزتنا عن المنطقة من السجلات القديمة، على الرغم من مرور قرابة الف عام بعد الحقبة البابلية القديمة.

((عبرتُ وادي الثرثار، واقمت مخيماً وامضيت الليل... وقد استنفذت(؟) ٤٧٠ بئراً في المنطقة المجاروة... وعند حملتي على طول ضفاف وادي الثرثار قتلت ثمانية ثيران برية)).

ولقد جرى التنقيب في جزء صغير من القصر في كارانا في الحقبة البابلية القديمة، لانه يقع على بعد امتار كثيرة تحت مستوى الارض، مكان صعب الوصول اليه اكثر من القصر في ماري [29] ولكننا نعرف من رسالة من ماري ان القصر في كارانا كان رائعاً بنحو خاص. فقد كتب احد موظفي ماري الى ملكه تقريراً بأنه زار ملك كارانا قائلاً: ((دخلنا قصراً فخماً حقاً)).

المجموعة الرئيسة من الرقم التي وجدت داخل اسوار القصر كانت تتألف من ٢٠٠ رسالة وسجلٍ اداري تهم الملكة ايلتاني مباشرة، وهي زوجة الحاكم عقبة– حمو، التي استغرقت نحو اربع سنوات. وكما كان الامر في ماري لم يكن ثمة اي معنى واضح لركام رقم ايلتاني ورسائلها وسجلاتها التي القيت في فوضى في ارض الحمّام، اما رُقم مغتصب العرش هاتنو رابي فقد كانت متروكة منذ عدة سنوات ولم ترفع من اماكنها حين انتهى حكمه على نحو مفاجئ. فقد ظلت ملقاة من غير نظام في حجرة اخرى من القصر. وقد وجد في الانقاض التي تغطي حجرتين اخريين بقايا الارشيف الملكي للخمور، مختلطاً بشظايا رسالة. لذا فإن سمتين خاصتين من سمات الحياة التي اضيفت الى الصورة التي قدمتها رُقم ماري هما دور الملكة وتقسيم حصص الخمور. كانت معظم الرقم في حالة جيدة، ونشرها جميعاً فريق من الباحثين البريطانيين[30].

التنقيب في جاكار بازار و شمشرة:

يقع موقع اسمه جاكار بازار في ريف خصب رائع في القسم الشرقي من المثلث الذي تصنعه فروع نهر الخابور الاعلى. ويظل الاسم القديم لهذا الموقع غير مؤكد. وقد نقب فيه بين ١٩٣٢ و ١٩٣٩ بعثة بريطانية بقيادة ماكس مالاوان وزوجته اكاثا كريستي [31]. وجدا بعض الحجرات التي كانت دونما ريب جزءاً من قصر شبيه بقصور ماري وكارانا. اكتشفا في هذه الحجرات نحو مئة لوح طيني وهي سجلات ادارية من قسم القصر الذي يتعامل بالشعير: الشعير للخبز والجعة، والعلف لجميع انواع الحيوانات والطيور، والحصص لجميع انواع شخصيات القصر، صادرة في اثناء حكم شمشي ادد الاول، ملك بلاد آشور، ولعل ماري وجاكَار بازار كانتا تابعتين لاقليم واحد يحكمه الابن الاصغر لذلك الملك. كانت

مدة تلك السجلات سنوات قليلة ولكنها زودت الباحثين بـمعلومات ثمينة جداً ولا سيما ما يخص المواشي التي تشكل تكملة للالواح الكوزموبوليتية (العالمية غير المحلية) من ماري وكارانا، وانها معاصرة تماماً لاحدى مجموعات الواح ماري[٣٢].

وثمة موقع رابع اسمه شمشرة، شوشرة القديمة الذي انتج الواحاً اضافت معلومات الى معلوماتنا عن هذه الحقبة. وفي سنة ١٩٥٧ نقبت بعثة دنماركية في تل قديم كان المفروض اغراقه بانشاء خزان ماء جديد في جبال قرب رانية، شرقي دجلة. ووجدوا ١٤٦ رسالة وسجلاً، وبما ان قليلاً منها نشر، فإن معلومات قليلة متوفرة لدينا. انها معاصرة تماماً لالواح من ماري وجاكار بازار وسوف تزودنا في آخر الامر بمزيد من التفصيلات الاضافية عن جزء مهم من المملكة الآشورية القديمة[٣٣].

لقد كان عصر دويلات صغيرة وملوك ثانويين طموحين، عصر قصور جميلة، واتصالات وثيقة، وملكات ادّين دوراً متميزاً في حياة القصر. وفوق كل شيء فإنه كان عصراً كتب فيه الناس رسائل متكررة شخصية ورسمية وحفظ سجلات جميع المعاملات والاجراءات التجارية. وإذا ما جمع المرء الادلة من جميع هذه التنقيبات ومجموعاتها الكثيرة من الالواح فإن صورة حية متوازنة تظهر من حياة القصر في الالف الثاني.

ملاحظات الفصل

١- وولي، "المقبرة الملكية" تنقيبات اور الجزء الثاني ١٩٣٤، ولاحدث المعلومات انظر وولي وموري، اور الكلدانيين، لندن ١٩٨٢.

٢- في بعض السياقات وبعض الحقب يوجد احتمال ان تعني "اناكوم" الرصاص كما تعني القصدير. الاحتمال الثاني فارسي وهو ان "انوك" قد تعني القصدير والرصاص، انظر جي دبليو الآن في "تكنولوجيا المعادن الفارسية" ٧٠٠- ١٣٠٠ ب.م. لندن ١٩٧٩، ص ٢٥.

٣- لم تعد كانيش المدينة الوحيدة التي جرى التنقيب فيها حيث كان فيها مستوطنة تجار اجانب. وقد كشفت التنقيبات في السيمهويوك غربي كانيش عن مدينة مشابهة. ومن بين اللقى الرائعة اختام طينية من ودائع ختمتها شخصيات رفيعة آنذاك من ماري: شمشي- آدد، ملك كركميش، واحدى بنات زمري- ليم ملك ماري، انظر ايضاً الملاحظة ٢٤ الفصل الثاني.

٤- توجد ثلاث دراسات عن هذه المستوطنة: ب. كارليلي، الاشوريون في كبودشيا (بالفرنسية) باريس ١٩٦٣. و.ك.ل. فينهوف "معالم التجارة الآشورية" ليدن، ١٩٧٢. و.م.ت. لارسن "اجراءات قوافل اشورية قديمة" اسطنبول ١٩٦٧.

٥- هذا الخشب من شجرة ضخمة اسمها سيسو (البرجيا)، الذي ما يزال يستعمل عادة للاثاث في افغانستان وباكستان. وهو يشبه الابنوس في لونه وغالباً ما ينقش باشكال معقدة.

٦- ع لوح بابلي قديم اكتشف في دورا يوروبوس وختم بختم احد ملوك هانا، انظر ف. جي ستيفنس "لوح مسماري من دورا يوروبوس "النشرة الآشورية (بالفرنسية) العدد ٣٤/ ١٩٣٧، ص ١٨١ وما بعدها.

٧- انظر ب. كروبيك، ذخيرة جغرافية من النصوص المسمارية (بالفرنسية) القيد ٣٠، فيزبادن، ١٩٨٠.

٨- تتحدث سجلات ماري من تيما Tema (نشرة الآشوريات ٦٤/ ص ٢٥) واذا كان هذا التشخيص صحيحاً باسم تيماء Tayma في البلاد العربية (التي ما تزال موضع نقاش) فان مستودعات النحاس في وادي عربـــة كانت سوقـــاً اولياً في البلاد العربية وان الطريق الصحراوي لتيماء- بترا- قـــطنا يمكن ان يكون موجوداً في هذا الوقت بترا (اسم سامي لرقمو) لم يكن موجوداً في ذلك الحين في تلك السجلات المسمارية.

٩- ان افضل تحـــليل اجمالي للاســـــماء الاكدية ما يزال هو من تأليف J.J. Stammn,Akladisch Namengebung لايبزك ١٩٣٩. وللاسماء الامورية من مـــاري انظـــر: H.B. Hoftmon, Die Amorite personl. Names في نصوص ماري. جون هوبكنز بريس، ١٩٦٥.

١٠- العيلامية لغة جنوب غربي ايران، غير ممثلة في الاســـماء الاصلية لماري وكارنا.

١١- ج. ر. كوبر (البدو في بلاد الرافدين في ايام ملوك ماري).

١٢- هذا مثل محاولة مبكرة لربط الاسماء الانجيلية واحداثها ربطاً وثيقاً برسائل ماري.

١٣٤- تقارير تمهيدية من التنقيبات التي نشرت في مجلة Syria من رقـــم ١٦، ١٩٣٦ فما فوق.

١٤- انظر بريجاود ANAL الطبقة الثالثة ص ٢٦٥ وما بعدها.

١٥- ب. ماتيا Matthiae، امبراطورية اعيد اكتشافها لندن ١٩٨٠.

١٦- عن تنقيبات قطنا، انظر لوكونت دو ميسفل دوبيســـون "خرائب المشـــرفة" Syria ٧/ ١٩٢٦، ص ٢٨٩ وما بعدها "قطنا القديمة" ١٩٢٨ /٩ Syria، ص ٦٦ وما بعدها و ص ٨١ وما بعدها.

١٧- واي يادين "هازور" محاضرات شفايخ ١٩٧٠، نشـــر لندن ١٩٧٢. (لعل هازور هي الخازر- المترجم).

١٨- اي- بارو "بعثة ماري الثانية القصر

١- العمارة ١٩٥٨

٢- رسوم جدارية (١٩٥٨).

٣- وثائق ونصب تذكارية (١٩٥٩).

١٩- انظر اس. آي فيكن، " نصوص شرعية وادارية من حـــكم سامســـويلونا"، سلسلة جامعة ييل الشرقية، نصوص بابلية، المجلة الرقم ٧٠ مجلداً.

٢٠- نشر حتى الآن ١٦ مجلداً من هذه النصوص في سلسلة ARM (الارشـــيف الملكي في ماري)، باريس ١٩٥٠ وما بعدها، باقلام جي دوسان، سي. اف. جان، جَي آر. كوبر، جي. بوتيرو، جي بـــوير، ام. بـــيروت، ا. فينيه، او. راؤل، هـــ. ليميه. ونشـــرت منها فهارس لجميع هذه المجلدات منفصلة في مجلات يمكن الحصول عليها في بيرو وكوبر وراؤل. ARM xviii ذخيرة تحليلية باريس ١٩٧٩ وفي غيرها.

٢١- شخّص المنقب الحجرة ٢٤ بما فيها من مصاطب مبـــنية من اللبـــن تشبـــه الكراسي كأنها مدرسة كتابية. وظل هذا الامر موضع تساؤل، لأنه لم يعثر على نصوص تمارين مدرســـية منها. يمكن ان تكون المصاطب مناسبـــة للخياطين.

٢٢- انظر جي- ار. كوبر "بهدي- ليم، حـــاكم قـــصر ماري" الاكاديمية الملكية البلجيكية، نشرة اصناف رسائل" السلسلة الخامســـة الجزء XL بروكســـل ١٩٥٤.

٢٣- انظر بيرو، ARM XIII ص ٤٧.

٢٤- انظر بنحو خاص اف ثورو دانكان " عن آداب في رقم ذات اصل من ماري" سيمبولي ب، كوشكر، ليدن ١٩٣٩ ص ١١٩- ١٢٠.

٢٥- مصطلح قصير، ويبين التغيرات المناخية الهامشـــية لا يمكن اقـــتفاؤها في الحقبة الجيولوجية الحديثة حتى الآن بصورة مستقـــلة عن الادلة التاريخية

وقد اوجز م. راوش المسألة ايجازاً جيداً. ((البيئة الطبيعية ومشكلة البدو)) ليبج ١٩١٧.

٢٦- س. لويد "بعض المواقع القديمة في منطقة سنجار" حملة Iraq ٥/ ١٩٣٨ ص ١٢٣ وما بعدها.

٢٧- تقارير تمهيدية من التنقيبات نشرت في مجلة Iraq من العدد ٢٧/ ١٩٦٥ الى العدد ٣٤/ ١٩٧٢. ولمزيد من البيبليوغرافيا انظر ماسيئر الخ.. Reallexion der Assyriologie s.v.Kavana .

٢٨- اثيرت مشكلة بصدد اسم كارانا التي تشبه الكلمة الاكدية كارانوم "الكرم، الخمرة" ويبين دليل غير مباشر ان الالهة التي يقدم اليها هي كيشتين- انّا، وهي في الاصل إلأهة سومرية يمكن ان يترجم اسمها الى كرمة السماء. كارانانوم هي ترجمة الكلمة السومرية "كيشتين". على ان المنطقة المجاورة لكارانا ليست منطقة زراعة كروم (اعناب) في الازمنة الحديثة والنصوص القديمة لا تؤيد زراعة الكروم، لذا فمن الممكن ان تكون الصلة متوافقة.

٢٩- ما زال من السابق لاوانه محاولة وتقدير مدى المملكتين او مقدار نفوسهما.

٣٠- سلفادور دالي، جي هاوكنز وسي ووكر. "النصوص البابلية القديمة من تل الرماح" لندن ١٩٧٦.

٣١- ام، اي، ايل، مالوان "التنقيبات في تل جاكَار بازار" مجلة ١٩٣٦/ ١٣ Iraq ص ١ وما بعدها، رقم ٤/ ١٩٣٧، ص ٩١ وما بعدها.

٣٢- سي جي. كاد، الواح من جاكَار بازار مجلة Iraq ١٩٣٧/ ٤، ص ١٧٨ وما بعدها، و ١٩٤٠/٧ Iraq، ص ٢٢ وما بعدها، او لوتيس نص من جاركَار بازار" في ليسان ميثورتي، فيستشرفت فور دبليو فون سودن ١٩٦٩.

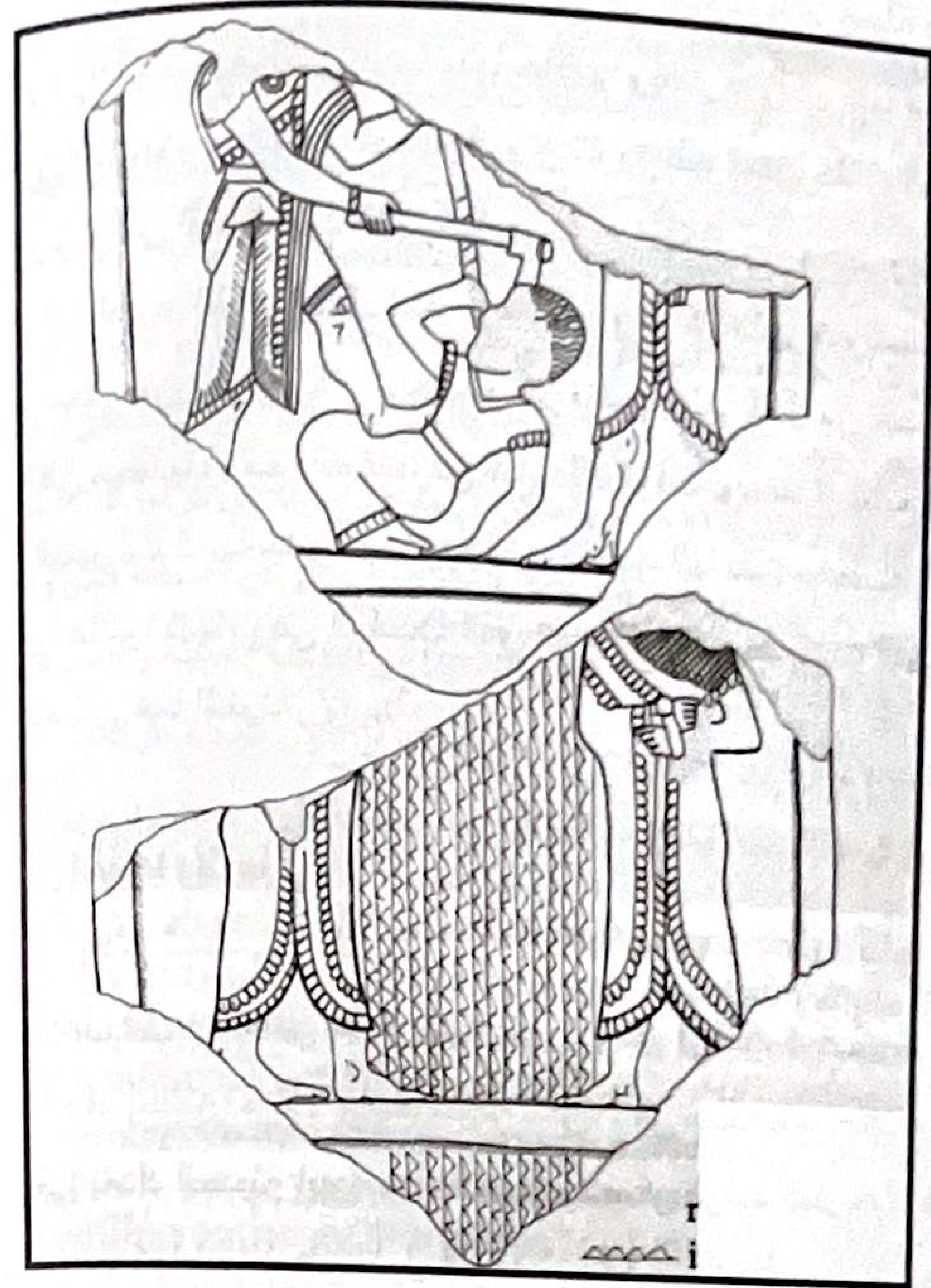
٣٣- جي، ليسوي، "الواح شمشرة" تقرير تمهيدي، كوبنهاكن، ١٩٥٩.

الفصل الثاني
الحكام وتابعوهم

تضم بلاد الرافدين كلها من الشمال الى الجنوب مدناً جميلة كثيرة ذات عراقة عظيمة، لكل واحدة منها حاكمها وقصره، ولكل منها معبدها البارز الذي يؤوي آلهتها الحامية. وان تاريخ تلك المدن خلال العصر البرونزي من اقدم العهود التاريخية هو تارخ احتكاك وانتهاكات وطموح ادى الى امبراطوريات قصيرة العمر ومراكز متغيرة. وتشمل الارشيفات من ماري وكارانا حقبة وجيزة نسبياً لعلها اقل من خمسين سنة في مجملها، ومع ذلك فإننا في اثناء ذلك الوقت بوسعنا ان نتتبع كثيراً من التغيرات السياسية والعسكرية التي لا ريب انها بدت ساحقة للناس الذين عاشوا فيها. وفي الوقت الذي نبدأ فيه قصتنا كانت المدينتان المهيمنتان هما اشنونا ولارسا.

اشنونا ولارسا:

عاش شمشي- ادد الاول (١٨٦٩- ١٨٣٧ ق.م.) في المنفى في بلاد بابل قبل ان يعتلي عرش بلاد آشور. وكان في ذلك الوقت موطن اجداده قد احتلته احتلالاً واسعاً سلطة اشنونا وهي مملكة طموح تقع الى شرقي بغداد الحديثة (بين بغداد الجديدة ومعسكر الرشيد المترجم) وقد توسع ملوكها شمالاً على طول الضفة الشرقية لنهر دجلة، محتلين مدناً آشورية ومسيطرين على الطرق التجارية [1]. وفي الوقت نفسه كانت الى الجنوب من بلاد بابل القوة العظمى في تلك الحقبة هي مملكة لارسا التي حكمها ملكها المعمر ريم- سين الاول (١٨٧٨- ١٨١٩ ق.م.) الذي



صورة (١٥): مسلة انتصار دادوشا، ملك اشنونا

شملت امبراطوريته معظم المدن العظيمة في بلاد بابل. وعدّ بين اتباعه جدّ حمورابي البابلي وابوه ومن ثمّ حمورابي نفسه). وهو ملك ثانوي في مدينة من الدرجة الثانية لها إله تافه يدعى مردوخ.

بلاد آشور ولارسا:

لم يحظ شمشي – ادد بالنجاح السريع حينما قرر أن الوقت قد حان لكي يعود الى موطنه ويطرد الغزاة القادمين من اشنونا ويغتصب عرش آشور [٢]. استولى على مدينة ايكالاتوم [٣] "القصور" التي تقع على بعد ثمانية عشر كيلومتراً من آشور على ضفة دجلة الاخرى، ولكن مضت تسع سنوات قبل ان يستطيع السيطرة على آشور نفسها حيث توّج ملكاً وبدأ برنامجاً واسعاً للبناء على انقاض معابدها المهدمة.

وفي اثناء حكمه الذي امتد ثلاثة وثلاثين عاماً احرز امبراطورية وازاح اشنونا بوصفها قوة قائدة في اعالي دجلة. وتوسع غرباً حتى استطاع ان ينصب مسلات نصره على سواحل البحر المتوسط، وتوسع شمالاً حتى شعر بتأثيره ملوك توكريش وهي بلاد جبلية شمالي عيلام الذين ارسلوا له الجزية.

وبدلاً من تعيين حكامٍ من آمري جيشه وضباطه، قسّم امبراطوريته ثلاثة اقسام وتحمل مسؤولية احد الاقسام، وجعل ولديه اشمه- داكان ويسمح- عدّو على القسمين الآخرين. كان اشمه- داكان مسؤولاً عن البلاد الواقعة شرقي دجلة واتخذ ايكالاتوم عاصمة له وهي مدينة موقعها جيد لهذه المهمة. كان اسمه اشمه- داكان يلفظ بشكله الاكدي لأن الأكديين فاقوا في عددهم الاموريين في ذلك الجزء من المملكة.

وسيطر الاخ الاصغر يسمح- عدّو على القسم الغربي من الامبراطورية من مدينة ماري حيث طرد شمشي- ادد العائلة الحاكمة



صورة (١٦): آشور، عاصمة شمشي ادد الأول، على دجلة

المحلية. وبما ان اقليم يسمح- عدّو كانت تسكنه اكثرية امورية فإن اسمه اتخذ شكلاً امورياً.

وكان شمشي- ادد يحكم من عاصمة، لايعرف موقعها، اسمها شوبات- انليل في مكان ما شمالي مملكته. وكانت نينوى في ذلك الحين مدينة مهمة تحت سيطرته[1]. وبما انه يحكم الاكديين والاموريين فإن اسمه كان يلفظ بطريقتين: شمشي- ادد بشكله الاكدي، وسمسي- عدّو بشكله الاموري.

وفي الوقت الذي استمرت مملكة آشور الثلاثية بالازدهار تحت حكم شمشي- ادد وولديه، حافظت لارسا على قبضتها على جنوبي بلاد الرافدين وظلت اشنونا في سباتها على الرغم من انها حاولت مرتين ان تستعيد مجدها القديم. وما زالت بابل تقوم بدور ثانوي على المسرح العالمي. ومن تلك الخلفية التاريخية تأتي مجموعة الرسائل الاولى من ماري، سجلات فترة الانقطاع الآشوري في أيما شيء ذي صلة.

كان الاميران اشمه داكان ويسمح- عدّو، اللذان ساعدا والدهما في ادارة الامبراطورية الآشورية، مختلفتين في شخصيتيهما، كما نعرف من الرسائل التي وجدت في ماري بان يسمح عدو كان ادارياً بطيئاً، مغرماً بالخمرة الجيدة، وكان اخوه مثالياً بالغاً حد الكمال، وقائداً نشيطاً يتعامل بحزم في المشكلات العسكرية والمدنية. وعبّر شمشي- ادد بعبارات اكدية عن سخطه على ابنه الاصغر.

" اكلم يسمح- عدّو، هكذا يقول والداك شمشي- ادد. قرأت رسالتك التي ارسلتها اليّ. صار الناس يتحدثون عن موبال- شاكا في السنوات الثلاث الماضية ولكنك لم تقم بعمل اما بالدفاع عنه او بادانته. فقد ابديت لا مبالاة تامة ازاءه. أما زلتَ طفلاً؟ أليس لك لحية على ذقنك؟ وحتى في ريعان حياتك لم تنظم لك اسرة مناسبة. ومنذ ان مات اوصور- اواسّو

من كان يدير بـيتك؟ تعهد انك سـوف تعيّن موظفاً خلال يومين او ثلاثة ايام، لئلا تختفي هذه الوظيفة. ليس بوسـعي ان افهم لماذا لم تعين رجلاً لتلك الوظيفة في اليوم الذي صارت فيه شاغرة. وكتبت اليّ عن سـين- ايلوني قـائلاً: سـين- ايلوني صغير جداً: اظن انك لم تلاحـظ انه كان صغيراً جداً بالنسبة الى وظيفته السابقة! ولكن لماذا تصغي الى اقـاويل سين- ايلوني ولم تقم بأي عمل بشأن موبال- شاكا؟ من يوجد هنا استطيع ان اعينه لوظيفتك؟ يجب ان تعرف الاشخاص التابـعين لك! عيّن رجلاً يرضيك".

وجد يسمح- عدّو تقارباً روحياً لدى ملك كركميش المسمى ابلاهاندا. وكانت كركميش تقـع في منطقـة عامة لانتاج الخمور، كتب ابلاهاندا الذي يعرف بولع يسمح- عدو بالخمرة قائلاً: " إذا كنت لا تملك خمرة جيدة تشربها، اكتب اليّ لكي ارسل لك بعض الشراب الجيد. وعلى الرغم من ان مدينتك بعيدة جداً فأكتب اليّ كلما احـتجت الى اي شـيء اطلاقاً لكي اقدم لك ما تريد". ويبدو ان يسمح- عدّو قـدم طلبـات، لأن رسالة اخرى من ابلاهاندا تقول: "ارسلت لك الآن بيد أبي- عدّو وياوي- ايلا خمسين جرة خمر من النوع الذي اشربه، وخمسين جرة عسـل (او شراب)، ورداء واحداً من الكتان وخمسة طالنات من الاحجار المنسقة".

كثيراً ما كتب اشمه- داكان الاخ الاكبر الفاضل الى يسـمح- عدّو ليخبره من انجازاته العسكرية في شيء من التفصيل. "أكلم يسمح- عدّو، هكذا يقول اخوك اشـمه داكان. حـين اسـتوليت على مدن تارام وهتكا وشونهام فقدمت الى هورارا واحطت تلك المدينة وجلبت برج حـصار وكبشاً لدكها واستوليت على تلك المدينة خلال اسبوع. خبر جيد!)).

امتعض يسمح- عدّو من بسالة اخيه ومن انتقادات ابيه القاسـية.

وكان في رسائله الى ابيه شمشي- ادد الذي يخاطبه بـأدّايا أي "بابـا"، يحاول ان يبرىء نفسه او يحاول ان يحبط انتقادات والده القاسية القادمة، " أكلم بابا، هكذا يقول ابنك يسمح- عدّو. قرأت الرسالة التي ارسلها بابا اليّ تقول فيها: الى متى يجب ان نبقيك في حكم قيادي؟ انت طفل ولسـت رجلاً ناضجاً وليس على خديك شعر، الى متى سـتخفق في توجيه اهل بيتك على نحو لائق؟ ألا ترى ان اخاك يوجه جيوشـاً ضخمة؟ انت وجه فقط قصرك واهل بيتك على نحـو لائق!" هذا ما كتب الي بابـا. والآن، كيف يمكن ان اكون مثل طفل وغير قادر على توجيه الامور في الوقـت الذي اعلى بابا منزلتي؟ كيف يمكن ان يكون ذلك وقد نشأت مع بابـا منذ ان كنت صغيراً، والآن نجح احد الخدم او غيره في تجريدي من محبـة بابا؟ لذا فإني قادم الآن، لاحسم الامر مع بابا بشأن تعاستي".

كان يسنح- عدّو يفتقر كثيراً الى الثقـة حـتى وجب على اخيه ان يذكره بتقديم الاضاحي في المهرجانات، وذات مرة حين كان قلقاً بشـأن نتيجة اخذ التكهن الكبدي (الذي يمكن التنبؤ منه بـنتيجة عمل مستقبـلي خاص) ارسل الكبـد او نموذجاً له إلى أشـمه- داكان الذي كتب يخبـر يسمح- عدّو ان تفسيره كان مغلوطاً وانه لا يوجد اي سبب للذعر.

ادرك شمشـي- ادد ان عدم نضج اخيه الاصغر قـد يجعله يوجه جيشه متهوراً لذلك كتب اليه ينبهه لكي يسيطر على طيشه، مقتبسـاً مثلاً معروفاً في اليونانية القديمة [5] واصبح واسع الانتشـار في ما بـعد في اوربا.

" انت تواصل البحث عن فرصة لقتل العدو وهو يواصل البحـث عن فرصة ويجوس خلسة حولك-مثل مصارعين يبحث كل واحد منهما

عن فرصة ضد الآخر. ولكن التفت الى المثل القديم الذي يقول " الكلبة في استعجالها تلد جراءً عمياً، فلا تتصرف بالطريقة نفسها".

ماري:

قبل ان يتسنم شمشي- ادد السلطة في بلاد آشور كانت ماري مملكة مستقلة يحكمها ملك قوي اسمه يحدون- ليم. وقد سيطر يحدون- ليم على ضفتي الفرات وبضمنها تيرقا وتوتول، مركزا العبادة العظيمان للاله داكان، وزاد انتاجية ارضه بشق قناة جديدة تربط الخابور بالفرات وسماها باسمه.

" شققت القنوات وجعلت الذين يستقون الماء من الآبار لا ضرورة لهم" ذلك ما صرح به في كتابة ملكية له[٦]. ولكي يحمي شعبه بنى حصوناً جديدة واسواراً دفاعية لمدنه وقاد حملة الى ارز لبنان للحصول على اخشاب ثمينة متوقفاً عند ساحل البحر المتوسط لتقديم اضحية الى البحر المحيط واعطاء جنوده الفرصة للسباحة في البحر. وسقط كثير من الملوك المجاورين امام هجومه العدواني، واستفاد من تشغيلهم بوصفهم اسرى ومن ثروتهم بوصفها غنيمة.

كان ليحدون- ليم ابن اسمه زمري- ليم قُدر له ان يخلف اباه بعد اضطرابات طويلة وسنوات كثيرة في المنفى. وخلف يحدون- ليم مدة وجيزة رجل اسمه سومو- يمام لعله كان مغتصباً. واسلافه مشكوك فيهم[٧]. وسرعان ما مهد الطريق الى الآشوريين الغزاة واستولى على عرشه واحتله يسمح- عدّو.

وحين حكم الآشوريون محتلين ماري، كانت العائلة المالكة في ماري، سليلو يحدون- ليم، قد التجأت الى حلب على الارجح، عاصمة

مملكة يمحد العظيمة. وتزوج زمري- ليم ابنة الملك يمحد وبقي في المنفى هناك سنين كثيرة. وحتى حين توفي شمشي ادد وبدأت امبراطوريته تتقوض فإن زمري ليم لم يعزل يسمح عدّو مباشرة[٨] لأن رجلاً اسمه ايشار- ليم[٩] استغل فرصة الاضطراب واستولى على العرش مدة وجيزة جداً.

اشنونا: حاولت الانبعاث:

كان موت شمشي- ادد في ايام جَيشان عظيم واضطراب شديد في شمالي بلاد الرافدين. وقد غزا حاكم اشنونا، ايبال- بي- ايل الثاني، شمالي بلاد الرافدين بجيش عظيم، ولا ريب انه كان يأمل في ملء فراغ السلطة، ويأمل ايضاً في زيادة جيشه بالتحالف مع حمورابي البابلي، غير ان هذا الامل لم يتحقق. فقد غزا ايبال- بي- ابل مرتين في الاقل بعد موت شمشي- ادد. وفي المناسبة الاولى كان يسمح- عدّو والآشوريون ما يزالون متمسكين بالسلطة في ماري، ولكن سامو- عدّو يتمتع بأيامه الاخيرة حاكماً على كارانا[١٠] "كلم يسمح- عدّو، هكذا يقول اشمه داكان، اخوك. كتبت اليك قبلاً اقول لك انني ذاهب الى كارانا لاساعد سامو- عدّو. لقد تجمّع ملك اشنونا وجميع جنده ورجال حاشيته واصدقاؤه وهم ماكثون في اوبه[١١]، وظل يكتب الى حاكم بابل (حمورابي) ليلتقيه في مانكيسوم، ولكن حاكم بابل لم يوافق".

لا ريب ان ظهور جيش من اشنونا بسرعة فائقة بعد موت شمشي- ادد قد احدث تغيرات كثيرة في التحالفات واعادة تجمع الولاءات. ولعل هذه الحادثة كانت الضربة القاضية للسلطة الآشورية في ماري لان زمري- ليم من العائلة الحاكمة القديمة في ماري قام الآن على نحو حاسم

بعودة ناجحة الى عرش اسلافه، ولعل ذلك كان بمساعدة حميه (ابي زوجته) القوي وطرد الآشوريين من ماري[٢٢]. كان زمري- ليم آخر ملك مستقل في ماري، وهو اشهرهم لان معظم الالواح من القصر في ماري تعود الى حكمه.

كارانا:

في الوقت الذي كانت المراسلات بين شمشي- ادد ويسمح- عدّو تكتب وتودع في القصر في ماري، كانت كارانا يحكمها رجل اسمه سامو- عدّو. كان له ابن اسمه اشكور- عدّو، وابنة اسمها ايلتاني (سنسمع عنها المزيد) بين عدة اطفال آخرين، وكان تابعاً لشمشي- ادد ملك بلاد آشور[٢٣].

سامو- عدّو كان متحالفاً حلفاً وثيقاً مع الآشوريين حتى انه لما ضعفت سلطتهم اصبحت ايامه معدودة، واستولى على عرشه مغتصب اسمه هتنو- رابي. وفي الوقت الذي كان هذان الحاكمان الجديدان، زمري ليم وهتنو- رابي، يجد ان موطئ قدم في ماري وكارانا، غزا ايبال- بي- ليل ملك اشنونا مرة اخرى بعد سنة واحدة من غزوته الماضية.

ولم تعد بلاد آشور قوة يحسب لها حساب. وخلف اشمه- داكان اباه شمشي- ادد فاصبح ملكاً وظن ان احلافه كانوا اقوياء جداً بحيث يمكنونه من اتقاء خصومه الذين يحاولون انتهاك حرمة اقليم والده. وكان شديد الثقة حتى انه تباهى لدى اخيه يسمح- عدّو بعد تتويجه قائلاً:

"لما جلست على عرش بيت أبي اول مرة، كنت في خضم الانشغال حتى انني لم استطع ان اكتب اليك لأخبرك عن حالي. ولكن

الآن، انت اخي وليس لي اخ غيرك. فلا تقلق ابداً. عرشي هو عرشك وانني اتمسك بادد وشمشي بيدي وامسك بزمام ملك عيلام وملك اشنونا. لاتقلق ابداً ما دمت انت وانا على قيد الحياة، وسوف تجلس دائماً على عرشك".

وقد اثبتت الاحداث انه كان مخطئاً فأظهرت انه كان مسرفاً في ثقته: فقد خسر امبراطورية والده وغدا حاكماً ثانوياً لا قيمة له. ونادراً ما كان يذكر في رسائل زمري- ليم في ماري.

وقد استولى على كثير من امبارطوريته الشرقية والشمالية الترّوكو وهم حوريون من التلال في سفوح الجبال[٢٥].

سامو- عدّو طرده من السلطة انقلابي دعي اسمه هتنو- رابي في كارانا، ولعل العائلة المالكة كلها في هذه المرحلة دخلت المنفى مع ابنتهم ايلتاني في اشنونا، شرقي دجلة، مكرهين على البحث عن ملجأ لدى الحليف الذي خذلهم. هتنو- رابي، عدو بلاد آشور واشنونا، انضم الى ائتلاف يضم زمري- ليم ملك ماري، وكان حاضراً عند نهب شوبات- انليل، التي كانت مسكن شمشي- ادد الملكي، وهي حادثة تسجل الضربة القاصمة للسلطة الآشورية المبكرة في شمالي بلاد الرافدين. وفي اثناء النهب اخذ الجزية التي هي من حق حليفه زمري- ليم وابنه ملك دولة مجاورة لافتقاره الى الطريقة المتفقة مع القواعد والاصول. كان هتنو شخصاً مخادعاً لا يوثق به، وكان اخلاصه لزمري- ليم في مواجهة التهديد الثاني من اشنونا موضع شك على وفق رسالة من يقيم- عدّو حاكم الميناء النهري في سكّار اتوم على نهر الخابور، الى مولاه وسيده زمري ليم في ماري. وهي تبين كيف فتح هتنو- رابي مفاوضات مع ايبال- بي- ايل بعد ان قتل ذلك الحاكم بعض رجال رازما. وقد اكره ملك رازما على مشاركة القوى مع ايبال- بي- ايل، واغرى جاره القريب هتنو- رابي ان يفعل مثل ذلك.

غير ان مطامح اشنونا قدر لها ان تبوء بالخيبة وانسحب جيشها من غير مكاسب اقليمية، وكشفت في القصر في كارانا عدة رسائل تسلمها هتنو - رابي في كارانا من حكام مجاورين. ونتعرف من هذه الرسائل على دليل يثبت ان اصدقاء هتنو - رابي الخاصين بين دويلات مدن مجاورة كان شاريا ملك رازما وبونو - عشتار (ويعرف ايضاً باسم بينا- عشتار) الذي لايُعرف اقليمه حتى الآن[16]. نظم هؤلاء الملوك الثلاثة، هتنو - رابي وشاريا وبونو - عشتار تحالفاً لمساعدة زمري ليم. "اكلم هتنو - رابي، هكذا يقول بونو - عشتار اخوك. حين تقرأ رسالتي، انت، شاريا والملوك الآخرون الذين الى جانبك اتفقوا وحشدوا ٤٠٠٠ رجل في ما بينكم. وانا سوف احشد من هنا ٢٠٠٠ رجل وسيكون مجموع الحشد الاول والثاني ٦٠٠٠ رجل اشداء.

لنجتمع في ما بيننا ونرسلهم بسرعة لمساعدة زمري - ليم، لنعمل في الحقيقة لانقاذ زمري ليم. هذه مسألة لا تحتمل الاهمال.

لنقم بأنفسنا بهذه المهمة لكي نرسل الجند الى زمري ليم بأسرع وقت. عسى ان لا يهمل اخي رسالتي هذه!".

لعل هتنو - رابي لم يحكم طويلاً على عرش كارانا. ولعل شخصيته المذبذبة جعلت الحاكم الاعلى في ماري يدبر أمر سقوطه المفاجئ ولعل رجلاً مؤيداً لزمري ليم وضع على العرش، وليس غير اشكور عدّو ابن الملك العجوز سامو - عدّو ولعله عاد حديثاً من المنفى في اشنونا.

حكم اشكور عدّو كارانا في اثناء حكم زمري ليم في ماري. وهو الملك الذي زخرف القصر في كارانا الذي اصبح منزلاً ملكياً جديراً بالتعليق عليه في خارج البلاد[17].

بقي اشكور - عدّو في السلطة في كارانا معظم ما بقي من حكم زمري - ليم. ومن المحتمل ان اخته ايلتاني عاشت هناك ايضاً وتزوجت كاهناً - باروم، وهو رجل يتنبأ بالمستقبل من احشاء الحيوانات[18].

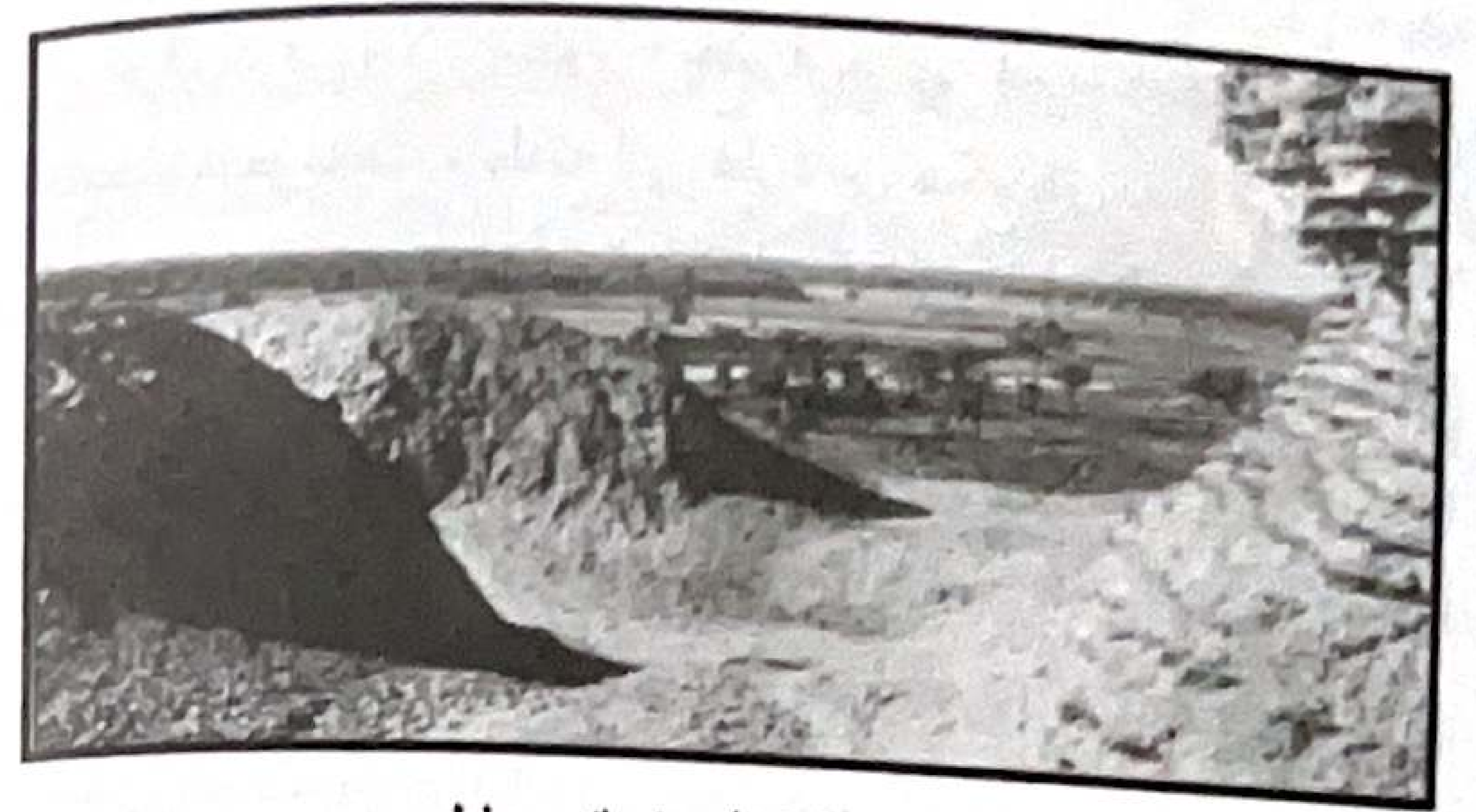
وقد كوفئ ولاء اشكور - عدّو لزمري - ليم بالحماية. ففي احدى المناسبات تعرضت منطقته الى غارة من حاكم كان تابعاً الى زمري ليم ولكن زمري ليم امره باعادة الممتلكات المسروقة في الغارة.

وفي خلال عشرين سنة من هيمنة زمري ليم ساد السلام في اعالي بلاد الرافدين وازدهرت التجارة.

نهوض بابل:

بقي حمورابي البابلي (١٨٤٨- ١٨٠٦ ق.م.) في الظل بين ريم- سين ملك لارسا وشمشي - ادد ملك آشور في العقد الاول من حكمه. ولم يستغل موت شمشي - ادد الذي حدث في السنة العاشرة من حكمه، لمصلحته الخاصة، على الرغم من انه اسرع بالتراسل مع زمري - ليم. وبعد عشرين سنة اخرى اطاح بملك لارسا وبدأ يبني امبراطوريته الخاصة، وبعدمدة وجيزة اصبحت ماري وبابل القوتين العظيمتين في بلاد الرافدين بقيادة زمري ليم وحمورابي.

اعتلى عرش اشنونا حاكم جديد، هيلي - سين (ويعني اسمه إله القمر يحميني) انعش طموحات قديمة للفوز بالسلطة في شمالي بلاد الرافدين. فغزا منطقة كارانا وفرض الحصار على رازاما التي كان ملكها شاريا صديقاً مخلصاً لملوك كارانا[19]. اثارت هذه الاحداث ازمة في قيادة كارانا. فقد حاول اشكور - يحدّو ان يبقى مخلصاً لزمري - ليم الذي ارسل كتيبة من الجند لمساعدته، غير ان صهره (اخا زوجته) عقبة حمو، اعتقد ان ميزان القوة ابتعد عن زمري - ليم. فطرد اشكور - يحدّو الذي ذهب الى ماري، واصبح ملكاً بدله مغتصباً عرشه.



صورة (١٧): خرائب بابل



صورة (١٨): حمورابي، ملك بابل، يقابل الاله شمش، رب العدالة

واسرع بدفع جزية باهظة الى حمورابي ملك بابل. والى هذه الحقبة تعود مجموعة الالواح الرئيسة من كارانا. وكتب الى زوجته:

" سوف آخذ كثيراً من الثياب مع جزيتي الى بابل، وقد جمعت كل الثياب المتوفرة هنا ولكنها ليست كافية".

وسار حمورابي بجيش الى ماري وحاول ان يفرض التبعية على زمري- ليم ولما اخفقت محاولته نهب ماري واحرق القصر العظيم واصبح حاكماً لاينافسه احد في كثير من شمالي بلاد الرافدين.

سجلات ايلتاني في كارانا:

لكي يسجل عقبة حمّو ملك كارانا عبوديته امر بنقش ختم اسطواني جديد. وفي الوقت الذي اعلنه ختمه القديم بأنه "عقبة- حمو المتنبئ، ابن هيمدي- ساماس" فإن ختمه الجديد اضاف الى ذلك "خادم حمورابي"[٢٠] واستمرت زوجته ايلتاني بتقديم الدعم له في القصر نفسه الذي أُغتصب فيه عرش اخيها.

تروي الواح كارانا بنحو خاص حياة الزوجين الملكيين، عقبة- حمّو وايلتاني. وكان عقبة- حمّو يمضي كثيراً من وقته في السفر في داخل المملكة وخارجها. ولعل مساحة حكمه كانت اوسع مما كانت ايام سابقيه. ومن المحتمل ان قطارا ورازما وريما انداريك[٢١] كانت دويلات مدن مستقلة يحكمها شاريّا وقارني- ليم على التوالي في زمن اشكور- عدّو وزمري- ليم. ومن الواضح ان حمورابي كان يحكم ماري- ما تبقى منها بعد ان نهبها- مباشرة وان اهميتها قد اضمحلت اضمحلالاً مؤلماً. ولم تعد مرة اخرى مدينة ذات اهمية عظيمة. وقلّما كانت تذكر في سجلات ايلتاني وزمري ليم. وكان تركيز عقبة حمّو اهتمامه على



صورة (١٩): طبعة ختم اسطواني وجد في الالاج، في شمالي سوريا

الجنوب وعلى آشور وبابل وسبار. وهذه هي نهاية حقبة طويلة من التجارة بين آشور وكانيش والاناضول التي تمر خلال كارانا، وكان من اكثر مراسلي ايلتاني انتظاماً رجل اسمه نابسونو - عدّو. ولعله كان اخاها، المسؤول عن احدى المدن قرب كارانا ضمن المملكة.

" أكلم ايلتاني، هكذا يقول نابسونو - عدّو عسى شمشي ومردوخ ان يهباك عمراً مديداً. كتبتِ تسألين عن حالي: انا بخير. وقد وصلت اخبار الحاكم من بابل. كل شيء بخير. عسى ان اتسلم اخباراً منتظمة منك".

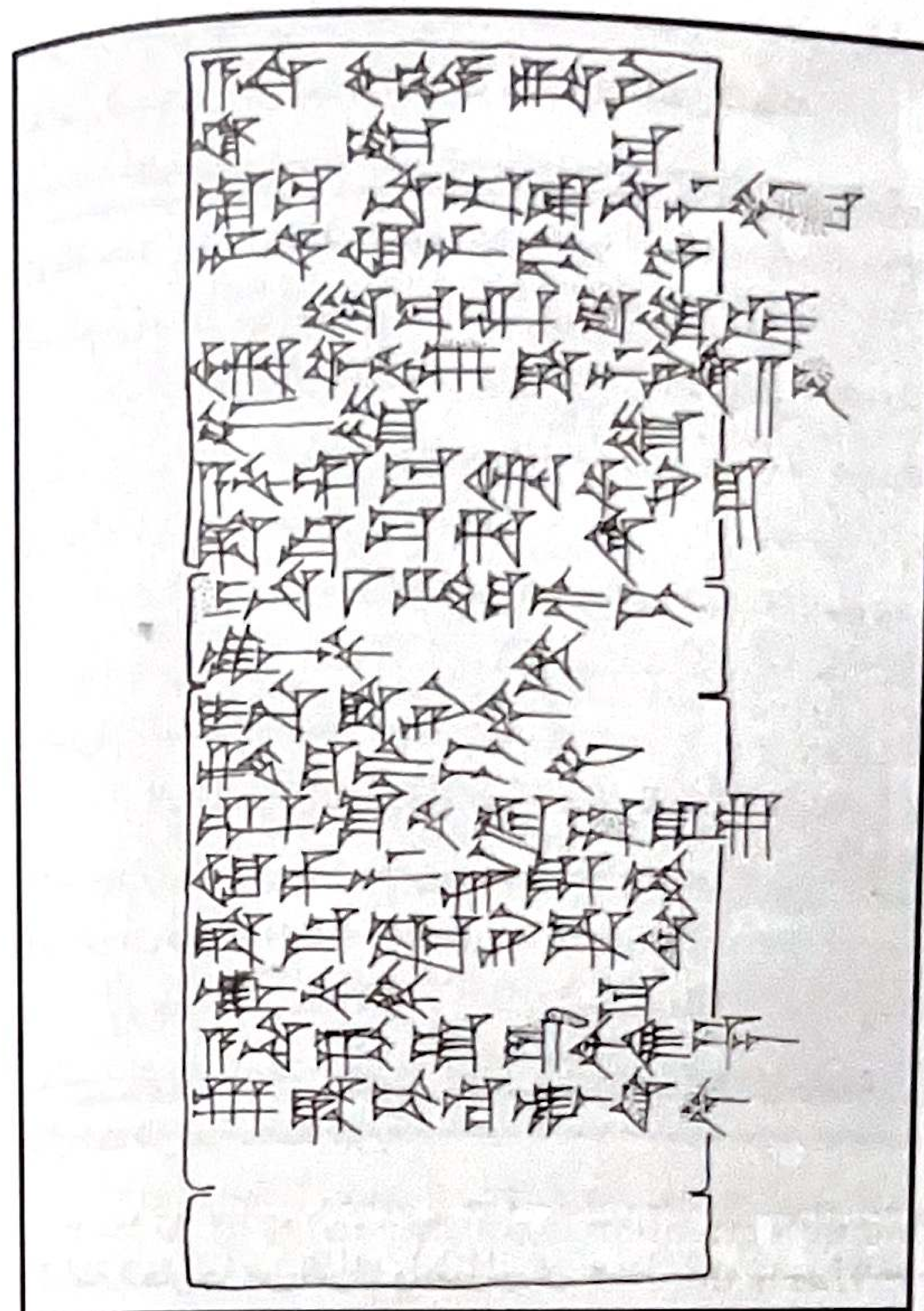
رسالة اخرى تربط كارانا ببابل تقول:" اكلم ايلتاني، هكذا يقول رينوم - ايل ابنك. انا بخير. وصلت بابل بأمان ورأيت الملك حمورابي في حالة جيدة. بعد هذه الرسالة سوف اعود الى كارانا. ابتهجي!".

نسمع من اعمال عقَبة- حمّو العسكرية الجريئة بصورة غير مباشرة عموماً، وقد نجح احدها ضد مملكة شيروون، لعلها احدى الامارات المحلية الصغيرة.

" اكلم ايلتاني، هكذا يقول عقبة- حمّو. لقد اخذت الى جانبي جميع بلاد شيروون. وقد تمتع جميع الجنود بالغنائم، واني على وشك ان اعود الى الوطن محملاً بالهدايا. ابتهجي!".

ووجب على ملك شيروون الذي اصبح ملكاً تابعاً هو وخزائن نفائسه التي استنزفت استنزافاً محزناً بالسلب والنهب، ان يزور كارانا مثل احد الرعية حاملاً جزية.

" اكلم ايلتاني، هكذا يقول عقبة- حمّو. وصل ملك شيروون. وسأل القافلة الخارجة من كارانا ولكنها لم يكن عندها ثياب متيسرة مناسبة للهدايا. والآن، ارسلي لي سريعاً اي ثياب متيسرة لديك سواء كانت من الدرجة الاولى او الثانية. للهدايا. لذا كان على عقبة- حمّو ان يجهز تابعه بالقسط الاول من الجزية او الهدايا لنفسه، حفاظاً على المظاهر. لا



صورة (٢٠): نسخة رسالة الى ايلتاني تذكر ماري وكانيش

تخبرنا الالواح السبب في نهاية عقبة- حمّو، وما الذي احدث خراب قصرهِ في كارانا. من السهل الافتراض ان سجلات ايلتاني تدون السنوات الاخيرة قبل الكارثة، ولكن مجموعة الالواح في ماري وكارانا وجدت ضمن القصور التي تسبق كثيراً تاريخ الدمار. تبين رسائل ايلتاني ان حمورابي ملك بابل جاء الى شمالي بلاد الرافدين وكذلك فعل جيش بابلي، وان ذلك كان سبباً للقلق:

" اكلم ايلتاني، هكذا يقول عقبة- حمّو. كتبت لي عن الالف جندي الذين جاؤوا من بابل ودخلوا انداريك. لماذا لم تسألي خادمك الذي جلب الخبر عن بيان أتم للدوافع؟".

مراسل آخر يكتب لها:

" كتبتِ لي رسالة عن قلقك. حين مررت سابقاً كنت على عجل فلم استطع المجيء اليك. والآن تقدم الجيش يقترب نحونا. سوف اجيء واتداول معك. ولكن اذا لم يحصل ذلك واذا لم التقِ بك فلا تقلقي. واذا لم اتشاور معك فإنني لن اذهب الى اي مكان آخر. ولا تفتحي فمك لأي انسان حتى اليوم الذي اصل اليك، ولا تظلي في قلق".

ولعل نهب مدينة انداريك له صلة بحركات الجند التي سببت مثل هذا القلق لدى ايلتاني. وليس من الواضح في ما اذا كانت ما تزال دويلة مدن مستقلة في ذلك الحين او انها اندمجت بمملكة كارانا، ولا نعرف من الذي نهب انداريك[٢٢]. توجد رسالة واحدة فقط من احدى مراسلات ايلتاني النساء تقول فيها". كانت في الواضح علامة جيدة ان تدخل امرآة خادمة في انداريك وان ترسلي صوف عزو- إينا! لا ريب انك تعرفين اننا نهبنا ودحرنا؟ اذا كنت حقاً تحبينني نظمي بعض التجهيزات لي!"

ومن الناحية الاخرى فإن رسالة ريؤم- ايل تبين ان زيارته الى حمورابي في بابل قد استقبلت استقبالاً طيباً، وان عقبة- حمّو كان حي الضمير في جمع جزيته من الانسجة، سنة كاملة في الاقل.

كان حمورابي ملك بابل حاكماً مطلقاً بعيداً عن رعيته في شمالي بلاد الرافدين في نظرهم. ومن وجهة نظرنا انه اصبح رجلاً قوياً على نحو استثنائي في اواخر حياته في عصر دويلات مدن نشر مجموعة من القوانين (تعرف بشريعة حمورابي) في وقت متأخر من حكمه، واصبحت بابل عندئذ وقبل كل شيء واول مرة اهم مدينة في جنوبي بلاد الرافدين وظلت اهم مدينة الفاً وخمس مئة سنة. ورفع حمورابي منزلة إله المدينة مردوخ ليصبح إلهاً رئيساً في مجمع آلهة بلاد الرافدين.

ووجد صدى ذلك الترفيع في رسائل من كارانا كتبها ناسونا- عدّو الى ايلتاني. " عسى شمش ومردوخ ان يمنحاك عمراً مديداً" هو دعاء يتردد حتى في الرسائل المحلية وبذلك تعترف الممالك التابعة الواسعة الانتشار بتفوق بابل وشهرة إلهها الجديد.

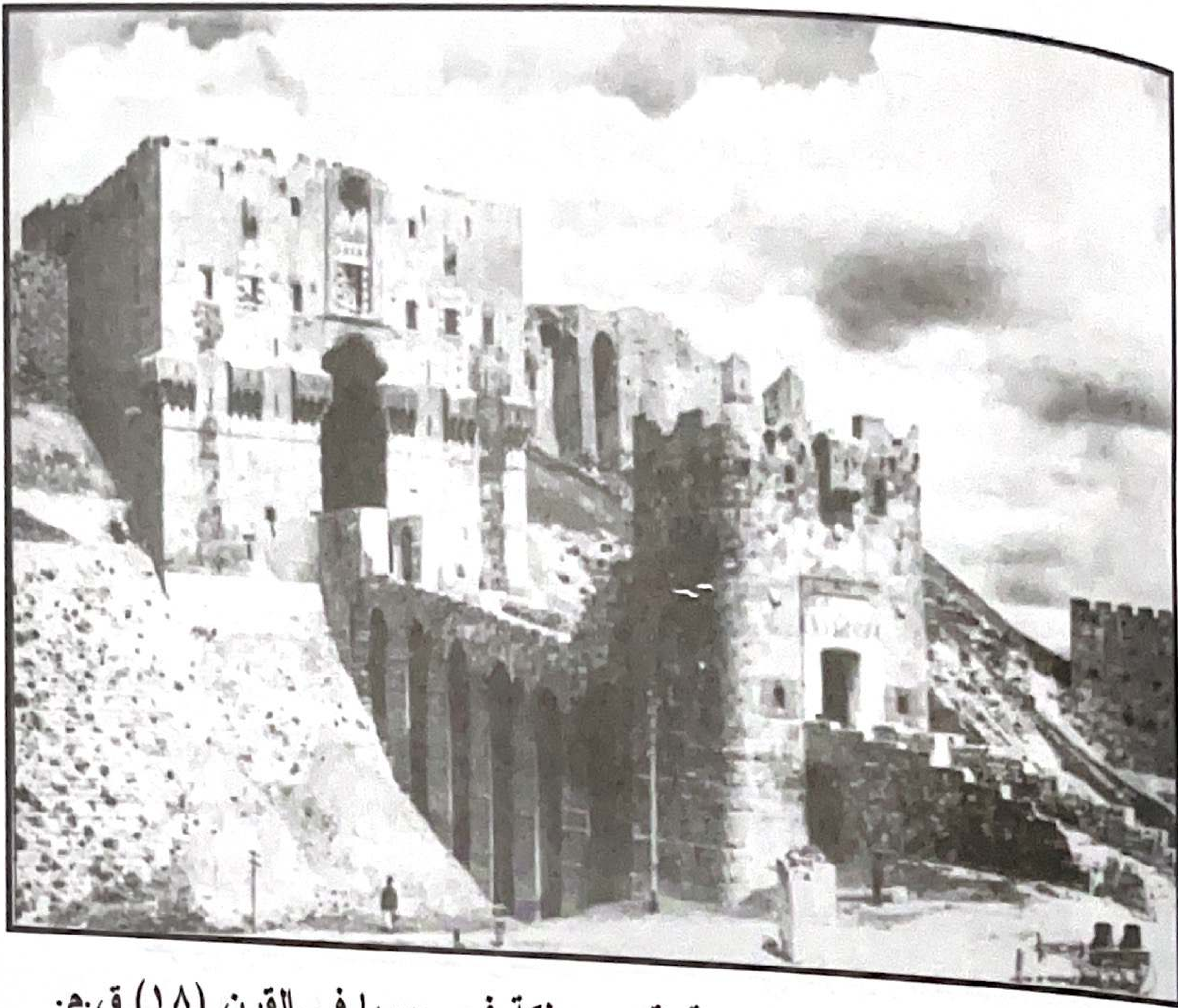
يمحد والغرب:

جلب بروز حمورابي انتباهنا الى بلاد بابل على حساب الغرب، لانه لم يُنقب عن أي مواقع غربية كبيرة من تلك الحقبة، ولم تكشف اي مبان جميلة، ولم تفك أي ارشيفات (سجلات). ان ارشيف ماري وحده اعاد التوازن: فإننا نعرف الآن ان في سوريا مدناً وملوكاً يساوون في السلطة والحضارة لارسا وبابل. وكانت اقوى ممالكها تتمركز في حلب القديمة في دولة يمحد التي حكمها يريم- ليم ثم ابنه الذي اسمه حمورابي ايضاً. وكان الإله العظيم ادد- او ربما كان يعرف باسمه الاموري عدّو او عدّا- هو الإله الاسمى هناك، ولكن المعابد والقصور قد تكون واقعة بعيداً تحت المدينة الحديثة ومدينة العصور الوسطى، ولا يمكن التنقيب عنها. اننا نعرف ان حلب كانت اقوى الممالك الكثيرة في زمان زمري- ليم من رسالة من ماري تقول:

"ليس ثمة ملك قوي بنفسه. عشرة او خمسة عشر ملكاً يتبعون



صورة (٢١): حلب، عاصمة اقوى مملكة في سوريا في القرن (١٨) ق.م.



صورة (٢١): حلب، عاصمة اقوى مملكة في سوريا في القرن (١٨) ق.م.

حمورابي حاكم بابل، وعدد مثله يتبع ريم- سين ملك لارسا، وعدد مثله يتبع ايبال- بي-ايل حاكم اشنونا وعدد مثله يتبع امود- بي- ايل حاكم قطانوم ولكن عشرين ملكاً يتبعون يريم- ليم حاكم يمحد".

قطنا:

نادراً ما كانت مملكة قطانوم، المعروفة في ما بعد بقطنا، اقل اهمية، وقد حكمها ايشي- عدّو الذي كان يربي الخيل، وكانت موطن الآلهة بيليت- ايكاليم، وكانت على اتصال مباشر بماري بطريق صحراوي يمر خلال تدمر. كلتا هاتين المدينتين، حلب وقطنا، كانت تربطهما روابط حميمة من حيث تبادل المبعوثين وترتيب التحالف بالزواج بين اعضاء العائلتين الحاكمتين، وازدهار التجارة.

كركميش:

كركميش (كر- كميش)، ((رصيف ميناء الإله كيموش)) التي تقع على معبر حيوي للفرات، كان يحكمها ابلاهاندا، مدمن الخمرة، الذي اصبح غنياً بالتجارة بين سوريا وبلاد الرافدين والاناضول.

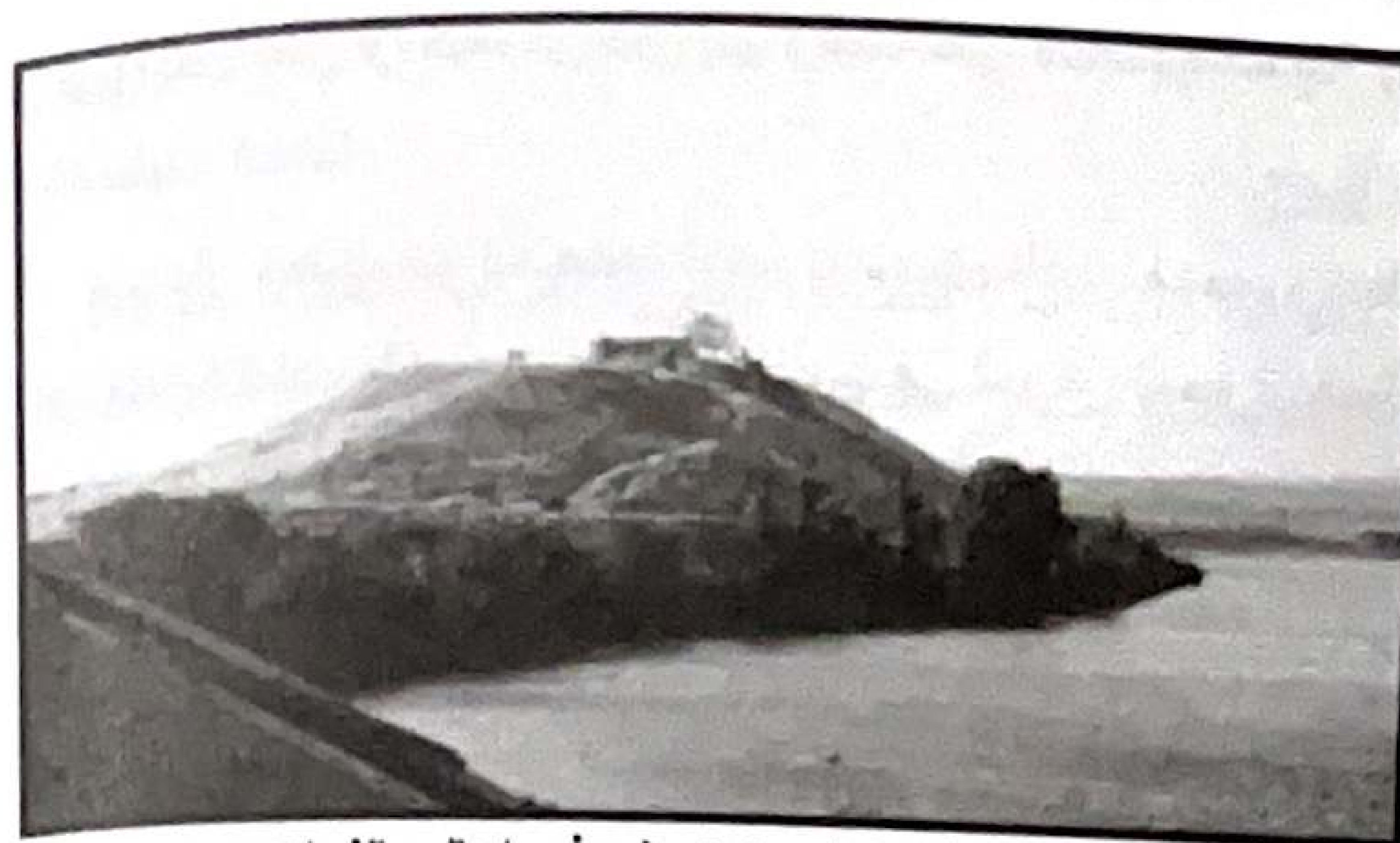
وقد نقب عن الموقع سير ليونارد وولي قبل الحرب العالمية الاولى ولكنه لم يحفر عميقاً الى درجة كافية ليصل الى الحقبة المبكرة من إشغال الموقع. ولكن اكتشفت عدة رسائل لابلاهاندا في ماري وختم ابنته ما ترونا الذي اصبح في مجموعة خاصة لاحد الاشخاص. وعلى الرغم من ان لسان ابلاهاندا الوطني ربما كان شكلاً من اللغة الآرامية فإنه كان يتبع تقليد ذلك الزمان بالكتابة بالاكدية، لغة المراسلات العالمية. وتبين رسائله ((لكنة اجنبية)) واضحة تلفت نظر العلماء الذين يقرؤون رسائله. اما ختم ما ترونا فإنه مكرس للآلهة موبابا التي عرفت في ما بعد في الازمنة

الكلاسيكية بأسم سيبيله، وهي إلاهة ام غالباً ما كانت ترسم وهي تحمل مرآة[٢٢]. لذا فإننا نعرف من هذا نقوش الختم ان كوبابا كانت آنذاك الآلاهة الراعية لكركميش على الرغم من ان اسم ((رصيف ميناء الإله كيموش)) يدل على ان كيموش كان إلهاً رئيساً حتى اسست المدينة اول مرة واعطيت اسمها.

ولم تكن اهتمامات ابلاهاندا التجارية بكل تأكيد مقصورة على ماري، فقد اكتشفت طبعة ختمه في التنقيب في المركز التجاري العظيم اسيمويوك في الاناضول على بعد ٣٠٠ كم[٢٤].

كانت كركميش واحدة فقط من عدة ممالك سورية مستقلة ازدهرت بالتجارة معها، وان وجود ختم الملك الخاص هناك يبين انه نفسه كان منشغلاً بالمعاملات التجارية، ولعله كان يختم الخمر شخصياً ويصدره، لأن افضل الكروم في العالم آنذاك كانت تزرع في مملكته، وإننا نعرف من مراسلاته مع يسمح- عدّو انه كان يملك خمراً جيداً احتياطياً.

هذه هي المدن الغربية العظيمة في ايام حمورابي، فإذا كانت بابل تبرز بوصفها اعظمها فإن ذلك يعزى الى سموها والى قرائن من الكتاب المقدس بعد قرون كثيرة. ولم تكن ماري وكركميش ويمحد اقل ازدهاراً وكوزموبوليتيه (عالمية متحررة من الاحقاد القومية او المحلية- المترجم) من بابل. وإذا كانت كارانا تقدم لمحة تأريخية اكثر وضوحاً من اسيمويوك وانداريك فإن ذلك يمكن ان يعزى الى حظنا في التنقيب وتشخيص الهوية. وان قيمة الالواح من ماري وكارانا هي لبيان ان الرقعة الواسعة جداً من آسيا الغربية كانت شبكة من الممالك المزدهرة، الراسخة جيداً، كل منها مشغول بالتجارة وكثيراً ما يحارب بعضها بعضاً مدداً موجزه من الحكم.



صورة (٢٢): خرائب كركميش في اعالي الفرات



صورة (٢٣): تصميم على ختم اسطواني خاص بالاميرة ماترونا

ملاحظات الفصل

١- لعل ملك اشنونا المسمى دادوشا هو مؤلف المسلة المكسورة بكتابة تسجل فتوحاته، التي ربما وجدت في المنطقة المجاورة لكارانا، على الرغم من ان بعض العلماء يظنون ان سلف دادوشا نرام- سين (ملك اشنونا ايضاً او شمشي- ادد (ملك بلاد آشور) كان مؤلفها. انظر أي كي كريسون، كتابات ملكية آشورية، ج١، فايسبادن، ١٩٧٢ ص ٢٥- ٢٦.

٢- كان والد شمشي- ادد يسمى ايلاكبكابو. كان ملكاً ولكن ليس ملك بلاد آشور، وربما حكم الى غربي بلاد آشور، تفاوض بشأن معاهدة تحالف مع يكيد- ليم ((جد زمري- ليم، ولكنه نقض الاتفاق حينما اعتلى ابنه يحدون- ليم عرش ماري (١٣). انظر كريسون (في المؤلف المذكور سابقاً،ص ١٨ وما يليها، ((AH اي تاريخ كيمبرج القديم (ط٢) ح٢/ص ١ وما يليها.

٣- جرى تطابق ايكالاتوم تل هيكل لتشابه الاسمين. ولا يوجد دليل حاسم. انظر كرونبرك "ريبرتوار جيوكرافيك (ذخيرة جغرافية) ص ٦٨، ودي اوتس "دراسات في التاريخ القديم الشمالي العراق" ص ٣٨ ملاحظة ٥.

٤- اقترح ان موقع شاكار بازار هو شوبات انليل لأن سجلات القصر وجدت هناك. ولكننا نعرف الآن ان كل مدينة اقليمية صغيرة في هذه الحقبة لها قصرها وسجلاتها المكتوبة، لذا فإن تلك الحجة وحدها لم تعد صحيحة.

٥- يرد في كسرة منسوبة الى ارخيلوخوس. دبليو موران "ملاحظة موجزة عن ARM ١٥: ١١- ١٣ (الارشيف الملكي في ماري، نصوص منقولة او مترجمة) في مجلة الآشوريات" ٧١/ ١٩٧٧، ص ١٩١.

٦- ف. تورو دانكان "لحدون- ليم"، ملك حانا" في مجلة الآشوريات" ٣٣/ ١٩٦٨ ص ٤٩ وما يليها.

٧- جي. دوسان "ارشيف سومو- يمم" في مجلة الآشوريات ٦٨/ ١٩٧٤ ص ٩١.

٨- تحليل جديد نشره م. انبار في "دراسات شرقية ٩" يبين ان يسمح- عدُو ربما استعاد العرش في ماري بعد عدة سنوات من موت شمشي- ادد.

٩- تأتي معلوماتنا عن ذلك من اسم سنة معينة "سنة دخول (تسـنم) ايشـار ليم منصب الملكية" كان جنرالاً (لواءً) عسكرياً خدم شمشـي- ادد، ولعله كان مسؤولاً عن الاحصاء في المناطق المحـيطة بـجاكار بـازار (٨٩٥٠، ٨٩٢٩، ج ٥١، الواح من جاكار بـازار في مجلة ١٩٤٧ /٤ Iraq و ٧/ ١٩٤٠).

١٠- للاطلاع على تحـليل دقـيق للاحـداث هذه، انظر "الواح بابـلية من تل الرماح"OBTR : س.دالي و آخرون، لندن ١٩٧٦.

١١- اوبه هي اوبيس على نهر دجلة، في اقرب نقطة له الى سبار.

١٢- انظر الملاحظة (٩)، التحليل الجديد سوف يغير هذا التزامن المحتمل.

١٣- في وقت ما في اثناء هذه الحقبة ربما كانت كارانا تحـت اشـراف موظف اقليمي اسمه هاسيدانوم الذي كان يراقب الملوك التابعين ويقـدم التقـارير مباشرة الى يسمح عدُو في ماري. دالي OBTR ص ٣٢- ٣٣.

١٤- يضع رأي مختلف هذا الغزو لاشنونا اربع سنوات او اكثر بعد الغزو الاول.

١٥- سنعرف المزيد عند ذلك عن نشر الواح شمشرا كاملة.

١٦- شاريا لقب شارّوم- كيما- كاليما الذي يعني " الملك يسـاوي اي شـيء". اكتشف فرص الاساس بكتابته في اثناء التنقيبـات في كارانا. سـي. ووكر OBTR ص ١٩٣.

١٧- انظر الفصل الاول ص ٢٦.

١٨- انظر هاوكنز OBTR ص ٢٥٣.

١٩- ربما حدث حـصاران مختلفان لرازما، كلاهما متقـارب في الزمن، دالي OBTR ص ٧ وما يليها.

٢٠- هاوكنز OBTR ص ٢٥٣.

٢١- تبقى المدن الثلاث غير مشخصة، ولكنها تقع في المنطقة المجاورة لكارانا.

٢٢- كانت اخوات ايلتاني يعشن هناك، وتبـين عدة مشـكلات من مشـكلاتها الشخصية وجود كثير من الذهاب بين انداريك وكارانا.

٢٣- ذكر الختم جي. دوسان في "ابلاهاندا ملك كركميش" في مجلة الآشـوريات ٣٥/ ١٩٣٨ ص ١١٥، وذكرة سي فيرولو في "سـوريا" ١٩/ ١٩٢٨ ص ٩٤. وهو الآن في مجموعة السيدة و.هــ.مور، واعاد نشرة ج.أ ايسون في منشورات المعهد الشرقي ٤٧ شيكاغو ٩٤ الرقم ١٠٣.

٢٤- ن. اوزكَوج في اي بوراد "الفن القديم في الاختام" برنستوم ١٩٨٠ وخاصة ص ٦٢- ٦٧.

الفصل الثالث
العمل وهيئة تدبير المنزل في القصور

كان القصر البابلي القــديم مركزاً لتنظيم انتاج الادوات المصنوعة من المعادن والصوف والحجر والخشب والجلد. ولم يعرض ذلك في أي مكان افضل مما في قوائم البضائع، وفي ســجلات بأســماء اصحـــاب الصناعات اليدوية المحــترفين وحــصصهم وفي الرســائل التي تصدر الاوامر، وتقرّ تسلم البضائع وتسجل الشكاوى. نهب حمورابي القصر في ماري نهبــاً كاملاً حــين انهى حــكم زمري- ليم، فضاعت الحـلي من الاحجار الكريمة والمعادن.

وقد اخذ الزمان والبلى مأخذهما من الانســجة والجلد والخشـــب. ويمكن للنصوص وحدها اعادة الصناعة اليدوية القديمة الى الحــياة. وفي كارانا ايضاً، جردت شقق القــصر من ثرواتها ولم يبـق ســوى الالواح الطينية لانها ليست ذات قيمة حقيقية لدى الناهبين.

ومن السمات اللافتة للنظر في بلاد الرافدين في العصر البــرونزي انه حتى في اغنى القصور والمعابد لم يكشف بالتنقيب اي تعدين. فقد كان النحاس والقصدير والفضة والذهب كلها تستورد بثمن باهظ، وكانت يُعاد تصنيعها مراراً وتكراراً. لذا فإن انفع المعلومات الاساســية المفصلة هي من الالواح، لأن البقايا المادية تعطي صورة هزيلة خادعة.

المواد الخام والصناعة:

يظهر من الســجلات رجلان مرشــدان في مشــاغل (ورش) في ماري: موكانيشوم الذي وثقت صلاته بالانسجة والصناعة المعدنية توثيقاً كاملاً، ويسيم- سومو الذي يسمى قسمه بيت يسيم- ســومو، وقــد يكون

القسم حجرة او مجموعة من الحجرات في القصر، او مشغلاً خارج اسوار القصر مع "مكتب" منفصل داخل القصر. رجال آخرون لهم اقسامهم الخاصة: قشتي- ماما الحداد، مثلاً، وزيكراتوم المصرفي، وبهدي- ليم المسؤول عن القصر كله عند غياب زمري- ليم.

وكانت البضائع والمواد التي تدخل القصر ومشاغله تأتي من كل مكان. وكانت القوافل تأتي من دلمون (البحرين) في الخليج العربي، وكان نوع خاص من النحاس يأتي من تيما، ولعلها تيماء الحديثة في شمال غربي الجزيرة العربية [١]. وكان نزل القوافل العظيم في حصن جاوة في بادية الاردن يرقى الى تأريخ من هذه الحقبة ويدل على تجارة رابحة عبر الصحراء القاحلة كانت مزدهرة بأيدي اناس شبه بداة [٢].

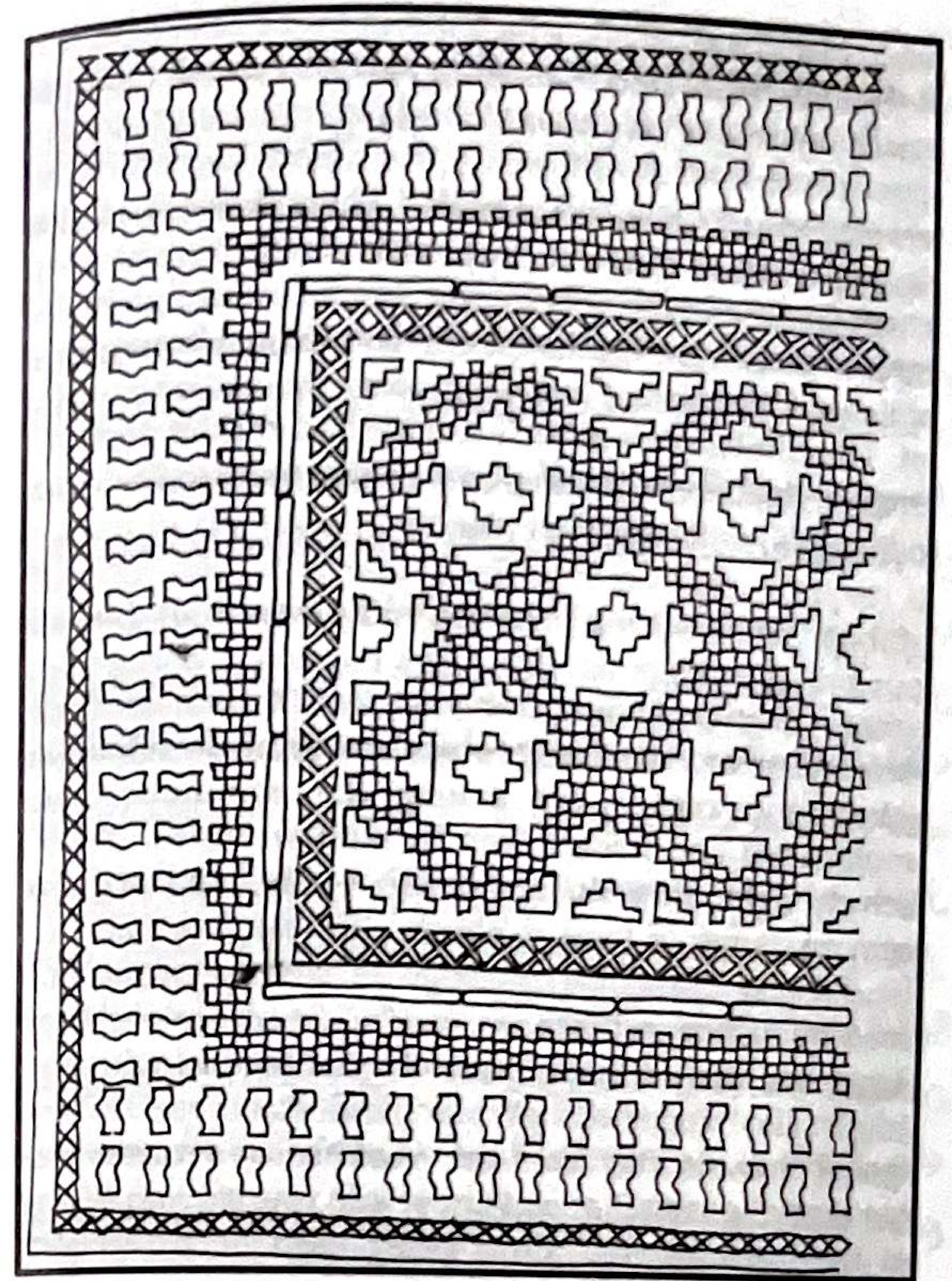
وعاء شرب متميز، في شكل رأس حيوان، جاء من توكريش الواقعة شمالي عيلام. وتجهز تونيب في شمالي سوريا نوعاً خاصاً من الزيت. وتوتوب (خفاجي الحديثة في منطقة ديالى، شرقي دجلة التي جرى التنقيب فيها) تجهز نوعاً خاصاً من النسيج او الثياب، وكذلك يمحد تشمل نوعاً من البسط، جاء القصدير الى ماري من طريق انشان التي تقع في ايران قرب برسيبوليس [٣]، وخلال اشنونا. وتجهز كانيش في وسط الاناضول، نوعاً خاصاً من القماش او الثياب وربما بعض الاصباغ النادرة. وجاء النحاس من الاشيا (قبرص)، وارسلت كابتارا (كريت) الاسلحة والاقداح والاحذية الخفيفة [٤]. وكان هناك نوع او نموذج من الزركشة تفصل بطراز يمحد ولعل ذلك كان مفضلاً بصورة خاصة في اثناء حكم زمري- ليم لان الملكة تنحدر من يمحد. وجاء اللازورد من مناجم في شمال شرقي افغانستان [٥]، والعقيق الاحمر من شبه القارة الهندية. وكان الميثيون متوطدين في عاصمتهم هاتوشا، وكانوا يتاجرون ببضائع الرفاهية المختلفة غير المحددة، اشلالو، مع قصر ماري.

الانسجة:

الانسجة- قماش وملابس، زركشة للملابس مثل الحواشي، كراكيش، قطع حافات للزينة، اغطية وستائر، بطانيات وبسط- هي من اكثر المواد المصنوعة والتجارية شيوعاً حتى في الازمنة الحديثة. انها خفيفة نسبياً ولا تفنى بسهولة، وبمدى تنوعها المحلي العظيم، يمكن ان تجعل الحياة اكثر تلوناً وامتاعاً، ويمكن اكتساب الربح والهيبة بالاتجار بها.

يوجد كثير من المصطلحات المختلفة للانسجة التي كانت تصنع في مشاغل ماري وكارانا. ومن المستحيل في اغلب الاحيان ان نكتشف من الكلمة المكتوبة ما يعنيه بالضبط طراز الثوب او القماش او النسيج، غير ان الصوف كان المادة الرئيسة، وكان الكتان نادر الاستعمال جداً، وكان القطن غير معروف. وكانت مندرجة في نوعين: درجة اولى ودرجة ثانية. وكانت تستورد انواع خاصة. ويبين احد النصوص كيف كان الصوف المرسل من بابل يستعمل لبعض الستائر. وشخصت الكلمة الخاصة ببساط بـ "مارداتوم" على الرغم من اننا لا نعرف هل هو بساط محاك ام مطرز، او بساط ذو مخمل مزين بالرسوم. وفي رسالة من زمري- ليم الى موكانشوم، يعلن الملك انه ينوي ان يأخذ بساطاً من طراز يمحد مصنوعاً في ماري الى بابل، وهذا مثل جيد ومن الهدايا الملكية بوصفها مَنفذاً لبضائع الترف [٦]. نص آخر، قائمة ادارية، يذكر نسيجاً من طراز خاص لفِراش "بوجهين"، يعني افتراضاً غطاء سرير يمكن ان يقلب ويستعمل على وجهيه او يعني شيئاً آخر. وبعده مذكور في القائمة اربع بطانيات من الدرجة الاولى وطراز خاص من ستارة "ذات وجهين".

وكانت بعض الثياب تزين بخرز او لُمع (ترتيرات) مصنوعة من احجار كريمة او ربما من المعدن، ونموذج من قماش مزين بخرز صغيرة



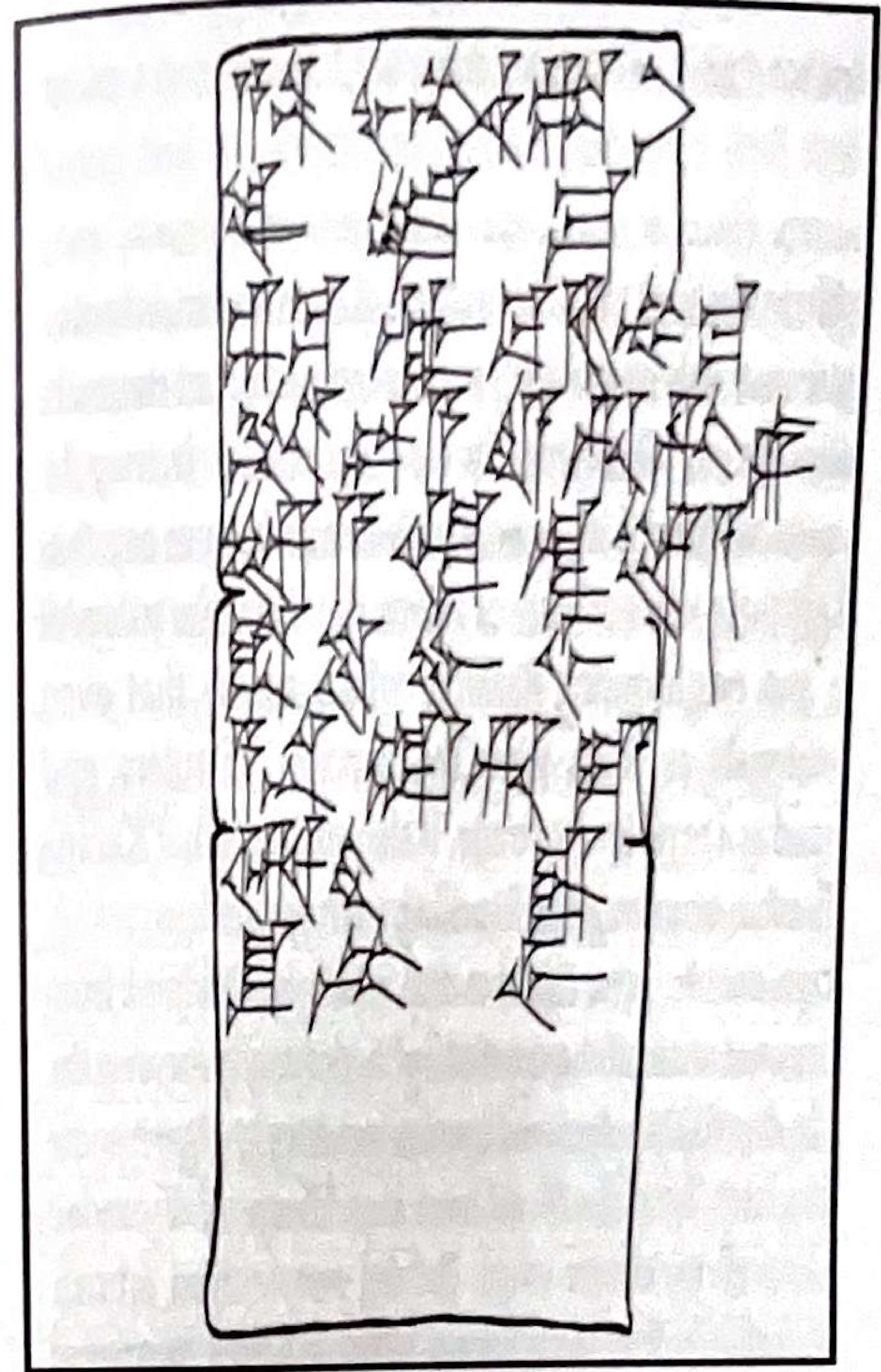
صورة (٢٤): تطعيم بالزجاج لنموذج من طراز سجادة

(نمنم) خيطت عليه، اكتشف في تنقيبات في اسيمهويوك في الاناضول. ويمكننا ان نربط هذهِ اللقية الآثارية برسالة من ايلتاني الى عقبة- حمو تحتوي على مصطلح تقني فُسِر حديثاً:

"ارسل لي سريعاً الثياب المزخرفة وغير المزخرفة، التي صنعتها".

نوجد بعض المعلومات الدقيقة عن حجم البضائع المخزونة في وقت معين. فقد جاءت رسالة من ماري ارسلها زمري- ليم الى موكانيشوم يطلب ٢٠٠ ثوب ارجواني، و ١٠٠ ازرق، ١٠٠ ابيض و ١٠٠ أسود و ١٠٠ أخضر. وفي كارانا كتب عقبة- حمّو الى ايلتاني (التي ربما لم تكن مؤسستها واسعة جداً بحيث تتطلب مديراً) قائلاً:

" الآن، ارسلت لك ٥٠ منا من الصوف لـ ٥٠ ثوباً" ويمكن تخمين حجم المشاغل workshops في ماري وكارانا من قوائم الحصص: كان لدى ايلتاني ١٥ إمرأة و ٩ رجال مُعَيّنينَ عمال نسيج، في حين ان قائمة ماري تقدم ٥٨ رجلاً و ٢٩ إمرأة في احد الاقسام الخمسة فقط التي تستخدم عمال نسيج. تعكس هذهِ الارقام الكبيرة بلا ريب نجاح زمري- ليم العسكري ولا سيما في استيلائهِ على مدينة اشلاكا الذي حدث قبل وقت قصير من تصنيف هذهِ القائمة. وقد كان عقبة- حمّو، من ناحية اخرى، ملكاً تابعاً لحمورابي البابلي، بحيث ان فرصته لتوسيع قوة العمل بالغزو محدودة جداً. غير اننا لا نستطيع ان نتأكد تماماً من ان هذهِ القوائم من ماري وكارانا قابلة للمقارنة على نحو صارم. وقد وجدت قوائم قليلة في الرماح ولعلها كانت مقتطفات من قوائم اوسع.



صورة (٢٥): نسخة رقيم عقبة- حمو يامر ايلتاني بارسال ثياب مزخرفة

الاصباغ:

لا ريب ان مشاغل النسيج كانت تخزن الاصباغ ومثبتاتها، او المواد الخام التي تصنع منها، ولكن ثمة مصاعب بشأن تشخيص المصطلحات الخاصة بها. ولعل من المهم ان يكتب زمري- ليم الى موكانيشوم ليقول له ان ثلاثة انواع من الشب او صلصال القصّار من حكام كارانا ومجاورتها رازاما، مما يبين ان حتى مثل هذه المواد كانت من اهتمام الحكام ويجري تبادلها بمستوى تجاري ملكي.

ويبين ايضاً ان كارانا تخصصت في احراز وخزن مثل هذه المواد.

ان " ارجوان صور " الصبغ القرمزي الذي يستحصل من قواقع المريق الرخوية البحرية بعيداً عن الساحل السوري، شكلت بلا ريب اساس صناعة الاصباغ والانسجة المزدهرة في اوغاريت بعد ٢٥٠ سنة، لأن التنقيبات وجدت اكواماً من الاصداف المطروحة وكذلك الواحاً سجلت قوائم بأقمشة مصبوغة باللون الارجواني الاحمر. ولا ريب ان الصناعة المستندة الى اصباغ المريق الرخوية نفسها ازدهرت في هذه الحقبة ايضاً. وكانت مملكة اوغاريت راسخة جيداً، ومذكورة في نصوص ماري. ولا شك ان مدناً ساحلية اخرى افادت من هذا المصدر الطبيعي الذي لا ينضب. غير ان الشاهد الحاضر لا يسمح لنا ان نفرد مصطلحاً للقماش المصبوغ بقواقع المريق الرخوية، ونستطيع ان نستدل فقط على وجوده في ماري من وجود الشاهد الاوغاريتي في ما بعد [٨].

الاحجار شبه الكريمة:

لا يعرف الا قليل من العمل بالاحجار شبه الكريمة وبالحلود، ولعل ذلك لأن بعض مجموعات الالواح من ماري لم تنتشر حتى الآن. احد السجلات يذكر اللازورد الآتي عبر اشنونا في رحلته الطويلة من جبال افغانستان.

"١/ ٣ منا ٣ شيقلات لازورد ٢/ ٣ منا تساوي ٦ شيقلات من الفضة"[٩].

فوضت ايلتاني اختها ان تجد وتشتري لها قلادة من اللازورد في آشور، غير ان اختها كتبت اليها قائلة انها ما تزال غير قادرة ان تجد قلادة. كان المرمر و ام اللؤلؤ يستعملان في مشاغل موكانيشوم. وقد وجدت قطع الترصيع في القصر عند التنقيبات، وان انيب- شينا (لعلها زوجة بهدي- ليم، القائد الثاني) ارسلت الى زمري- ليم هدية تتكون من كرسي ومسند قدمين مرصعين بالمرمر. وكان العقيق الاحمر يستورد للحلي الفاخرة. وبقي قليل جداً بعد النهب، ووجد في القصر في ماري. وكان حجر اصفر يستعمل مع الذهب لصناعة غطاء زينة للرأس.كلمة هاشمانوم التي تعني حجراً ولونا أخضر/ أزرق يرتبط بذلك الحجر، ربما هو الفيروز. ونادراً ما شخّص الفيروز في بلاد الرافدين، ولعل ذلك لأن ضوء الشمس والتغيرات في الرطوبة تجعلان لونه يبهت ويسهل تفتته[١٠] وقد استعمل المصريون الفيروز من مناجم في سيناء منذ عهد قديم جداً. وكان بلا ريب يصدر من سيناء الى اعالي بلاد الرافدين ايضاً.

الجلود:

تصف السجلات الاستعمالات الدنيوية الكثيرة للجلود المرنة. وكانت الاحذية الطويلة والخفيفة (الصندل) تنتج احياناً مع القِرب الى رجال مزمعين على السفر. وكان الجلد يستعمل للاكياس التي تحفظ فيها الاقمشة والصوف. وقد وجد في شكل جلود للطبول، على طبول تقرع في احتفال في حضرة الملك. ولعله كان يستعمل في الدروع ايضاً، على الرغم من عدم وجود دليل قاطع حتى الآن على ذلك. وكانت العُدة والاعنة وغِمامات الاعين تصنع من الجلد للخيل والبغال والحمير. ولعل اللون

الأصفر الذهبي كان اكثر الالوان تفضيلاً، لأن ذلك هو المصطلح الوصفي الوحيد المستعمل في السجلات القليلة المتيسرة.

الخشب:

الخشب هو المادة الاساسية للأثاث الجيد ولاعمال الانشاء-ولا سيما الابواب والتسقيف. والزوارق والعربات ذوات العجلتين والعربات الكبيرة المقفلة، ولاشياء خاصة مثل القيثارات والقسي واكباش دك الاسوار. ولما كانت المنطقة المحيطة بماري ليست ذات غابات قبل اربعة آلاف سنة، فإن الخشب كان يستورد من اماكن بعيدة الى حوانيت العمل. وكان النجارون يستخدمونه في القصر وفي المدن الاقليمية، رسالة من ماري كتبها يقيم- عدّو حاكم ساكَاراتوم الى زمري- ليم تبين ان يقيم- عدّو جمع ١٣ نجاراً من مدن وقرى مختلفة في منطقته ليرسلهم الى زمري- ليم ربما من اجل مشروع واسع. واصل يقيم- عدّو كلامه " سألت بيزيلوم واخبرني ان ٢٠٠ لوح من خشب العرعر، وجذعين من خشب الارز طولها ١٥ متراً، و ٨ جذوع عرعر طولها ١٢ متراً محتجزة في كركميش".

كان الملك يهتم بشؤون الخشب في جميع المراحل، فقد كتب اليه موكانيشوم في هذه الرسالة قائلاً:

" كتب مولاي اليّ عن صنع باب ارز يوضع مقابل باب مدخل اوصور- بي- شاريم. المحور الذي يدور عليه الباب الذي جلبوه من كركميش- لن امسّ ذلك المحور حتى يفحصه مولاي. لقد قست الطول الكلي للباب عند مدخل اوصور- بي- شاريم مع المحور فكان ٦ أمتار في ٣,٢٥ متراً".

يذكر سجل من ادارة موكانيشوم ابواباً صنعت من خشب قيّم يدعى إيلاماكوم [11]. لعل الابواب كانت لحجرة نوم الملك وسوف تزين بنجوم من الفضة بإستعمال ٤٣ غم فضة. ومن اغلى الاخشاب التي تستعمل للأثاث هو الموسوكانوم، سيسّو، الخشب الغامق الجزل الذي يشبه الابنوس [12]. كان خشب السيسو هذا يستورد غالباً لصنع الكراسي والمناضد والأسرة. كتب يهدي- ليم الى زمري- ليم قائلاً انه ارسل خشب سيسو الى رجل اسمه تابو- مالك، وقد سُر بهذِه الوديعة. رسالة الى موكانيشوم تبين كيف ان الملك طلب من مشاغل موكانيشوم سريراً او اريكة عليه مقابض مدورة، مع مسند للقدمين من خشب السيسو. وكان على كبير النجارين، قشتي- نوتو، ان يصنعها لرحلات الملك. وربما كان اربعة نجارين في قسم موكانيشوم الذي كان فيه قشتي- نون و هابدو- هانات يعملان معاً لصنع خمس قيثارات للملك. ولكن ليس من السهل اكتشاف كيف كانت الاقسام المختلفة منظمة. ويبرز هذان النجاران في رسالة يسيم- سومو الى زمري- ليم:

" لم اهمل جمع عمال لحصاد القصر، كما كتب لي مولاي. واما بخصوص ما كتب مولاي بشأن النجارين اللذين يعملان في الابواب قائلاً: اذاً انت قد أخذت النجارين العاملين في الابواب الى الحصاد فاطلقهما ودعهما يكملا ابوابهما، النجاران اللذان كانا يعملان في الابواب لم يكن عندهما عمل يعملانه، ولكن النجارين الذين يعملون تحت قشتي- نونو وهابدو- هانات، مع النحاسين الذين يعملون تحت يشوب- اشار انهم مشغولون بالعمل في العربة الكبيرة". تبين هذِه النصوص ان اقسام موكانيشوم ويسيم- سومو كانت متشابكة في استخدام العمال وفي التوجيهات الملكية المرسلة الى مديري المشاغل.

كانت اخشاب اخرى تستورد ايضاً: وكان الابنوس اوشوم يستعمل لاكساء خشب البقس تاسكارينوم [13].

كان التطعيم يتم بالمرمر و ام اللؤلؤ وقد وجدت بقايا صندوق خشبي مطعم في اثناء التنقيبات في القصر في ماري، وما يزال النموذج الهندسي واضحاً. وتقول قائمة بأشياء خشبية مكتملة من ماري:

" سرير واحد، ٨ كراسي، طبق من طراز كانيشكاراكوم واحد، صينية واحدة من خشب ايلاماكوم. صينية واحدة من خشب الفستق، مسند للقدمين واحد وصندوق واحد".

يوجد دليل مباشر على استعمال الخشب في معدات الجيش: اكباش دك الاسوار، وقسي في مشاغل موكانيشوم. وقد استعمل القصر الخشب بعدة طرق: كان يوقد مع نار خشب الجذوع او في الكوانين (ولعل هذا "الخشب المخصص للحرق" كان معداً لافران المشاغل ومواقد المطابخ) الذي يبدو مرة اخرى انه من مسؤولية موكانيشوم. وقد حصل على خشب الوقود من حاكم تيرقا. وكان يجب تسقيف مبانٍ او اجنحة جديدة من القصر بعوارض خشبية افقية، وقد ساعد كيبري- داكَان مرة اخرى في تزويد القصر بها في ماري:

" كتب لي مولاي مشدداً بشأن عوارض خشبية لتسقيف الجدران ولكن لم تكن اي عوارض متيسرة. والآن، بالبحث يميناً ويساراً بين اهالي البلاد حصلت على ٥٠ عارضة طولها ٦ أمتار و ٢٥٠ عارضة طولها ٥ أمتار، وارسلتها مباشرة مع تيار النهر الى مولاي".

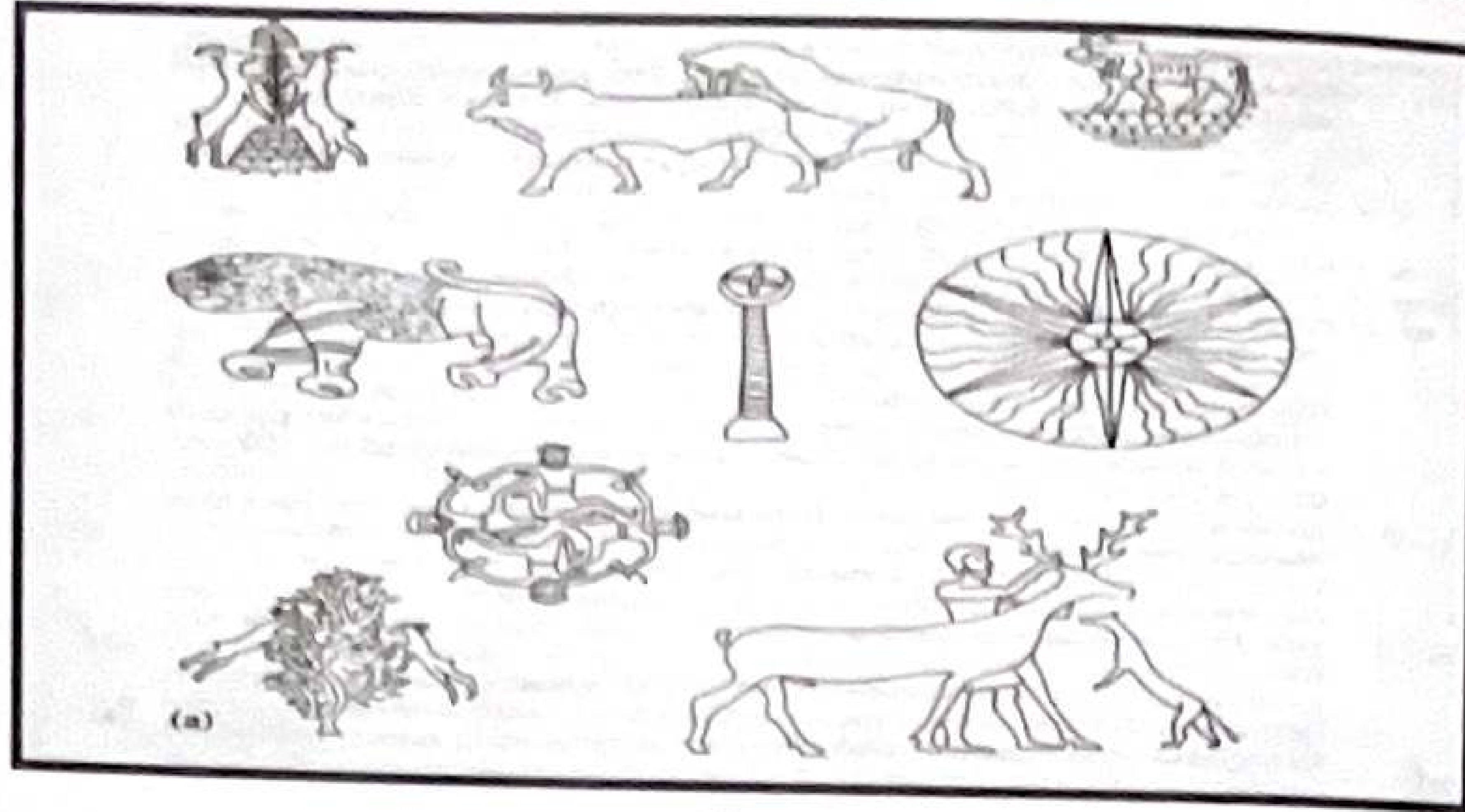
وتوجد ادلة اقل في نصوص كارانا ربما لأن ايلتاني لم تكن تهتم بالتجارة او صناعة الاثاث، او ربما لأن النصوص الموجودة لم تشمل ذلك الجانب من انتاج القصر، او ربما لأن الصناعة الخشبية كانت تنجز في القصر في ماري اكثر مما تنجز في كارانا. ولكن احد النصوص يذكر

مسنداً للقدمين وهو معروف من نصوص كثيرة بـأنه قـطعة من الأثاث شائعة جداً. نص آخر هو قائمة تحـوي " خمسـة أوعية خشبـية لمزج الفواكه" وهذا يبين ان وعاء الفواكه الخشبي الصلد كان شيئاً سائداً، وربما لسلطة الفواكه ايضاً.

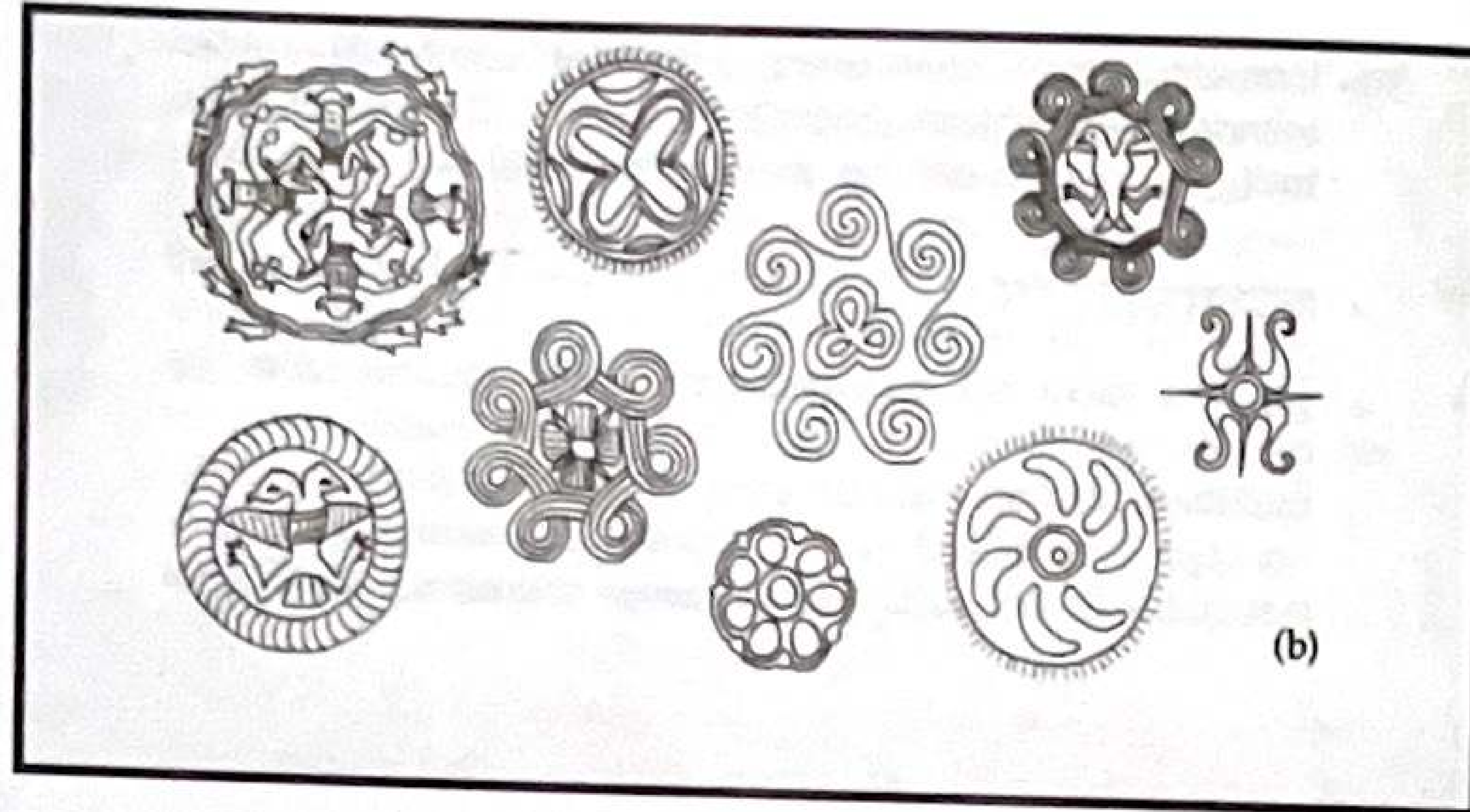
الاعمال المعدنية:

توجد ادلة كثيرة على الاعمال المعدنية وهي بـالدرجة الاولى من سجلات موكانيشوم. كتب الى زمري- ليم يخبره بعدم وجود ذهب احمر كافٍ لعمل صاغة الذهب. وقد احـتفظ بـالذهب مقـفلاً ومختوماً وكان مسـؤولاً عن تفتيشـه. ومن الصعب تخمين كميات الذهب والفضة التي تحت تصرف مشـاغل القـصر .ولعل افضل دليل على الكمية ما جاء في رسالتين من ماري ذكر فيهما تبادل هدايا بين العائلتين المالكتين في آشور وقطنا، بصدد ترتيب زواج بين السلالتين. فقد رتب شمشي ادد ان يرسـل ما مجموعه عشرة طالنات، ٣٠٠ كغم من الفضة، وتوقع ان يتسلم بالتأكيد هدايا مساوية لقيمتها.

كان الرجل الذي يصوغ الفضة والذهب هـو الكاتيمـوم، وكـان منفصلاً كلياً عن النحّاس، كوركوروم. ولكن هناك نحّاس اسمه ابّي- ادد وكان بموجب رسالة اخرى من موكانيشوم، يصنع طوقاً "لساحـة نخيل" التي شخصت الآن بأنها الساحة ١٣١ في قصر ماري. أشكال- لاماسوم واثبة كانت ترافقها، وربما كانت هنا ثيران مجنحة تقوم مقام آلهة حارسة. ان مثل هذه الاشكال معروفة في هيئات حجرية عملاقة مهيبة (غير واثبة ابداً) متيقظة لدى مداخل الحصون والقصور الآشـورية. المادة هنا غير معينة. ولعل تلك الاشكال كانت ترسم بالاصبـاغ على الاسـوار او لعلها كانت زخارف نحاسية، فقد تكون هناك صلة بالنحّاس.



(أ)



(ب)

صورة (٢٦): أ- موضوعات زخرفية شائعة من ماري

ب- موتيفات زخرفية من كانيش

الذهب والفضة:

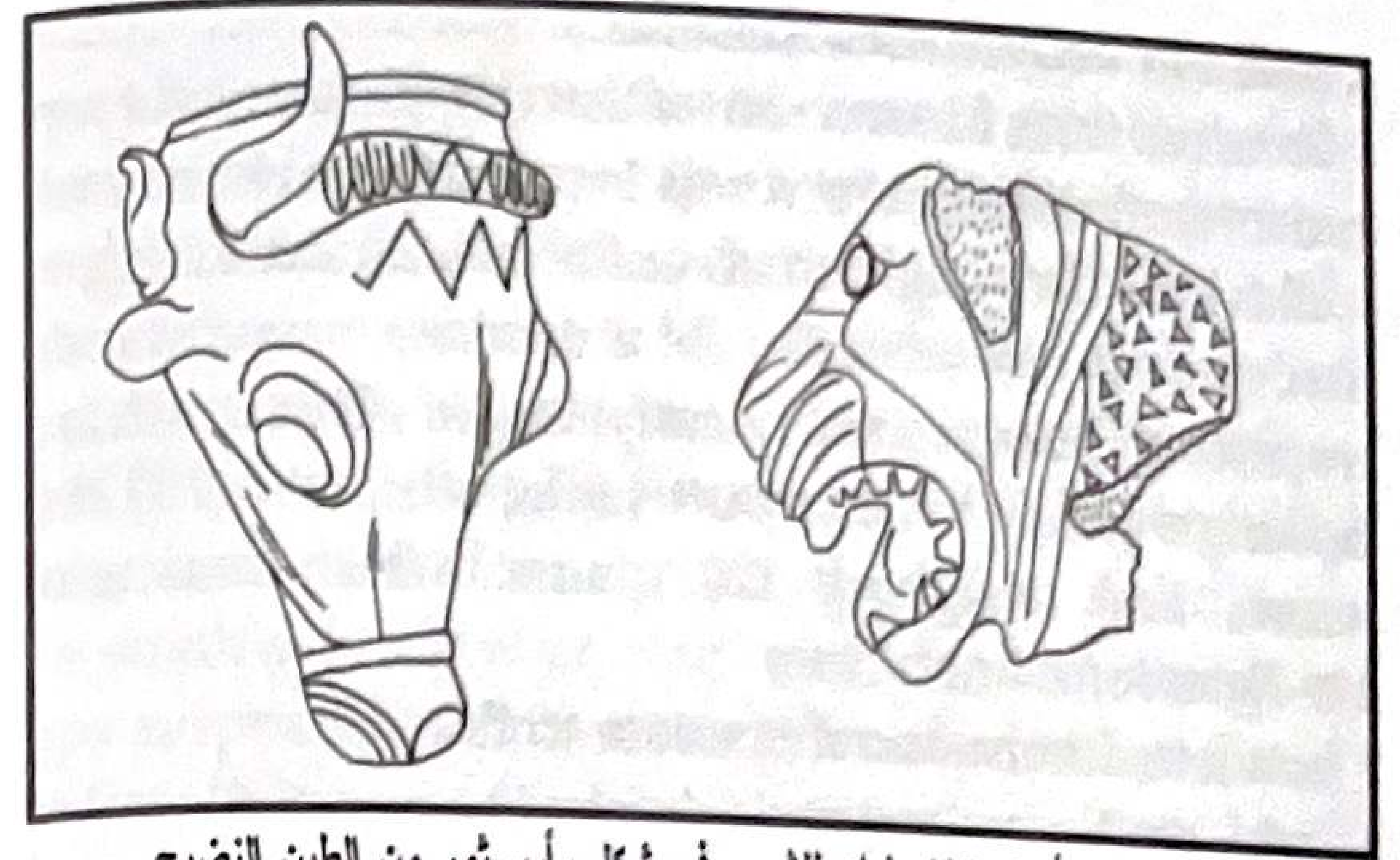
كانت التماثيل تطلى احياناً بالذهب وقد وجدت شظايا من ورقة ذهبية في بهو العرش حيث كشف عن تماثيل محطمة. وكانت كؤوس الشرب تصنع من الذهب والفضة، عليها تصاميم حيوانية تجعلنا نفكر بعمل اخميني متأخر جداً- وذلك لأنه لم يبق اي نموذج من عمل بابلي قديم، في حين ان الاعمال الاخمينية باقية. وقد ارسل موكانيشوم الى زمري- ليم من مشاغله:

"كاسان للشرب من الفضة في شكل رأس ثور، بوزن ٦٥٠ غم. ٨ كؤوس شرب في شكل رأس وعل وكأس شرب واحدة من الذهب الاحمر تزن (تقريباً) ٣ كغم، وكأس شرب واحدة من الفضة في شكل رأس غزال يزن ٣٠٠ غم، وزنت بمجموعة اوزان (عيارات) الملك الشخصية". وفجأة تمثلت لنا لمحة من مائدة مأدبة ملكية حافلة بكؤوس شرب ثمينة بتصميمات حيوانية متنوعة.

ولعل كؤوس الشرب لم تكن مرصعة او مطعمة بأحجار كريمة. كؤوس شرب واوان بشكل رؤوس حيوانات كان يستعملها الناس الاعتياديون في سوريا والاناضول في هذا الوقت، غير انها كانت تصنع عادة من طين نضيج. وقد استخرج كثير منها بالتنقيب في موقع المستوطنة الآشورية في كانيش، تبين المادة القوية والتصميم غير البارع انها تنتمي الى خارج البلاط الملكي. ولعلها قلدت تقليداً فظاً في الفخار ما كان البلاط يتمتع به من فضة وذهب.



صورة (٢٧): اوعية شرب فضية من الاناضول



صورة (٢٨): كأسان اناضوليان للشرب في شكل رأس ثور من الطين النضيج



صورة (٢٩): كأس شرب فخاري، من تل كيراب، قرب كركميش

لم تكن كؤوس المعادن الثمينة قد صنعت في ماري فقط في ذلك الوقت بل في توكريش ايضاً وهي بلد غير معروف يقع في شمالي عيلام. وكان اهل توكريش يشتهرون بصناعتهم اليدوية في زمن زمري- ليم. ولعل شهرتهم انتشرت بعد شمشي- ادد، ملك بلاد آشور الذي تلقى المزيد منهم. ولا ريب ان اسلوب توكريش كان مشهوراً جداً من كأس رأس ثور فضي من ماري يوصف بأنه "توكريشي"، وبعد ٣٥٠ سنة حين حكم الكاشيون بابل كان نسيجهم المرغوب فيه اكثر من غيره في بلاد الرافدين القديمة.

يبين سجل من كارانا ان كؤوس الشرب كانت توضع في منصب ويوضع المنصب في صندوق ملكي او خزانة.

" ٢,٥ كغم وزن الفضة لصنع (٧) كؤوس شرب من خزانة الملك. المجموع (نحو) ٤,٥ كغم من الفضة ل ٣٢ كأس شرب، تزن كل واحدة ١٢ غم، اعطيت الى ابي- ايلايا لصنعها".

كتب عقبة- حمو في رسالة الى ايلتاني:

" أيمكن ان تسلم الخيل فوراً صندوق الكؤوس الفضية المودعة لدى حاملي الكؤوس (السقاة) الى حامل رسالتي هذهِ" مما يدل على ان ايلتاني، فضلاً عن اهتمامها بالطعام والانسجة، مخولة بنقل الكؤوس من فناء القصر.

وكان المنصب الذي وضعت فيه كؤوس الشرب عملاً فنياً، رسالة من يسيم- سومو تبين ان مديري مشغلين كانا متعاونين.

" ارشدني الملك بشأن نقوش منصب كؤوس الشرب. وبشأن رؤوس الاسد والايل والوعل قائلاً" ضعها قيد الاستعمال!" فقلت " انها موضوعة قيد الاستعمال، والآن، حالما تقرأ هذهِ الرسالة ضعها قيد الاستعمال فوراً- رؤوس الاسد والايل والوعل".

وكان العاج يستعمل احياناً. فقد ادرج احد النصوص بعض مناصب كؤوس الشـرب المصنوعة من العاج، والمطلية بـالذهب والفضة، في صندوق مرصع بنجمتين من اللازورد. ولا يوجد حتى الآن اي دليل يبين من اين جاء العاج. وان ذلك لا يذكر في اغلب الاحـيان في نصوص ماري، ولكن التنقيبات في اسيمهويوك في الاناضول استخرجت الكثير.

البرونز:

هناك تلميحات متناثرة الى اعمال البرونز وصناعة الدروع، وهذه لا ريب تستغرق وقتاً كثيراً من المشتغل بالبرونز، غير انها كافية لبيان اعتمادنا على اي مجموعة بقيت من السجلات التي تقتضي الاكتشـاف، واي منها ما نشر [15]. وحين تحوي قائمة بالانسـجة المعطاةالى بـعض الناس نوعاً من القوس ايضاً، فإننا يمكن ان نستنتج ان بعض الانسجة في الاقل كانت دروعاً بدنية. وقد وجدت دروع زرد وصفت بأنها من "طراز اكد" او "طراز حـلب" من الدرجة الاولى. وعلى كل حـال فإن دار الصناعة العسـكرية التابـعة لزمري- ليم اما انها لم تكن داخل اسوار القصر في ماري او ان الدليل ما يزال مفقوداً، لأن هذه الاشـارات قـليلة وحافلة بالآمال الكاذبة. ولعل المشتغل بالبرونز، نابـاهوم، كان رجلاً ذا مكانة معتبرة في المجتمع. ويبين نص من كارانا انه يمتلك أمةً، وفي قوائم حصص من ماري كان المشتغل الوحيد بالبرونز المقيد اسـمه شـمش- توكولتي تسلم اكبر حصة من الخبز.

ارسل يسيم- سومو برونزاً الى موكانيشوم لكي يصنع آلات بـناءً على طلب عاجل من الملك- فؤوس وازاميل ومساحي (جمع مسحاة).

ولعل العمل، على الرغم من انه تحت رقابة موكانيشوم، كان خارج اسوار القصر، لانه لم يعثر على اي فرن او خبث برونز في القصر. ولعل

من المدهش ان مشتغلاً واحداً فقط في البرونز وجد في قوائم الحـصص، ومع ذلك فإن رسالة كتبها زمري- ليم الى موكانيشوم تبين ان موكانيشوم كان مهتماً اهتماماً شديداً بصناعة الاسلحة.

" اتكلم الى موكانيشوم، هكذا يقول مولاك. حالما تنتهي من قـراءة هذهِ الرسالة اصنع خمسـين سـنان سـهم يزن كل واحـد منها ٤٠ غم، وخمسين سنان سهم يزن كل واحد منها ٢٤ غم، ومئة سنان سهم يزن كل واحد منها ١٦ غم، ومئتي سنان يزن كل واحد منها ٨ غم. اعطها الاولوية لكي تصنع بسرعة. يبدو كأن حصار انداريك قـد يطول، ولهذا السبـب اكتب اليك بشأن هذهِ السهام".

القصدير:

كان القـصدير، هذا المعدن النادر، يجهز من مكان بـعيد خارج البلاد، من مصدر ما يزال غير مشخص [16]، توجد عدة مشـكلات تتعلق بالقصدير وصناعة البرونز في هذهِ الحقبـة. وعلى الرغم من عدم وجود شك ان في بعض السياقات تعني كلمة انّاكوم القصدير، فإنها في سياقـات اخرى قد تعني الرصاص [17]، وإننا لا نستطيع ان نزعم ان كلمة مفردة في الاكدية لها مرادف في الانكليزية. ويبدو ان تحليل قطع من البـرونز من طبقات جيدة في التنقيبات يبـين ان البـرونز الزرنيخي وليس البـرونز القصديري كان ما يزال كثير الاستعمال في هذهِ الحقبة [18] الذي يبدو انه لا يتطابق مع تفسير كلمة انّاكوم بالقصدير المستورد بكميات كبيرة. ولتعقيد القـضية اكثر يوجد دليل راسـخ على ان الرصاص في اواخر العصر البرونزي كان يستعمل أُشابه (مزيجاً) مع النحاس فضلاً عن القصدير [19]. وقد حل حتى الآن قـليل جداً من البـرونز من بـلاد الرافدين في زمن حمورابـي. ويوجد الرصاص طبـيعياً وبـكثرة في الاناضول، فلا يلزم

استيراد الآشوريين له الى بلاد الاناضول. ومن التفاهة افتراض ان الرصاص كان الدعامة الاساسية للمستوطنة التجارية الآشورية القديمة في كانيش. فقد كان مبتذلاً محلياً بحيث كانت تماثيل صغيرة تصنع من الرصاص الاصم (غير المجوف) في كثير من الاحوال، وقد وجدت بأعداد معتبرة في كولتبه. وليس من الممكن حتى الآن التوفيق بين اللقى الآثارية وتحليلها وسجلاتها المدونة. اما بشأن مصادرها، على الرغم من وجود قلة منها معروف في ايران، فإنه غير مؤكد ان كانت مستغلة في ذلك الحين. وان اكتشاف القرنفل من اندونيسيا في التنقيبات في تيرقا [٢٠] يحتم استئناف امكان ان تكون تايلند وليس ايران هي المجهز الرئيس له (اي الرصاص). ولأنه كان يأتي من بعيد وربما لأن المصادر كانت قليلة، فإن تدفق المادة كان متقطعاً، ويعكس عدم الاستقرار والاضطراب في اي نقطة في رحلتها الطويلة " لايوجد قصدير متوفر " كتب كيصوروم الى ايلتاني في كارانا.

ومع ذلك قبل بضع سنوات كانت ماري تحت حكم زمري- ليم تتلقى تجهيزاً وفيراً جداً حتى ان القصدير كان يرسل من ماري الى مدينة تالهايوم عاصمة دولة ايداماراز التي تقع شمال غربي ماري لكي يمكن صنع آلات جديدة فيها. وربما حدث هذا بعد ان ألحق زمري- ليم شعبها بماري.

يوجد نص إداري يبين الكميات التي كان القصدير يخزن فيها زمن استئنائي.

"٣٣ كغم من القصدير، البند واحد، في مساحة الدار، ٢,٥ كغم من القصدير البند اثنين في المستودع، ٣٠ كغم من القصدير، البند ثلاثة، في المستودع، ٢,٥ كغم من القصدير، البند اربعة، المجموع ٧٦ كغم من القصدير، ما تسلمته أناء اهوشينا".

في النص التالي، يوجد القصدير مع كؤوس شرب وحلقات مقدمة الى موظفين كبار يعرف عنهم انهم أدوا واجباتهم خارج البلاد سفراء من ماري او انهم مفوضون في ماري لدى غياب الملك. في القسم المتأخر من الألف الثاني والألف الأول كان القصدير معروفاً من نصوص بوصفه معدن عملة الى جانب الفضة، ويمكن الآن رؤية هذا الاستعمال ايضاً في ماري البابلية القديمة [٢١]. ويوجد نص آخر يتعلق كلياً بالقصدير، على الرغم من انه لا يشير الى وظيفة القصدير.

وعلى الرغم من ان نهايته مكسورة، فإن كمية القصدير في المجموع ضخمة، ٤٨٠ كغم. وفضلاً عن ذلك، فإن النص لا يصف فقط متى وصل القصدير واين خزن، بل يبين ايضاً اين سيوزع ثانية. وقد جاءت الكمية الكبرى من ماري. وقسم آخر من حمورابي البابلي يوجد في حلب، وقسم تحويل من شيبلارباك، ملك أنشان، وقسم هدية من ايشي- داكان ويتار- عدو" يوجد في اوغاريت. من هذا القصدير، كان التوزيع الثاني كما يأتي: قسم الى شمشي- ادد ملك بلاد آشور، قسم الى يريم- ليم، ملك حلب، وكمية صغيرة ومنفصلة الى زوجته كاشيرا (ام زوجة زمري ليم)، وقسم الى ثلاثة رجال في حلب، والباقي الى مدن غربية اخرى تشمل هازور، وقسم الى "الكريتي". ويلقي النص نظرة نافذة في انماط التوزيع واعادة التوزيع المعقدة حين سيطر الآشوريون على ماري، ويؤكد الرأي بأن كثيراً من التجارة كان يتم في شكل هدايا متبادلة على مستوى ملكي او على مستوى سفارة، بمواد خام مثل المعادن وكذلك بضائع مستكلمة مثل الانسجة.

الحديد:

كان الحديد معروفاً وكان يستعمل لاعمال تتعلق بالزينة والحلي: ابازيم وخرز. وبطبيعة الحال فإن عمله لانتاج ادوات واسلحة جيدة جودة امثالها من البرونز لم يكن قد تطور بعد. مرت ثماني مئة سنة او اكثر قبل ان يبلغ عمل الحديد نضجه في هذه المنطقة (٢٢). في حين ان المعدن كان معروفاً ومستعملاً من غير ان ينال اهمية عظيمة من الناحية الاقتصادية. وقد اكتشفت في اثناء الحفريات في اسيمهويوك علبة عاجية مزينة بازرار زخرفية من البرونز والحديد واللازورد (٢٣).

العملة واسعار الصرف او التبادل:

يتضح من النصوص صناعة كؤوس الشرب ومناصبها بكميات معتبرة جداً كانت امراً شائعاً. ويأخذنا ذلك الى مسألة العملة في عصر لم يكن سك العملة قد اخترع عندئذ، لأن من الواضح ان قصور التجار لابد انها كانت تحوي اشياء من العملة كانت تقتنيها ايضاً. وتبين السجلات من ماري بوضوح تام الاشكال التي تتخذها العملة في بلاد الرافدين في اثناء العصر البرونزي الوسيط (٢٤).

يوجد نص واحد يدرج في قائمة كؤوس شرب مع قوالب (صب المعادن)، من القصدير وحلقات من الفضة الى اشخاص مخصوصين (٢٥). الحلقات معروفة آنذاك بأنها شكل كانت الفضة تستعمل به عملةً قبل سك النقود (٢٦). " حلقة واحدة، (٧٣) كأس شرب، حمو- شاكَيش، اثنان منها (كؤوس) رأس ثور، (٦) كؤوس شرب، اسقودوم، (١٠) كؤوس شرب، اثنتان منها (كؤوس) رأس ثور، يسيم- سومو، (٧) كؤوس شرب، هبدو- مالك، (٢٤) قالباً من قصدير، ايديناتوم، (٦) كؤوس شرب، يسيم- داكَان، (٥٧) كأس شرب، ٣ حلقات، بهدي- ليم، كؤوس رأس الثور، (٣)

كؤوس شرب، ٤ حلقات، يسيم- ايل. "جميع هؤلاء الرجال موظفون في القصر من ذوي الرتب العالية، بعضهم متزوج من عائلة زمري- ليم. لعل الدفعات كانت لهم شخصياً، او لهم لتوزيعها في خارج البلاد بوصفهم سفراء، واعطاء زائرين من اصحاب المقامات الرفيعة في ماري. وعلى اي حال، فإن كؤوس الشرب كما هو واضح هي شكل من التبادل او الدفع. نص آخر يبين كيف ان (٧) كؤوس شرب في شكل نهايات قرون، تزن ما مجموعه ١,١٧ كغم من الفضة، اعطيت الى جنود القائد الاعلى للقوات المسلحة البابلية.

ويبدو ان الدفعة اتخذت ايضاً شكل فؤوس من فضة وذهب او رؤوس فؤوس (٢٧)، وقد خصص احد النصوص ثوباً وفأس- هاصينوم ذات وزن محدد من الفضة ومطلية بالذهب الى كل واحد من ستة موظفين مذكورين بالاسماء. ان مثل هذه الفأس لا يمكن ابداً ان تستعمل استعمال الاداة. بعكس وزن فأس الرجل الدفعة التي يستحقها، لوح واحد فقط ينشر حتى الآن يشهد على هذه الممارسة، غير انه يلفت النظر بصورة خاصة بأنها تشبه العملة- او فؤوس قوالب اموريكا (بريتاني في فرنسا) في اوائل الألف الأول (٢٨).

توجد قائمة بالفضة يبدو انها تبين ان مسافرين رسميين لم يحتفظوا بما يدعى الهبات التي تسلموها خارج البلاد.

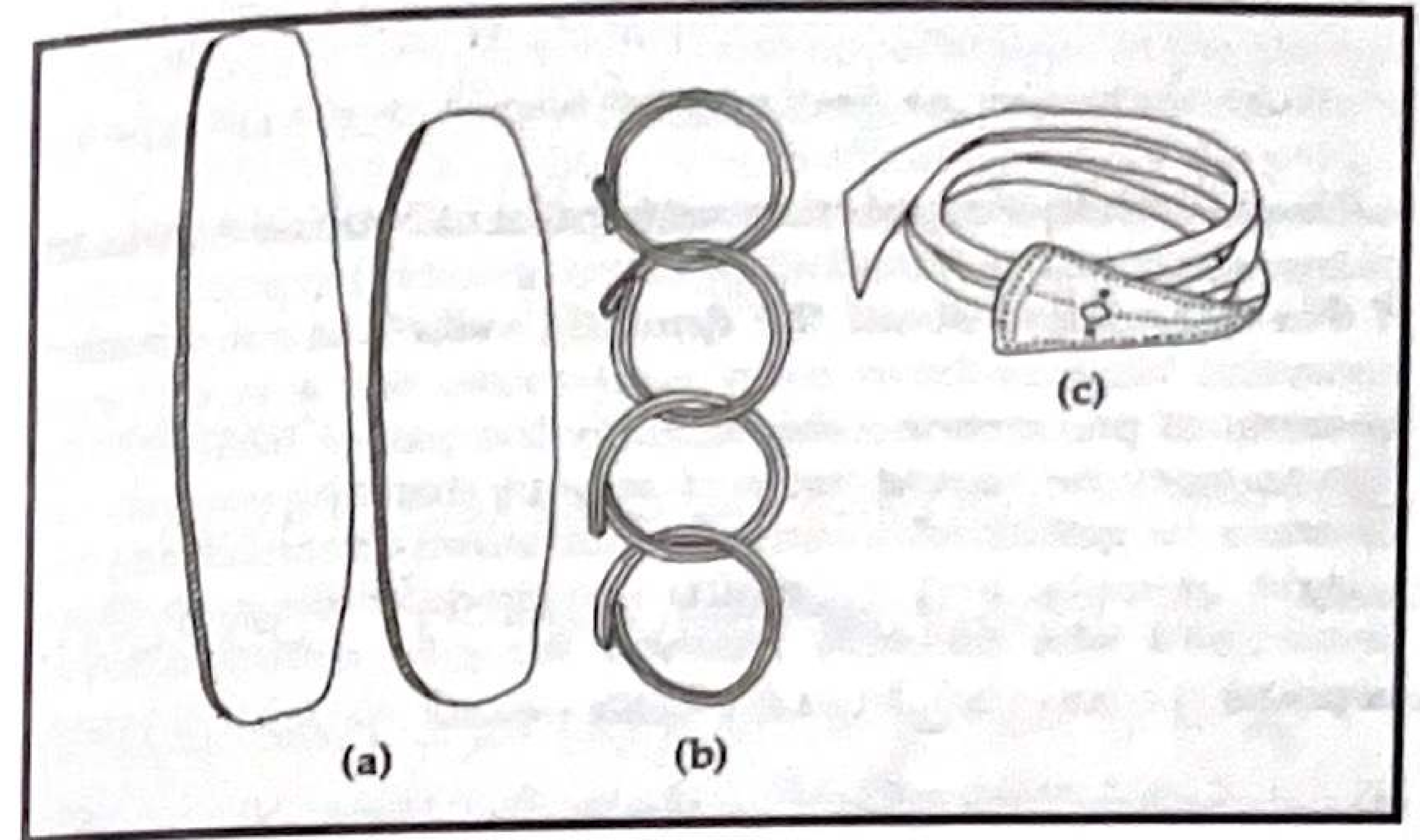
" ٢ كغم فضة، حلقات في كيس،... عبدو- مالك.

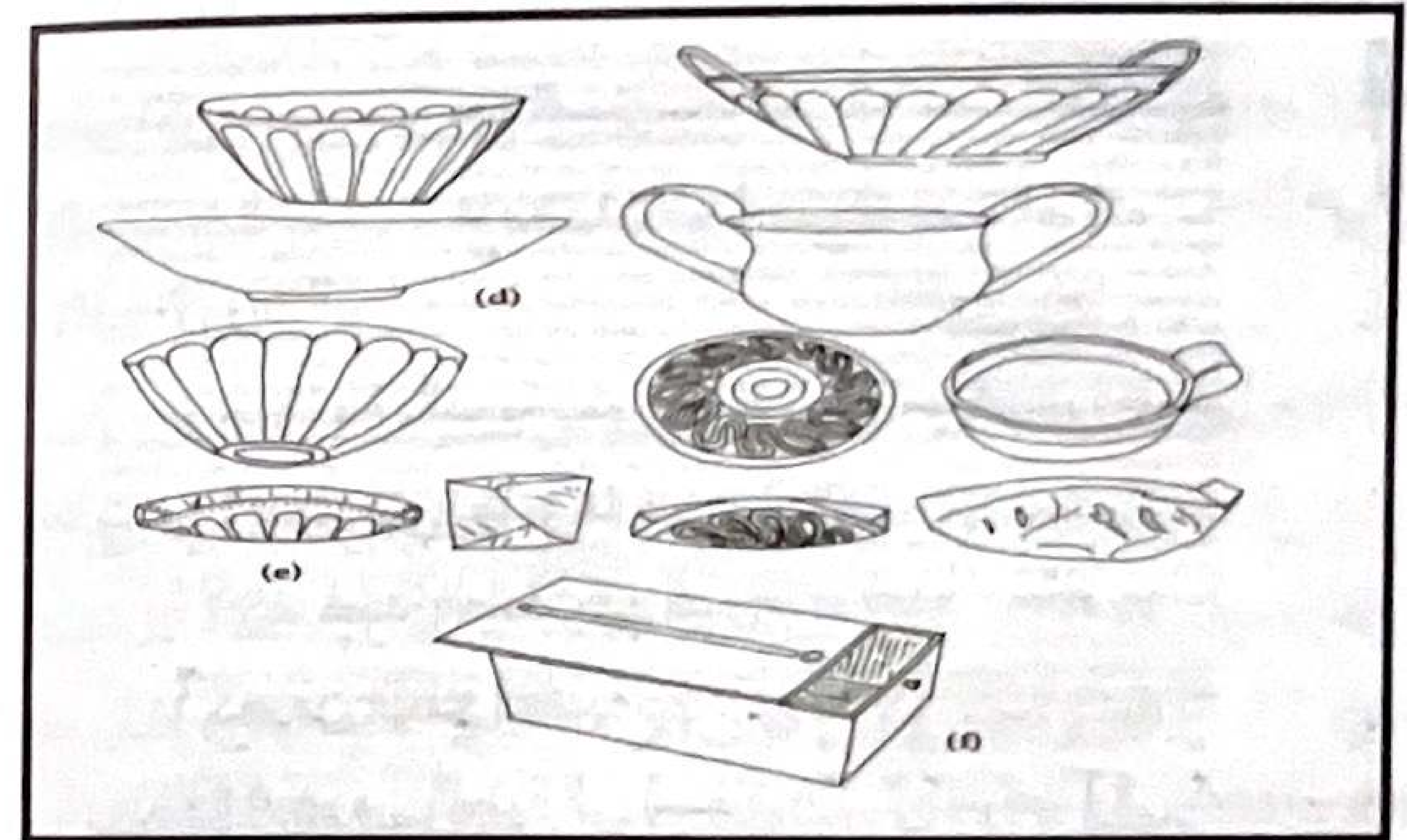
١ كغم من القطع الفضية...

٥٤٠ غم من الفضة الى السعاة.٢,٣٨ كغم فضة في كيس... يسيم- ايل.

٣٧٢ كغم فضة فدية عن اربعة خدم كابايا.

٨٨ غم فضة، هدايا الى الرسل في تاباتوم.





صورة (٣٠): نماذج من كنز (تود) مصاغات فضية واكواب واوان وصندوق/ خزانة

(١) كأس شرب في شكل نهاية فرع قرن من الفضة، هدية هبدو- مالك حين عاد من هالي- سومو...

(٢) حلقة فضة (تزنان) ١٤٧ غم من عقبة- أهوم لدى عودته من قرني- ليم (ملك انداريك) من سفرتين...

(١) كأس شرب من الفضة (تزن) ٨٠ غم، من هبدو- مالك لدى عودته من حمورابي".

تبين الخلاصة في نهاية النص بوضوح تام انهم قدموا ما يدعى بالهدايا الى الملك، لأنها تقول:" اضافات الى صندوق الملك" صندوق الملك، بيسان شاريم، كان محفظة النقود الملكية او خزانة القصر.

كانت الفضة الواسطة الاساسية للتبادل وكانت في الغالب تخزن او تحمل في شكل ملف رقيق او حلقة من سلك او شريط، كما وجد في التنقيبات قرب كارانا في تل تايا [٢٩]. وحين دفعت الناديتوم- نساء سبار من اجل احرازها، فإن السجلات تقول انهن اعطين "من حلقتهن الفضة": وبكلمات اخرى، اقتطعن الوزن المناسب من الفضة من ملف طويل. كان كثير منها يستورد من الاناضول وخاصة من مناجم سيليسيا الغزيرة الفضة، ومن المفترض انها كانت شائعة وتجهز بانتظام، ولذلك فإنها المعدن المناسب جداً للعملة.

هذه الاشكال من المعدن التي كانت تصنع بها المدفوعات- قوالب وحلقات وكؤوس شرب- وكذلك الخزانة الملكية التي تخزن فيها العملة، يمكن تشبيهها بإكتشاف مصري يعرف بكنز تود. يتكون هذا الكنز كلياً من مواد مستوردة، وكان محفوظاً في خزانة جميلة تحمل رقعة بأسم امينميهيت الثاني ولعله اقدم من نصوص ماري" [٣٠] بقرن او نحو ذلك. ومن تلك المواد قوالب فضة مستطيلة، وحلقات فضة غير مكملة، واكواب خفيفة الوزن ذات زخارف محززة بسيطة، واكواب اخرى طرقت

وبسطت ثم طويت عمداً، لكي تخزن في شكل قطع من طبقات معدنية في خزانة الملك. وتبين صنعة وحفر الاختام ان بعض العمل كان إيجيا (من إيجة)، وبعضه من شرق البحر المتوسط، وبعضه من بلاد الرافدين. كانت المواد اشكالاً متنوعة من العملة المعدنية انتجت خارج البلاد واعطيت في تبادل لصادرات مصرية. وكانت كؤوس الشرب في نصوص ماري اكثر اتقاناً وتنوعاً في التصميم ولكنها تؤدي الغرض نفسه، وكان بعضها صغيراً جداً (٢٠٠ غم)، واخرى وزنها ٣ كغم ويصعب رفعها والشرب منها. وكان الكنز يضم شظايا من اللازورد التي تكون ايضاً قد استعملت في شكل عملة.

كانت وظيفة رئيس السقاة مهمةً لأنه كان مسؤولاً عن خمر الملك ولعله كان يتذوقه من اجل السم. ولكن إذا فسرت هذه المعلومات بشأن كؤوس الشرب تفسيراً صحيحاً، فإنه قد يكون مسؤولاً عن كمية كبيرة جداً من المعادن الثمينة، اي خزينة القصر في الواقع. فيكون بهذه الاهلية مسؤولاً عن كؤوس الشرب بوصفها هدايا الى ضيوف مكرمين (او مهانين) بوزن المعدن او بالصعنة على وفق منزلتهم، ولعلهم يتسلمون الهبات في اثناء مأدبة ملكية.

كيف كان يتم ترتيب التبادل الوافي بالمراد؟ هناك اسعار تبادل نظرية معينة لسلع اساسية قليلة مثل التي اعلنها شمشي- ادد ملك بلاد آشور في كلام عام منقوش، وآخر مختلف، ربما اعلنه قبل سنوات قليلة دادوشا الملك الذي سنّ شريعة اشنونا وضمّنها قائمة بأسعار التبادل [٣١]. تبين هذه النصوص القيمة المالية لمواد مثل الشعير والزيت والصوف في شكل فضة،وربما كان من المفترض ان تستعمل في جميع ارجاء المملكة او الامبراطورية بصفة اسعار قياسية.

ويبدو ان المقارنة بالسجلات اليومية تبين انها كانت اسعاراً تبعث على التفاؤل، وتعكس وجهة نظر دعائية عن الناس اكثر من كونها املاك حكومية [٣٢]. وليس لدينا أي دليل عن كيفية تسوية التناقضات الاقليمية في اسعار التبادل، ولكن من المفترض ان الصفقات والشكاوى كانت تستعمل من اجل نتائج جيدة.

تقسيم العمل:

ابانت نصوص كارانا كيف كانت الملكة شديدة الاهتمام بمشاغل نسيج القصر وكيف ان ذلك كان واجباً واحداً من كثير من واجبات ايلتاني. وكشفت رسائل النساء من ماري ان الملكة شبتو مرتبطة، مع وظائف كثيرة بخزن الطعام بمقياس واسع.

ان الافتقار الى التخصص لم يكن مقصوراً على النساء. وان يسيم- سومو، فضلاً عن استخدام النجارين الاثنين من قسم موكمانيشوم وتعاونهما معه في انتاج اشياء معدنية، نصح الملك في كيفية اختيار صيغة سنوية.

في ذلك الوقت كانت كل سنة تسمى بإسم حادثة مهمة وقعت في السنة الماضية، وكانت الحوادث في العادة دينية او عسكرية [٣٣]. ان هذه التسميات، في غياب اي كتابة تاريخية رسمية، مصدر مهم: معلومات التاريخ العسكري والسياسي للحقبة. ولعل انشغال يسيم- سومو كان جزءاً من مهنته النظامية قيّماً على السجلات (اميناً للأرشيف) شا.دوب.با. وقد كتب الى زمري- ليم قائلاً:

((السنة التي مضت- ليطلق عليها (السنة التي ذهب فيها زمري- ليم لمساعدة بابل، وذهب ضد مملكة لارسا مرة ثانية،((قبل ان يكتب هذا الاقتراح الى زمري- ليم، ناقش البدائل مع زميل اسمه شنوه- رهلو :

" عن اسم السنة التي كتبت اليّ قائلاً: (بخصوص الاقتراح بتسمية السنة) السنة التي اهدى فيها زمري ليم عرشاً عظيماً الى الإله داكان" و ذلك العرش ما يزال غير مهدى. الآن، ارسلت رسالة الى مولاي، اطلقت فيها اسم السنة التي ذهب زمري- ليم لمساعدة بابل والى لارسا مرة ثانية. إلفتوا عناية الملك الى تلك الرسالة، ثم اكتبوا اليّ لتقولوا هل قبلها ام لا؟".

واصل يسيم- سومو إخبار الملك عن الرجال والتجهيزات للحصاد، وتعامل مع نجار من حلب على صنع تمثال- لاماسوم من نوع الارواح الحارسة، وارسل الي زمري- ليم عامل جلود، وساعد في تنظيم استيراد الحبوب. فمن الواضح ان مديري المشاغل لم يقسموا عملهم بحسب الحرف، بل كان واحد مهتماً بكثير من المهن المختلفة.

وقد وجد ان موكانيشوم منشغل بالصوف والثياب المكتملة والاعمال المعدنية. والزيت والجلود واللحم والسجينات. وقد ظهر احتمال ان العمل كان ينظم في اقسام تتناول مجالات خاصة من المهن، ما دام يوجد دليل "الدائرة لبابل" و "الدائرة لتيرقا".

وعلى الرغم من هذه الثروة من الوثائق، من الصعب علينا ان نعرف مدى جودة احوال العمل بالنسبة الى العبيد. وان المغزى المضبوط لكلمة "نيباروم" غير مؤكد. وعلى الرغم من انها تستعمل بمعنى "سجن" فإنه قد يكون معنى ثانوياً. انها عادة تعني مشغل قصر حيث يشتغل عبيد من اسرى الحرب ورجال احرار. وان اصل الكلمة وتحليل تأصيلها غير معروفين. تعبير مختلف، "بيت صيبيتيم" استعمل في احدى رسائل ماري لسجن احتجز فيه مجرمون سيئون. ولا يوجد دليل محدد من ماري على ان الاحرار يمكن ان يستعبدوا بسبب دَين، غير اننا نشك ان النصوص نادراً ما تذكر مثل هذا الشيء. وقد يضللنا انحياز دليل نحو افتراض ان جميع العبيد تقريباً قد فقدوا حريتهم بواسطة اسرهم في الحرب.

ويمكن ان يوهب العبد الى احد حتى بعد عمر طويل من الخدمة، ولكن ذلك كان يعد عملاً يعوزه الاحساس الجميل. وقد كتبت السيدة ادد- دوري: " ترعرع داكان- ايلاسو في هذا القصر منذ ان كان طفلاً رضيعاً وانت ستهبه هدية الى سومو- هاديم وقد بلغ من الكبر عتياً.

اجتمع "اخوانه" الخدم (ليحتجوا)، ولا استطع اقناعهم".

رسالة اخرى من امرأة الى زمري- ليم تتضرع اليه ألا يهب امها العجوز هدية الى احد. ويحتمل ان تكون الأُم أَمةً (عبدة)، غير ان ابنتها، سواء أكانت أمةً ام حرة، فإنها استطاعت ان تكتب الى الملك، تتضرع إليه ان يغير رأيه.

ولا يوجد دليل واضح على ان العبيد كانوا يعاقبون عند محاولتهم الهرب. فقد كان يعاد القبض عليهم وارجاعهم. بين الرسائل المفصلة الكثيرة جداً توجد حادثة واحدة حاول فيها بعض العمال الهرب. حدث ذلك في مدينة صوبروم في مملكة ماري. وقد كتب زمري- ليم الى ادد- دوري قائلاً:

" قرأت تواً الرسالة التي بعثتها اليّ التي كتبت فيها تقولين ان بعض العبيد حفروا نفقاً وهربوا خارج مشغل صوبروم غير انهم القي القبض عليهم.

زمري ليم نصح ادد- دوري ان عمل بحزم لئلا يصبح الهرب شائعاً، غير اننا لا نعرف بالضبط الاجراءات التي كانت تتخذ. والعامل الممانع الذي اعتاد محاولة الهرب يمكن ان يكلفه زملاؤه العمال الذين يتعهدون بدفع مبلغ ضخم من المال بالاشتراك الى القصر اذا هرب. ويبدوان كفالة العبيد بهذِه الطريقة كانت عادة شائعة. ولعلهم كانوا يتجنبون اللجوء الى عقوبة قاسية.

وفي كارانا، حيث كان العمل قصيراً بوجه خاص، لم يكن من الممكن اخذ عامل من عمل الى عمل آخر من غير توفير بديل له، ويوجد سجلان فقط من ماري لبيع العبيد في هذه الحقبة [٣٤]، ولا شيء من كارانا. ومن الصعوبة ايضاً التأكد بدقة اي العمال كانوا عبيداً وايهم كانوا عمالاً احراراً لأن اسماء العبيد لا يمكن حتى الآن تمييزها عن الاسماء الاخرى في هذه الحقبة [٣٥]، ولا يوجد ايضاً تمييز بين "عبد" و "خادم" احد رعايا الملك" وما نزال لا نعرف نسبة العبيد في السكان، والى اي مدى كانوا يعاملون معاملة مختلفة عن الناس الاحرار، على الرغم من ان شريعة حمورابي توضح ان العبيد كانوا احياناً يتلقون عقوبة الموت في حين كان الرجل الحر يدفع غرامة مالية عن الجريمة نفسها.

كان اسرى الحرب المصدر الرئيس للعمل في القصر. وهذا يعني ان الانتاج يمكن ان يزداد بسرعة بتوسيع قوة العمل المركزية نتيجة لنصر عسكري. وحين تنهب مدينة او قصر بعد الاستيلاء عليها فإن العمل البشري كان سلعة ثمينة مثل المعادن الثمينة لدى الملك الفاتح، ومن الواضح من وسائل ماري ان تدفقاً جديداً من الاسرى كان يستوعب بسرعة في مشاغل القصر. ولكن كان عمال آخرون محترفين ماهرين من اصل محلي لعلهم نالوا تدريباً على ايدي هيئة من القصر، ولكن لسوء الحظ لا يوجد اي ادلة تفصيلية عن التدرب على صنعة، عدا قائمة واحدة تضم احد عشر تالميدو- متدرب مع تسعةعشر بناءً.

وكان العميان، ايكي- نو. كال، يستخدمون في القصور. وفي جاكار بازار وضع هؤلاء الرجال والنساء العميان في قوائم حصص القصر وتخصص لهم حصة قياسية. كان احدهم عامل قصب وكانت إمرأة طحّانة وكان اثنان بستانيين. ومن الغريب ان توصف حالتهم في تلك القوائم المقتضبة ما دام اسمهم وحرفتهم تكفي لتمييزهم، وان حصتهم لا تختلف عن حصة العمال غير العميان.

ان شروط الاستخدام في خدمة القصر لا يمكن وصفها الا جزئياً. فإذا فهم مصطلح "شو. بار. را" في قائمة الحصص فهماً صحيحاً، فإن عمال النسيج كانوا يمنحون وقتاً للراحة، واياماً من غير عمل، على الرغم من الافتقار الى التفصيلات. وكانت الاجور تدفع في شكل ملابس وصوف وحبوب، ولعل اكثرها شيوعاً هي الحبوب او الخبز، "اكلم مولاي، خادمكم بهدي- ليم. مدينة ماري والقصر والمنطقة بخير. اني الآن انظر في مسألة عمال القصر، من عمال القصر الاربع مئة اعطي مئة ملابس والثلاث مئة الآخرون لم يعطوا ملابس. لذا فإني سألت موكانيشوم وبالي- ايراه عن العمال الذين لم يتسلموا ملابس، فأجاب موكانيشوم قائلاً: انه ليس قسمي، انه لبالي-ايراه ان يعطيهم ملابس. وأجاب بالي ايراه قائلاً: اعطيت مئة عامل ملابس، المئة منهم هم اجمالي قسمي، وعلى موكانيشوم ان يعطي الآخرين ملابس.

كانت كل حركة للبضائع ورواتب العمال والوصول من الخارج تسجل كتابة على الواح من طين. وكانت الالواح تخزن في صناديق، وربما على رفوف، وكانت الحجرة يختمها الملك بختمه الاسطواني، وهو توقيع سلطته. وقد كتب انيبشينا الى زمري- ليم قائلاً:

"بموجب الرسالة التي ارسلتها لي، فضضت ختم حجرة الالواح التي ختمت بختمكم، كان موكانيشوم وتابات- شاروسو حاضرين ثم اراهما اكميلوم الصناديق للاطلاع عليها. واخرجتها مع الصناديق من اجل الاحصاء الرسمي بإعتبار ذلك مسؤوليتهما الشخصية".

كانت الاختام تستعمل لختم مخازن الطعام. وكان لمخزن الخمر في ماري قفل ويختم بختم زمري- ليم الخاص. ويرسل الختم الى زوجته شبتو حين كان يريدها ان تخرج بعض الخمر هديةً الى حمورابي البابلي. وعندما تعيد ختم الحجرة كان يطلب اليها ان تعيد الختم الى الملك. ويبدو

ان الآلية التي تختم بها الحجرات رمزية أكثر من كونها عملية: فيمر خيط او حبل فوق حافة فتحة الباب ويثبت في مكانه في كلا الجانبين بقطعة من طين يطبع عليها الختم المناسب. وحين يفض ختم الباب فإن قطع الطين تسقط على الارض حيث تتراكم احياناً في طبقات تحمل شاهداً على إدارة شؤون منزل لا تبالي بالنظافة- وهي هدية الى المنقب عن الآثار الذي يدرك عماله اهمية كتل الطين ذات التصميمات المطبوعة بنحو خفيف في اغلب الاحيان. ولاريب ان هذه الوسيلة لختم الابواب كانت تعزز بمزالج قوية.

كانت الالواح التي تحفظ سجلات المشاغل تنقل من احد اقسام القصر الى قسم آخر او من مدينة الى مدينة اخرى داخل المملكة. وتقول رسالة من كارانا " اجلب الواحك، وقم بالرحلة، وقدّم حسابات شعيرك".

كانت ايلتاني تأخذ الواحاً في اسفارها ولعلها كانت تعيدها الى قصرها مع الرسائل التي تتسلمها وهي بعيدة عن مقر حكمها [٣٦].

وكانت الرسالة ترسل احياناً من احد اقسام القصر الى قسم آخر. وقد يؤدي اي من هذين الحالين الى اكتشاف عرضي لرسالتين، احداهما كتبت جواباً عن رسالة اخرى.

وتعرف عدة مهن اخرى من قوائم حصص القصر، فضلاً عما ذكر آنفاً. وفي النهاية المتواضعة لنظام الدرجات المهنية اثنان من السقاءات (ناقلات الماء)، وهما فتاتان في ماري اسماهما بيهي وأبي- شمشي، ورجلان " يحملان الحطب"، وحاجب (وكانت النساء حاجبات في جاكار بازار)، وحلاق، وحامل عرش وعامل قصب يصنع سلالاً وحصراناً واسيجة. وثمة بستانيون يعنون بالنخيل في الفناء العظيم ولعلهم كانوا يزرعون زهوراً عطرة في "حديقة الملك" حيث كانت تقدم قرابين جعة- ألابانوم الى الالاهة عشتار. ومن الغريب انه لا يوجد فخّارون في قوائم

حصص ماري على الرغم من وجود قوائم من مختلف انواع الأواني الفخارية، وقد ذكرت سعاتها ووظائفها المعدّة لها. وقد وجد فخّاران في قوائم حصص في قوائم جاكار بازار.

وكان الموظف المسؤول عن "قسم القير" غير معروف على الرغم من ان هذه المادة المثبتة الكلية الوجود المستعملة لمنع تسرب الماء لها قاعة كاملة او قسم خاص به في ماري. ولعل الرجل نفسه او رجلاً من مخازن الزيت كان مسؤولاً عن انارة القصر.

(لتر واحد زيت من الدرجة الاولى للمصباح الشاخص امام الالاهة).

هذا ما يقول سجل زيت من كارانا. ويحوي نص من ماري الكلمة "سافاروم" نفسها لمصباح الزيت، وفي رسالة ارسلت ((بوصينوم)) اي فتائل مصباح، مع زيت. والرجل (او المرأة) الذي يشمل عمله تصفية الزيت وصنع العطور هو "راقوم" او "لوراقوم" اي عاصر الزيت او صانع العطور، وكان مسؤولاً عن مختلف المواد العطرية: الزيوت العطرية للسرو والعبهر والآس والارز والعرعر، مسؤولاً عن قاعته او قسمه. ولعل هذه الزيوت كانت تستعمل لمسح وتنظيف الناس وتماثيل الآلهة.

وعلى الرغم من ان معظم السجلات المدونة يخص العمل، كان هناك ايضاً عزف موسيقي في قصور ماري وكارانا. وقد اشرنا آنفاً الى قيثارتين مصنوعتين بتوجيه موكانيشوم واشرنا الى طبول مصنوعة من جلود القصر المدبوغة. وتبين لوحة صغيرة من هذه الحقبة عازف عود يعزف. وكان الموسيقيون ذكوراً واناثاً يتلقون حصصاً من الطعام والخمر في القصر. وتبين رسالة مكسورة من ماري ان الموسيقيين كانوا

يسافرون مع القوافل، وتكشف قائمة خمر من كارانا ان الموسيقيات كان يخصص لهن خمر. وقد وجد لاعبو خفة ومصارعون في نص شعائري[٣٨]، يعرضان مهارتهما امام الالاهة عشتار في معبدها، ولعلهما كانا يؤديان فعاليتهما ايضاً في القصر. ولعل قسم موكانيشوم كان ينتج أحزمة مصارعين. لعبة لعلها قريبة من رمي الحلقات كانت تمارس في الفناء ٣١ في ماري، حيث وجد المنقبون مربعاً يحوي تسعة مربعات على الارض، حافاتها من الجص المصبوغ لكي تبدو كالمرمر. ونعرف من تنقيبات اخرى في بلاد الرافدين ان رقع مقامرة وبيادق كانت شائعة، بعضها جميل الصنع ذات زخرفة معقدة مرصعة. ولكن الالعاب التي كانوا يلعبونها غير مفهومة اليوم. وهي على اي حال، بحسب المصطلحات العامة، اسلاف النرد والشطرنج.

ملاحظات الفصل

١- نوقشت هذه المماثلة. ولا يذكرها ج موهلي ابداً في "النحاس والقصدير" (قارن ص ١١ وملاحظة ٣٩٠ في الفصل الثالث) لانه يعد تيماء Tayma هذه مختلفة، ومكاناً غير مشخص. والاشارة الى تيما Teima في نسخ لاحقة من نص لسرجون (أ.ك. كريسون "امبراطورية سرجون الاكدي" في Archivfur Oreintforschung ٢٥/ ١٩٧٤-١٩٧٧، ص ٦٠ السطر ٣٨ والملاحظة على ص ٦٤) يفترض انها مفارقة تأريخية. ولكن إذا كانت المماثلة صحيحة فإن تيماء Tayma ربما كانت السوق او المملكة التي كانت الثروة المعدنية لسيناء توزع نها. ولم يوجد حتى الآن دليل على منجم نحاس عامل في هذه الحقبة في سيناء.

٢- انظر S.W. Helms, Jawa ميتوين ١٩٨١ صص ٣١- ٣٤.

٣- من اجل مماثلة او تشخيص انشان بأنها تل مليان، انظر E. Reiner، Revue d'Assyriolgie 67/ 1973 ص ٥٧ وما بعدها.

٤- الاشارات النصية المختلفة لهذه المصطلحات مدونة في قائمة في (الارشيف الملكي في ماري) Reportoive Analytiqe, ARM xv 1/ 1 تحت norm geographiquess.

٥- انظر Reallexikon مدخل lapis lazuli اللازورد.

٦- لاحظ ان بساط طراز يمحد كان قد صنع فعلاً في ماري. وان اسم الطراز لذلك لا يعني بالضرورة ان الشيء صنع في المكان الذي كان اصل الطراز.

٧- المثبتات هي مواد تثبت الاصباغ في الاقمشة لايقافها ان تبهت او تزول بالغسل.

٨- يوجد مصطلح غريب هو "جراد البحر" او "الروبيان" لشيء كان يستعمل في عمل النسيج. ويوجد ايضاً صبـغ يسـمى ألانوم allanum من اواسط الاناضول لعله الصبغ القرمزي المستحصل من شجرة بلوط القـرمز وهي شجرة اصلية في الاناضول. وبموجب نصوص كارانا K ١٢٢ انه جاء من كانيش من طريق آشور الى كارانا.

٩- كان الشيقل الفضي اجرة العامل اليدوي الشهرية في هذه الحقبة، ويزن نحـو ثمانية غرامات. ويوجد ستون شيقلاً في المنا.

١٠- ان ظروف حفظ الفيروز افضل كثيراً جداً في مصر حيث كان معظمه يأتي من قبور حسنة البناء. ولاحظ المنقبون في شهري صخطة في شرقي ايران كميات من الفيروز موجودة في القبور اكثر مما في البيوت. انظر M.Tosi "مشكلة الفيروز في تجارة ما قبـل التأريخ المدون في الهضبـة الايرانية" studi di Paletnologia vol. ١٢, ١٩٧٤ .

١١- التشخيص القديم ("ايلاماكوم" elammakum بأنه خشب الصندل اصبح مهجوراً لأنه الآن يعرف ان ذلك الخشب كان يستورد من لبنان حيث خشب الصندل ليس اصلياً في البـــلاد. انظر: Dossin, "Inscription de foundation de Yahdun Lim" Syria رقم ٣٢/ ١٩٥٥ ص (١) وما بعدها و "Malmat, Assyriological studies" رقم ١٦/ ١٩٦٥ ص ٣٦٨. "حملات لحدون- ليم وحـكام آخرون اوائل من بـلاد الرافدين على بلاد البحر المتوسط".

١٢- انظر ملاحظة (٥) في الفصل الاول.

١٣- جرى ايضاً اقتراح تشخيص تاسكارنيوم بـأنه الجوز ولكن الخشـب يوجد كثيراً مع الابنوس بحيث ما يزال خشب البقس مفضلاً حتى الآن، وان لونه الابيض يصنع نقيضاً صارخاً لسواد الابنوس.

١٤- انظر مثلاً "Belleeten of the Turk Tarih Kurumu" , N. Ozgue "اسهامات في الفن الاناضولي المبكر من اسيمهويوك رقم ٤٣/ ١٩٧٩.

١٥- ناقش ذلك ج. موهلي في "مجيء عصر الحـديد" في مطبـعة جامعة ليل، ١٩٨٠.

١٦- ان اناكوم annakum قد تعني القصدير والرصاص، انظر الملاحظة رقم (٢) الفصل الاول.

١٧- يظن ج موهلي ان اناكوم تعني القـصدير فقـط في كتابـة "النحـاس والقصدير ١٩٧٣".

١٨- انظر P.R.S. Moorey في H.H. Coghlan . "ملاحظات في تعدين ما قبل التأريخ والبرونز في العالم القديم" اوكسـفورد ط٢/ ١٩٧٥ ص ٤١.

١٩- coghlan ، المصدر السابق ص ٣٦.

٢٠- انظر الفصل الرابع ص ٨٣.

٢١- في مستوطنة كانيش التجارية استعمل التجار "القصدير اليدوي" "اناك قاتيم" عمله لأنواع معينة من الاجور، مثلاً لدفع الضرائب واستئجار المحامين.

٢٢- لإدخال عمل الحديد البطيء الى بلاد آشور K.R. Maxwell- Hyslop "مصادر آشورية للحديد" في مجلة Iraq العدد ٣٦/ ١٩٧٤ ولا سـيما ص ١٤٢.

٢٣- ينقل M.Mellink من N.Ozgue " المجلة الامريكية للاثاث" العدد ٨١/ ١٩٧٧، ص ٢٩٥b .

٢٤- انظر "L'usage de L'argent a Mari" J.R. Kupper (اسـتعمال الفضة في ماري) inzikir sumim ، دراسـات آشـورية مقـدمة الى F.R.Krans, Leiden ، ١٩٨٢ ص ١٦٣ وما بعدها.

٢٥- عن اوعية الشرب بوصفها عملة نقدية في النصوص الكبدوكية الآشـورية القديمة انظر CAD (قاموس شيكاغو الآشوري) تحت kasu .

٢٦- انظر : J. Bottero, ARM vll p332– 3 .

٢٧- العملة بالفؤوس تعرف من نوزي: Nuzi بعد قرون قـلائل، انظر CAD تحت hassinnu .

٢٨- J. Briard, The Bronze Age in Barbarian Europe (العصر البرونزي في اوربا البربرية) ترجمة M. Turton صص ٢٠٦- ٢٠٧.

٢٩- ١٩٧٢-١٩٧٣ J.Reade, Tell Taya تقرير موجز ص ١٦٥.

واللوحة lxvlla ، عن العلاقة المحتملة لكالسبـوم Kaspum الفضة بـالفعل كاسابوم Kasapum ((يقـتطع)) انظر W. Eilers في Weit des Orients عدد (٢) سنة ١٩٧٢ صص ٣٢٢- ٣٣٧.

٣٠- F. Chapoutier, Le Tresor de Tod, Cairo. 1953 نوقش تاريخه الدقيق.

٣١ نسب لاندرز بيركَر هذهِ الشريعة الى دادوشا في مقالته "Jungtrauiicheit" .

٣٢- انظر ملاحظات A.K. Grayson كتابـات ملكية آشـورية مجلد (١)، فيزبادن ١٩٧٢ صص ٢٠- ٢١ ملاحظة ٦٤.

٣٣- بموجب دراسة M. Anbar كل اسم للسنة له قسم عسكري تعبدي ولكن في الغالب يستعمل نصف واحد من الاسم.

٣٤- ARM. Vii 9– 10 .

٣٥- جرت الآن مثل هذهِ الدراسة على اسماء العبيد في هذهِ الحقبة من سبار R. Harris ((ملاحظات عن اسماء العبيد في سبار البابلية القديمة)). Journal of Cuneiform studies ، 1977/29 .

٣٦- كان يستعمل غلاف طيني لحماية الرسالة في اغلب الاحيان لأن الرسـالة يمكن ان تغير بسهولة او تتلف لأنها من طين مجفف ولم تكن في العادة تختم بختم.

٣٧- انظر الفصل الرابع ص ٨٦.

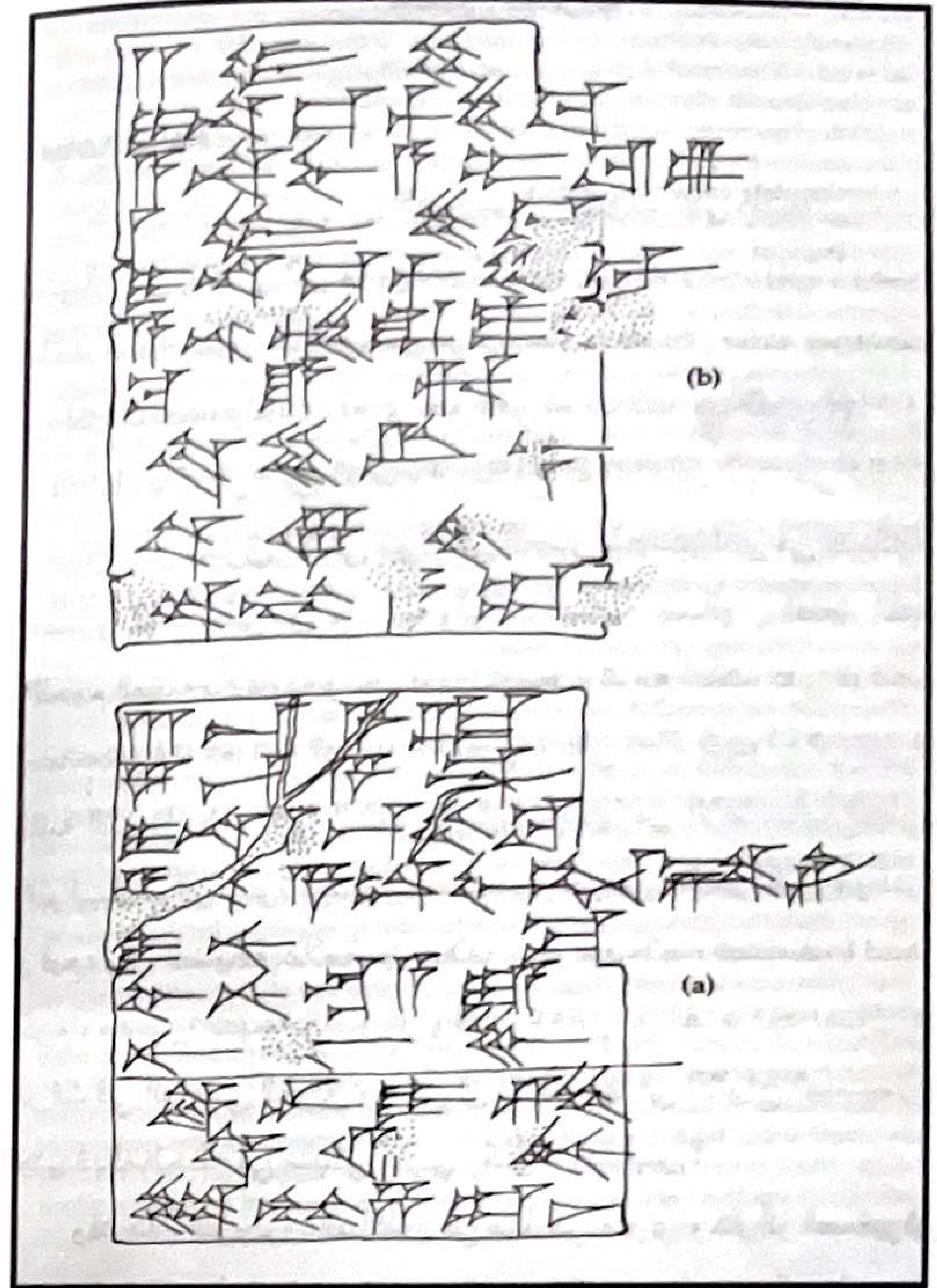
٣٨- G. Dossin "un rituel du culte d' Istar provenant de Maria" Revue d' Assyriologie 35/ 1938, p 1 ff دوسان ((شعيرة عبادة عشتار منشؤها في ماري)) نشرة الآشـوريات ٣٥/ ١٩٣٥، ص ص (١) وما بعدها.

الفصل الرابع
الطعام والشراب

مباهج المائدة:

حين خرج انكيدو من الصحراء ليتعرف على كلكامش وحياة المدينة، كان يفتقر الى جميع نعم الانسان وامتيازاته. ((ولما وضعوا الطعام أمامه ضيّق عينيه وحدق مركزاً نظره. فلم يكن انكيدو يعرف شيئاً عن اكل الطعام، ولم تكن له اي خبرة في شرب الشراب القوي))[١]. وقد ادرك اهل بلاد الرافدين القدماء ان مباهج المائدة دليل أكيد على الثقافة الرفيعة. وان الشرق الادنى سواء في العصر الحديث او في حكايات العصور الوسطى من الف ليلة وليلة، مشهور بالوان الطعام اللذيذة واللحوم المتبلة بالافاويه والحلويات المعطرة. مع التأكيد على انواع من المستحضرات الغذائية الصغيرة المغرية وعلى بعث البهجة والرضى في حاسة الشم بإعطاء نكهة للطعام بتركيبات ذكية من الاعشاب العطرية والتوابل. وان دعوة الضيوف مناسبة لعرض مظاهر الثروة والذوق الرفيع، وان الضيافة علامة من علامات الواجب تجاه الضيسف وابداء الكرم ومصدراً للبهجة والسرور والقوة فالى اي احد نجد اصول هذا التراث في الماضي العريق ويمكن ان نكتشفها في الالواح المسمارية الجديدة بالملاحظة في مدينتي ماري وكارانا البابليتين؟

وقد كان القرويون الساكنين في مملكتي ماري وكارانا الصغيرتين ينتجون معظم الطعام الاساسي الذي ياكلونه هناك نتيجة عملهم على الارض. وليس بوسعنا حتى الآن معرفة ما كان القصر والمعبد يملكان من تلك الارض، على الرغم من ان النصوص تخبرنا بأن القصر كان



صورة (٣١): أ- امر بانتاج خبز الى ايلتاني تلضييف السيدة بيلايا
ب- امر بانتاج خبز شعير للسيدة عزّو، وصائد سمك

يملك بعض المعدات ويوزعها. ولا ريب ان كثيراً من الطعام كان يجد طريقه الى بهو المآدب وكان يسجل كتابةً في الطريق اليه. وكان ولع يسمح- عدّو بحياة الترف امراً ثابتاً معترفاً به، ولا عجب ان تجد قائمة طعام غذائه اكبر بكثير من قائمة خلفه الاكثر تقشفاً، زمري- ليم ((٩٠٠ لتر من خبز - كوم، ٦٠ لتراً من الخبز المصنوع من طحين سميذ اتوم، ٢,٠٢٠ لتراً من خبز امصوم ((الحامض)) المصنوع من حبوب البوروم، ٩٥٠ لتراً من الكعك، ٢,١٨٥ لتراً من خبز امصوم ((الحامض)) المصنوع من الشعير، ٩٤٠ لتراً من ميد- ألابانوم (شراب مخمر من عسل ومنقوع الشعير وخميرة)، ١٠٠ لتر من الحمص، ١١ لتراً من طحين- اسكوكوم، ٦ لترات من سميذ- ساسكوم، ٣ لترات من طحين ساميداتوم، ٧٠ لتراً من زيت (بذر الكتان)، ٣ لترات من العسل (او دبس التمر)، ٤ لترات من بذر الكتان (٢)، ٥ لترات من التمر- وجبة طعام الملك ورجاله في ماري في اليوم الرابع من شهر كيسكيسوم)).

ولسوء الحظ لا نعرف عدد الرجال الجالسين الى المأدبة، ولكن تقارن بقائمة زمري- ليم التي هي اقل كمية الى حد كبير.

((١٢٧ لتراً من خبز- كوم، ١٠٢ مئة ولترين من خبز انصوم ((الحامض))، ١٢٠ لتراً من الكعك، ١٠ لترات ميد- ألابانوم، ٢٤,٥ لتر من حبوب سيبكوم، ١٤ لتراً من بذر الكتان، ٥ لترات تمر، لتران من طحين بوطوطوم، من بقوليات اباتوم)).

بطبيعة الحال، قوائم الطعام هذهِ لا تعطي القصة كاملة. انها سجلات من جزء واحد فقط من تجهيزات مطبخ القصر، وثمة نصوص اخرى تملأ الصورة بحيث يظهر الغذاء اقل مواد نشوية.

مصادر البروتين:

كان اللحم من دون ريب يأكله الناس ويقدم قرباناً للآلهة. وكان ثمة مهنة جديرة بالذكر الا وهي مُسمّن الحيوانات، عرف في كلا البلاطين، رجل يطعم الحيوانات الشعير. وقد عيّن بلاط ماري اثنين، اسم احدهما شمش- تابه واسم الآخر اسيروم. كانا يسمنان الثيران والاغنام والخنازير والغزلان والطيور. ووجدت احدى الرسائل من ماري تخص ثوراً من اجود الانواع مسمّناً بالشعير، مرسلاً في زورق من اجل قربان ديني، ولكن الثور يمرض في الطريق وكان على احد اعضاء المطبخ ان يسافر معه لكي يستطيع ذبحه ويرسل لحمه الى القصر بدلاً من ذلك اذا اقتضت الضرورة.

وتبين قائمة توزيع من ماري ان قطعاً من لحم الغنم قد اعطيت الى مبعوثين اجانب كانوا يمكثون في القصر، والى موسيقيين وعمال وكاهن ومُرافق من مرافقي القصر. وكان البلاط في جاكَار بازارا مركزاً لتوزيع الطعام، وكان بعضه لحماً من قسم تسمين الحيوانات. ويذكر احد النصوص قفصاً فيه لحم مشحون من هناك الى مدينة اخرى.

وكانت الارانب البرية تصاد من اجل الطعام، وفي احدى المناسبات اصطاد ستة رجال بعض الارانب وجلبوها الى القصر في ماري فكانت مكافاتهم ثلاثة شقيلات من الفضة مقابل اتعابهم. وكانت الغزلان تؤكل ايضاً او ربما كانت تصطاد لتوضع في الحدائق الملكية المخصصة للحيوانات وتطعم لكي تبقى على قيد الحياة بصحة جيدة، ولا تسمن من اجل الاكل. ولا ريب ان الغزلان كانت تؤكل في قصر الملك سليمان على وفق ما جاء في العهد القديم.

ولا تتوافر الا معلومات قليلةجداً عن الطيور المدجنة في هذه الحقبة وقد كان الديك بعرفه المميز معروفاً بكل تأكيد في بلاد آشور بعد اربعة قرون من رسمه على العاج، ولا ريب ان البط والاوز كانا من الطيور المدجنة في الالف الاول ق.م. او بمدة اقدم من ذلك بشيء من التأكيد. ولكن نصوص ماري الى هذا الحد لا تذكر الا صائدي الطيور المحترفين الذين يصيدون طيور التوتول السمينة لاجل حاكم ساكَاراتوم ويرسلها الى ماري من اجل زمري- ليم. وحين كان بيض النعام يكتشفه على مسافة من ساكَاراتوم رجال الشرطة الذين يقتفون آثار الاوغاد المجرمين فإنهم كانوا يجمعون ذلك البيض ويأخذونه الى الحاكم الذي يرسله الى زمري- ليم، ولعله كان يستعمل قشره الممتاز ليكون اوآني، اكثر من حاجته الى محتواه ليكون غذاء.

ثم ان اسراب الجراد، كما هو الآن، كانت فرصة للحصول على البروتين، فقد كتب كيبري- داكَان حاكم تيرقا تحت زمري- ليم الى ملكه:

في الوقت الذي كنت اريد الكتابة الى مولاي، هبط الجراد على تيرقا. ولما كان الجو حاراً جداً فإن الجراد لم يستقر طويلاً، ولكنني ارسل الآن الى مولاي من الجراد بقدر ما استطعنا الامساك به.

وكان السمك مصدراً آخر للبروتين. فقد وصف المستكشف والمنقب من القرن التاسع عشر سير هنري لايارد وصف بحيرة الخاتونية ذات المياه العذبة التي تقع على بعد ١٢٠ كم من كارانا كما يطير الغراب، في الشمال الغربي من جبل سنجار. ((تتبعنا بقايا الزراعة وجداول الماء الجافة التي كانت تروي حقول الرز والبطيخ. وربما كان محيط البحيرة نحو ستة اميال. ومن مياهها الوفيرة وموقعها المركزي،

المتوسط بين نهري سنجار والخابور لا بـد ان الخاتونية كانت ذات يوم مكاناً له بعض الاهمية... وهي تزخر بالسمك الذي يقال ان بعضه كان ذا حجم كبير جداً. ولما اقتربنا رأى البير قدار شيئاً يكافح (يلبـط) في مكان ضحل وركب اليه وصاد نوعاً من سمك البـني يزن اكثر من عشـرين بـاوناً. وكانت طيور الماء السابحـة والخواضة ترى حشـودها على شواطئها. وكانت الكراكي (الغرانيق) الفخمة ومالك الحزين (البيوضي) الرشيقة بريشها الابيض كالثلج وعرفها الريشـي تقـف متكاسـلة على اطرافها، وتعوم آلاف البط والحذف على سطحها حول البجع الثقيل[٣].

وفضلاً عن المصادر الطبيعية للسمك الطازج في مثل هذه البحيرة فإن البرك الصناعية والخنادق كانت تزخر بالسمك. وان مدينة قحط في اعلى الخابور كان فيها خندق زاخر بسـمك كريتو. وحـين كانت ماري تحت الاحتلال الآشوري وقعت مدينة قحط تحت سيطرة يسـمح- عدّو الذي كتب له اخوه شمه- داكان يطلب شيئاً من ذلك السمك.

((يوجد بعض سـمك كريتو في خندق قحـط. ارجو ان تأمر من يصطاد شيئاً منه وترسله اليّ)). وتبين قـائمة تجهيز مطبـخ من ماري بإيجاز: ((١٥ سمكة. ارزبوم، ٨٠ سمكة اباتوم، ٣٠ سمكة بـورا دوم كارب، ٩ سـمكات كوبُوم من نوع الجري)). وثمة قـائمة جزئية من التجهيزات لوجبة عشاء تذكر ٦٠ سمكة و ٢٣ طائراً من احد الرجال، و ٣٣ سمكة وعدد غير معلوم من الطيور من رجل آخر.

وتبـين بـعض الالواح من كارانا ان كلا نوعي السـمك المجفف والمطبوخ كان معروفاً ((تكلم الى ايلتاني: هكذا يقول امور شا- شمش. عسى ادد وكشتين انا يمنحك طول الحياة! بيوض سمك في الماء المالح في ((قطرة)) قد تحولت الى لون اصفر طوال وقت مديد. والآن، لماذا لا تجفف بيوض السمك؟)).

وقد ارسلت الى الملكة ايلتاني حاوية خاصة من الروبيان من اختها امة- شمش التي كانت كاهنة من سبار. وأرادت امة- شمش ان يرسـل اليها بعض العبيد، وقدمت الهدايا لاقناعها:

((ان العبيد الذين اعطاهم لي والدي قد شاخوا. وقد ارسلت الآن نصف منا فضة الى الملك، فاسمحي لي ان اطالبك ان تجعليه يرسـل لي عبيداً ممن اسروا حديثاً ومن ذوي الثقة. وفي تذكري لك ارسـلت اليك خمسة منات من صوف الدرجةالاولى وحاوية للروبيان)).

سبار بعيدة عن البحر لذا فإن الروبيان لا بد انه حفظ بطريقة من الطرق لكي يمكن قطع الرحلة المضاعفة: نحـو ٣٠٠ كم من البحـر الى سبار، ثم ٣٠٠ كم الى كارانا. وثمة قائمة بـمواد غذائية من كارانا تشمل صندوقاً من الروبيان[٤]. ولكن لا ريب ان معظم السمك كان قد اصطيد محلياً.

وكان بلاط ايلتاني يحتفظ بصياد سمك اسمه زيراشه في جدول الرواتب ولعله اسـتطاع انجاز بـرك صناعية وطبـيعية متنوعة زاخرة بالاسماك في عموم المملكة. وقد وجدت سنارات صغيرة مصنوعة من البرونز لصيد السمك تشبه السنارات الحديثة في اثناء التنقيبات في بلاط ماري.

التوابل:

التوابل طريقة تراثية لحفظ اللحم والسمك واعطائها نكهة في الشـرق الادنى الحديث. وقد جلب بعضها من افريقيا وامريكا والشرق الاقصى في ازمنة حـديثة نسبـياً، ولكن كثيراً منه كان معروفاً ومسـتعملاً في ايام حمورابـي. فالكمون والكزبـرة غالبـاً ما يردان معاً، وكان كلا الكمون الاسود والابيض مستعملاً. وكانت بـذور الحلبـة معروفة معرفة جيدة.

وحين تذكر كميات في سجلات ماري فإنها كبيرة جداً: ٢٤٠ لتراً من الكزبرة، ٢٠ لتراً من الكمون، ٢٠ لتراً من الزعفران من النوع الاصفر الغامق الخريفي و ٥ لترات من أمّي الشبيه بالنعناع. وكانت النكهة العامة الشائعة تصنع من ساميدوم الذي ما يزال غير مشخص. وقد اكتشف القرنفل في تأريخ يرقى الى هذه الحقبة في التنقيبات الحديثة في ((تيرقا)). ولا بد انه جاء من اندونيسيا، وهي رحلة لافتة للنظر. واسمه الاكدي غير معروف.

وكانت تستعمل انواع مختلفة من البصل والثوم بكميات كبيرة في الطعام، وكانت الكميات المستعملة من البصل بمقدار ٧٠ لتراً او حتى ١٢٠ لتراً في المطبخ، ولكن حين كان يجنى فإنه كان يوضع على سطح البلاط ليجف في الشمس بكمية تبلغ ١٢٠٠ لتر. وما ان يجف حتى يخزن في جرار شو حروم بسعة ٣٠ لتراً. وكانت الملكة شيبتو تتولى رعاية هذه العملية وهي المسؤولة امام زوجها زمري- ليم الذي أمرها بختم غرفة السطح بختمها الخاص وذلك من غير شك لمنع اختلاس خدم البلاط كميات صغيرة منه. وكان شوحاتينوم نوعاً آخر من البصل، الكاسوم، وربما هو الخردل، كان شائعاً ويأتي الى المطبخ بكمية تبلغ ١٢٠ لتراً.

الحبوب والبقوليات:

البازلاء والحمص من بقوليات ابانوم يتكرر ذكرها في سجلات المطبخ بكميات صغيرة اعتيادياً: ٤ أو ٥ لترات من الحمص امر اعتيادي، والبازلاء ترد عادة في تخصيصات بلترين اثنين. ولعلها كانت في ذلك الوقت تجفف وتخزن بكميات اوسع، ولهذا لا يمكن مقارنتها بالاعشاب والتوابل التي يمكن ان تتمثل فقط بكميات من محصول الحصاد. وكانت انواع مختلفة من إعداد الطعام تصنع من البقوليات والحبوب ايضاً: فكان

الحمص يجرش ويصنع منه نوع من الخبز يدعى ناكابوم، ولعل هذه الاطعمة كانت تشكل الغذاء الاساسي لمن هم افقر حالاً. وثمة رقيم من كارانا يسجل اصدار البلاط ١٠ لترات من الحمص من اجل الخادمات. وكان البلاط يدفع رواتب عماله في شكل حصص من الشعير، وكان الكَيانوم طعاماً معداً من الشعير المحمص وكان يتناوله اهل كارانا، وكان برغل (او جريش) الموندوم وجريش الارسانوم ايضاً يتناوله الناس خارج البلاط اكثر من داخله. وكانت الحبوب الرئيسة في ذلك الوقت هي الشعير والحنطة النشوية. ومن هذين الحاصلين الشعير اكثر تكراراً في النصوص والكلمة الاعتيادية للحنطة النشوية لا ترد في الواح كارانا ابداً. وكان نوع غير مشخص من الحبوب يعرف بإسم بورّوم شائعاً ايضاً، ويظن انه نوع من الحنطة. ويرد احياناً مع نوع آخر من الحبوب غير المشخص اسمه زيزوم كنيتوم.

وثمة درجات كثيرة من الطحين ولكن الاسم المضبوط للكلمات الاكدية والمختلفة هو الذي يحيرنا.

وتبين الرسائل ان التجهيز والتوزيع لم يكونا يسيران سيراً يسيراً دائماً، وقد كانت اطراف المملكة تعاني هذا الامر. وقد كتب يسيم سومو الى زمري- ليم يخبره عن شحنة ضخمة من الشعير بالسفن من ايمار الى ماري لا تقل عن ٣٦٠,٠٠٠ لتر. وقد احتاج نقل هذه الكمية الى عشر سفن وستين رجلاً. وتبين رسالة اخرى كيف ان بعض الطحين المطحون لاجل اطعام جنود مساعدين في ساكَاراتوم، قد اتلفه النمل، لذلك كتب يقيم عدّو حاكم ساكَاراتوم الى زمري- ليم يسأله هل يمكن ان يوفر يسيم سومو بعض الطحين تعويضاً عن ذلك.

وفي مناسبة مختلفة كانت الامور قد انقلبت فأرسل يقيم عدّو طحيناً من ساكَاراتوم الىزمري- ليم في ماري.

ويوجد في الاقل اربعة انواع من الخبز مذكورة في النصوص. وربما كانت ارغفة الخبز في اشكال مختلفة، وتعرف احـدى الكلمات كاكَاروم بانها تدل على رغيف مستدير، وآخرى، ميرسـوم، تدل على نوع من الكعك الذي يحوي سمناً وتمراً وتوابـل. وان انواعاً مختلفة من العصيدة والثريد والسميذ كانت تؤكل بانتظام على المائدة الملكية ولا يزدرى بـأنه طعام متواضع جداً لا يليق بالملك.

إعداد الطعام:

ثمة معلومات اقل بشأن طريقـة إعداد الاطعمة، ومزجها وطبـخها. فيعطينا أحـد النصوص من ماري ١٢٠ لتراً من التمر و ١٠ لترات من الفسـتق لصنع كعك ميرسـوم. ومن الواضح ان الفواكه الطازجة كانت تصنع منها حلويات، فقد تلقى قصر ايلتاني ارسالية من خمسة اوعية لمزج الفواكه. وتلقـى المطبـخ في ماري ١٠٠ لتر من التفاح و ١٠ لترات من الزعرور (المشملة) ((لعمل هيئة المطبخ))، ويسجل نص آخر ارسـالية ٢٢٠ لتراً من التين، ولعل مثل هذهِ الكمية الكبـيرة كانت تجفف وتخزن. ويصدق الشيء نفسـه على ٢٢٠ لتراً من الكمثرى التي وصلت ((لعمل هيئة المطبخ)).

وكان الشتاء فصلاً تقل فيه انواع الطعام، ولا سيما في وقت لم يكن حفظ الاطعمة في قـنانٍ او علب، وربـما كان التخليل، غير معروف، لذا كان التجفيف والتمليح طريقتين في حفظ الاطعمة. لذا فإن بواكير الفواكه كانت مناسبة للمتعة الخاصة وتبادل الهدايا:

((ارسل لك الفستق اول بواكير فواكه هذهِ السنة)) هكذا كتبت ياتارايا الى ايلتاني. وارسل اشمه- داكَان الى اخيه يسمح- عدّو كمثرى وفستقـاً من بواكير الفواكه، نيسان شاتيم.

وكان الكمأ من الاطعمة الشهية الموسمية، فقد ارسـل يقـيم عدّو الى زمري- ليم سلة من الكمأ الذي جلبـه احـد العمال من منطقـة مجاورة، وروى في مناسبة اخرى ان رجاله ملأوا ست سلال بالكمأ الممتاز. فلعل زمري- ليم كان مولعاً بـه: وقـد تلقـاه ايضاً من كبـري داكَان في طيرقا. وكان التمر طعاماً شائعاً على الرغم من انه قد يسـتورد دائماً من اقصى الجنوب بما ان النخل لا ينتج تمراً جيداً في منطقتي كارانا وماري. والتمر هو المادة الاساسية لصنع الدبس، ولكن تبرز هنا امامنا مشـكلة، فكلمة ((دبشوم)) بالاكدية تعني دبس التمر وعسل النحـل. واذا اردنا ان نثق بكتابة منقوشة لحاكم من الالف الاول في هذهِ المنطقة فإن تربية النحل النظامية المتقدمة ربما لم تكن قد دخلت بلاد الرافدين حـتى ذلك الحـين. وهذا لا يستثنى جني العسل البري، او استعمال شمع النحـل ((البـري)) لصب التماثيل، وصب المعادن، ولا تشجيع النحل البري على بـناء خلايا في قطع من الانابيب الموضوعة في اماكن ستراتيجية وربما كان دبـس التمر هو المادة الرئيسة للتحلية في الطبخ، في حين ان التحلية بعسل النحل امر نادر. ولا يبدو ان العسل المتعهد بالعناية كان يستورد كمادة مترفة الى بلاد الرافدين، لأن ابلاهاندا ملك كركميش (وهي منطقة لا ينتج النخل فيها تمراً جيداً)، ارسل الى ماري ٥٠ قارورة خمر مع ٥٠ جرة دبـشَم، وقـد ارسل يريم ليم من حلب دبشُم الى ماري مع خمر وزيت الزيتون، وتلقـت ايلتاني في كارانا دبشُم مع بضائع غربية مسـتوردة، وهي مسـتخلصات راتينجية من الصنوبر وزيت العرعر. ويحـتمل ان الخمر كان ينتج من الكروم المحلية في مملكتي كركميش وحلب. وربما كان العسل يجلب من اماكن ابعد الى الغرب، لأن النحـل، مرة اخرى، غير موجود في بـلاد الرافدين اوفي ايقـونات شـمالي سـوريا في هذهِ الحقبـة والموتيفات (الجزئيات) لملء الفراغات في الاختام التي تشـمل الجراد وطيور الماء

والارانب البرية والافاعي والعقارب. ولم تستعمل الخرز او الحلي النحل على الرغم من الصعوبة عامة تمييز الذبابة القديمة غير الملونة عن النحلة[٥]! وليست هذه الحجة بعيدة عن الطعن في صحتها. ولكن يبدو انه لا توجد كلمة اكدية لمربي النحل، ولا بستانيون يجلبون الدبشم من بساتين البلاط في كثير من النصوص التي نشرت حديثاً.

وقد وجدت الزيوت والشحوم الحيوانية طريقها الى قسم مهم من بلاط ماري. فقد كان رجلان، هما بالومنوحة وايلي - اشرايا مسؤولين رئيسين عن تلقي وخزن وتوزيع التجهيزات الواسعة. وفي كارانا كانت ايلتاني نفسها كما يتضح مسؤولة عن تجهيزات الزيوت. وكان الزيت الاساسي هو شمشاموم، ويعني حرفياً ((زيت النباتات))، حيث توجد مشكلات لتشخيصه. والكلمة تذكّر المرء بالسمسم، وقد قبلت هذه الكلمة من غير تردد بأنها سمسم حتى أخفق محللو البذور الاثاريون لاخراج عينة واحدة او اثر لبذر السمسم في اي من المواقع الرئيسة المتعددة في حقب بلاد الرافدين المختلفة. غير ان بقايا بذر الكتان اثبتت كثرتها ولم تكن ثمة كلمة شائعة لبذر الكتان في الاكدية. لذا فأن كثيراً من الباحثين الآن يعدون شمشاموم هي بذور الكتان حتى عُرف السمسم في تأريخ متأخر جداً وان نبتة الزيت الجديدة سادت على الاسم القديم[٦]. للكتان عندنا ارتباط وثيق بالاصباغ ومضارب الكركيت، وهو بطبيعة الحال صالح للاكل تماماً[٧].

وقد ادت عمليات مختلفة في بلاد الرافدين القديمة الى ظهور انواع خاصة تنتج في مواقع معينة امثال: زيت ماري وزيت اكد وزيت تونب والزيت المُحلّى والزيت المعطر، لا ريب انها جميعاً تطويرات لسلعة بسيطة. وفضلاً عن زيت الكتان كان يوجد زيت العرعر وزيت الأرز، باستعمال عنصر اساسي غير معروف، وربما ايضاً زيت بذر الكتان المعطر. ولم يكن الزيت يستعمل في المطبخ فقط بل للضمادات،

وللمصابيح ولتنظيف التماثيل، والتزييت الميكانيكي (الآلي) ولشعائر دفن الموتى، ومسح الناس (على سبيل التكريس). وهذه بعض المقتطفات من الواح توضح هذه الوظائف:

((لتر واحد من زيت درجة اولى للمصباح الذي ينصب امام الإلاهة)).

((١١ لتر و ٤٠ غم من زيت درجة اولى لمسح الرسل القادمين من اشمه- داكان الى يسمح عدّو)).

((١٠ لترات من الزيت لمسح عاملات النسيج المريضات)).

((لتر واحد و ١٢٠ غم من زيت ماري درجة اولى لضمادات اناكو- ايلوما)).

((٤٠ غم من زيت الارز و ٤٢٠ غم من زيت درجة اولى لكبش دك الاسوار)).

((لتر واحد من زيت العرعر لمسح الملك)).

((لتر واحد من زيت درجة اولىللطبيب ايدين- ايلي)).

((لتر واحد من زيت الطبخ ولتر واحد من زيت الارز لقبر السيدة اهاتاني)).

((٨٠ غم من زيت درجة اولى لمسح اللاجئ القادم من تيرزا)).

((لتر واحد من زيت السرو، ولتر واحد من زيت الطبخ، ولتر واحد من زيت الارز للاله نركال بمناسبة عربة نركال (في المهرجان))).

((لتر واحد من زيت الكتان لغسل (تمثال الإلاهة ننحز ساك، ١/ ٢ لتر من زيت الكتان لغسل (تمثال الالاهة) دريتوم)).

وكان الزيتون يستورد من شمالي سورية، جاهزاً في جرار من يريم- ليم ملك حلب، مع جرار خمر وعسل. وكان يستعمل بالتحديد لمسح عاملات النسيج، ولكن لا يوجد حتى الآن دليل مباشر من الالواح ان

الزيتون ثمره كان يستورد للاكل، او حتى ان زيته كان يستعمل في المطبخ [٨]. اما بخصوص الكمية فإن سجلاً يبين ان ١٢٠ لتراً من زيت الزيتون كانت تخزن في مخازن ماري.

وقد كانت الشحوم الحيوانية تستعمل على الرغم من اننا نمتلك معلومات اقل من الاستعمالات المخصصة لها. وان الزبد او الدهن الحيواني هميتوم يوجد احياناً على قائمة الطعام. ولم تشخص الاجبان حتى الآن. ولم يكن الحليب قط في قوائم المطبخ، غير اننا نعرف انه كان يستعمل، لأن رسالة واحدة تتكلم على ارسال الحليب الى الملك. وهذا يدعو الى الاحتراس من افتراض ان قوائم الاغذية تحوي كل مادة من مواد الطعام.

وكان شحم الغنم يوجد بكميات ضئيلة، ولكن شحم الخنزير يرد بكميات كبيرة جداً في قوائم البقالة من كارانا، بكمية اجمالية تبلغ نحو ١٠٠ لتر. وثمة متسع للخطأ في مقارنة الكميات من نصوص ماري وكارانا بسبب اختلاف انظمة المقاييس المستعملة في كلتا المدينتين. وقد كانت ماري تعتمد اعتماداً واسعاً على النظام البابلي في مقاييس السعة، (أي الكيل) المعروف جيداً في هذا الحقبة، بالاستناد الى السلال والكؤوس الكبيرة، في حين كان النظام الآشوري يستعمل في كارانا بالاستناد الى مكيال الهومر او حمل حمار، يقسم الى اجزاء اصغر بجرار ذوات حجم غير مؤكد [٩]. ولم يكن التنوع بين مختلف المدن ومختلف الحقب فقط بل حتى مجموعات المقاييس للاوزان يمكن ان تتنوع داخل المدينة الواحدة حتى ان الاوزان تذكر عادة بصحبة الموقع الخاص.

((٢/٣ ٦ لتر من افضل البيرة (الجعة) بموجب مقياس ١٠ لترات بمقياس خدم المنزل) هو سجل من منطقة الاكتشاف نفسها مثل لوح آخر يقول: ((لتر واحد من افضل الزيت بموجب مقياس لتر واحد بمقياس شمش)).

لذا فإن المقاييس المكافئة الحديثة المستعملة في الترجمة (الانكليزية) في هذا الكتاب ليست دقيقة ولكنها مفيدة في انها ادلة مرشدة.

وان بعض النصوص المتعلقة بمهر الزواج في هذه الحقبة القادمة اصلاً من بلاد بابل تمتلك تفاصيل تبين كيف كان الطعام يقدم ويؤكل في بيوت اثرياء متوسطي الحال [١٠]. فقد كان الطبق الخشبي يستعمل لنقل الطعام من المطبخ، واوعية صغيرة تستعمل ملاعق تعطى للافراد ليأكلوا بها. ولعل رجلاً غنياً كان لديه طبق (صينية) مرصع بالاصداف والاحجار، ويفترض ان تكون الصينية لدى الملك من المعدن الثمين. وان افضل انواع اوعية الطعام كانت تصنع من خشب السسو (كالابنوس)، الداكن الصقيل، موطنه في افغانستان وباكستان. وكانت الملاعق تصنع من الخشب ايضاً على الرغم من ان الملك قد يمتلك ملاعق من العاج.

وقد وجد في قصر ماري نفسه انواع مذهلة من قوالب الطين النضيج. وفيها انماط زخرفية بارزة وقد افترض عموماً بأنها لا بد ان تكون قوالب طهي، اما لطبخة في هذه الاشكال من الاواني، او لطبخ زخارف ونقوش على طعام لين. وهذا النوع الاخير تقليدي في الطبخ العراقي الحديث، حيث تستعمل انماط من القوالب الخشبية. وان هذه المكتشفات في القصر تدل اكثر من غيرها على ذوق رفيع في التفنن والترف الذي يرفع حياة بلاد الرافدين عالياً فوق مستوى الكفاءة المادية البسيطة.

وكانت مدبرة شؤون المنزل المسؤولة عن جميع المواد الغذائية في القصر سيدة مهيبة اسمها آما- دوكَا. وقد جعلت من نفسها شخصاً لا غنى عنه في الادارة المنتظمة لمطابخ يسمح عدّو حتى انها حين طرد هو واتباعه الآشوريون سمح لها ان تبقى في مركزها لدى زمري- ليم. وقد وجد ان ختمها يجيز دخول الزيت وصرفه وكان يقوم بهذه الاجراءات تابعتاها بالو مينوهه وايلي- اشرايا. وكان ختمها يجيز ايضاً المعاملات



صورة (٣٢): قوالب من طين نضيج في قصر زمري- ليم في ماري

الخاصة بالحبوب من شـخص اسـمه ايلو- كانوم [١١]. ولا ريب في هذه السجلات انها كانت امرأة ذات رتبـة عليا، ومسـؤولة عن موظفين من الرجال. وعلى الرغم من انها واصلت عملها في ظل زمري- ليم، فـإن ولاءها السابق لشمشـي- ادد، الملك الآشـوري، لم ينس، لانها واصلت استعمال الختم الاسطواني الذي تصرح الكتابـة المنقوشـة فيه بـأنها ((خادمة شمشي- ادد))، وانها اخفقت ان تحصل على ختم جديد يصنع لها يعترف بزمري- ليم سيداً جيداً لها.

تقاليد الشراب:

الجعة:

توجد ادلة كثيرة جيدة في ماري وكارانا عن عادات وتقاليد الشـراب. فقد كانت الجعة الشراب الرئيس لانها تنتج محلياً من الحبوب. ففي ماري يوجد شراب حلو اساسه الجعة يدعى ((ألابانوم)) يصنع من الشعير وربما كان ينكّه بالرمان. وكان مدرجاً في قائمة الوجبات الملكية بكميات كبيرة، في احدى المناسبات بأكثر من ١٠٠٠ لتر. وشراب آخر هو ((الهمروم)) يصنع من الشعير المخمّر ولعله كان ينكه باليانسـون او نبـتة ذات نكهة مشابهة. واليانسون في الوقت الحاضر الذي ينكه به مشروب روحي ينتج محلياً يدعى ((العرق))، يزرع بكميات كبيرة في الفرات الاوسط ويصدر لتصنع منه حلويات وادوية شبيهة بعرق السوس. وفي حـين ان شـراب الابانوم وعرق همروم كانا يوزعان في البلاط فقط، فإن الرسالة تشير الى ان الجعة كانت توزع على الجنود وربما كان ذلك بعد حـملة عسـكرية ناجحة. وفي كارانا كانت الجعة تصنع من الشـعير بـكميات كبـيرة في القصر. وقد وجدت عدة وصولات للحبـوب الى سـامكانوم صانع جعة البلاط. وكان ينتج الجعة على مقياس كبير: ٣,٠٢٠ لتراً من الشعير (اكثر

من ثلاثين حمل حمار) وهي كمية لم تكن غير اعتيادية في سجلاته. ويبدو انه كان يعمل تحت امرة الملكة ايلتاني مباشـرة. وفي كارانا كانت الجعة تجهز الى الرسول القادم من الخارج وربما يكون بصحبته مرافقون، بما انه يتسلم (٢/٣) ٦ لتر من الجعة الاعتيادية و (٢/٣) ٦ لتر من افضل الجعة، وتبين صفيحة من الطين النضيج وجدت في ماري انه في مناسبة من المناسبات وبشراب واحد، كان الناس يشربون بقصب طويل من اناء مشترك يوضع على الارض. وكل من يحاول ان يحتسي الحساء او الشراب في مساء يزخر الهواء والحساء والشراب، بالبق المنتفخ فإنه يفهم هذا التقليد.

الخمر:

رأينا قبل قليل ان يسمح- عدّو كان مولعاً بالخمر وكيف ارسل ملك كركيمش ابلا هاندا اليه خمراً وزيت الزيتون والعسل. وكان الخمر في ماري وكارانا مشروباً مفضلاً، وقد عرفت مهنة مازج الخمر ساميهيوم. وان ياوي- ايلا، تابع ملك تالهايوم ربما كتب الى يسمح- عدّو:

((وعن كروم (اشجار العنب) رجال ناكا بيني- لا يوجد اي رجال (مناسبين) تحت تصرف ماشوم، فهل لمولاي ان يرسل رسالة الى سامو ليعطوه ثلاثة مازجي خمر، لكي لا تتدمر الكروم ولئلا يشكو ماشوم [١٢].

وكان الساقي (حامل كؤوس الخمر) آنذاك رجلاً مهماً، يرسل خادمه الخاص ليتعامل بشأن الحصول على خمر. وكان هو المسؤول عن كؤوس الفضة التي يشرب منها الخمر وربما الجعة ايضاً. ولعله كان يوزع اواني الشرب هدايا لمشاهير الزائرين، وكانت تجهيزات الخمر تاتي اليه من اماكن مختلفة كثيرة، ومن المعروف ان زراعة الكروم كانت واسعة الانتشار في هذه الحقبة. فلم تكن حلب وكركميش وحدهما تجهزان الخمر،

بل كان ينتج ايضاً في مناطق الخابور الاعلى ومدينتي زرباط وشيروون الواقعتين ضمن مملكة كارانا في اثناء حكم عقبة- حمّو. والى اقصى الشرق كان ينتج ويصدر من تلموش الواقعة غير بعيد شمالي نينوى [١٣]. وتعني هذه المساحة الواسعة جداً للانتاج ان الخمر لم يكن مقصوراً على كؤوس العائلة الملكية: بل كان يستهلكه الرسل المبعوثون الاجانب والجنود والمغنيات. ولا ريب ان الخمور المعتقة الرائعة كانت موضع هدايا ملكية: فقد ارسل زمري ليم الى حمورابي البابلي ((١٠ جرار من الخمر من النوع الذي اشربه انا نفسي))، ولكن كثيراً من سجلات الضرائب من ماري تبين تجارة غزيرة منتظمة في نهر الفرات.

وتوصف نوعيات الخمور المختلفة بـ ((الاحمر)) و ((النوعية الجيدة)) و ((الدرجة الثانية)) و ((العتيق)). وكان الخمر يخزن في اماكن في تيرقا وماري، وكان الرجل اسمه ساميتار في إمرة المكانين. وكان يخزن ايضاً في معبد الالهة بيلت- ايكالّيم. ولعل هذه المخزن كان مخصصاً للقرابين الدينية لانه كما سنرى كانت ايلتاني والإلاهة كارانا كلتاهما تشرب الخمر.

وهذه رسالة يصف فيها حاكم تيرقا كيبري- داكان الى زمري ليم كيف ساعد ساقي اتاماروم، ملك انداويك، في اختيار الخمر:

((امرني مولاي بأخذ بعض جرار الخمر من سفن رجال ايمار لاتاماروم (ملك انداريك)، لذا فإني ومانو- بالو- شمش، ساقي اتامروم- الذي كان معي- واخذنا الجرار من هذه السفن، كل ما موجود فيها، وجلبناها (الى المرفأ) واختاروا ٩٠ جرة من الخمر من بين جميع جرار الخمر، واعادوا الباقي. والآن، شحنت تلك الجرار التسعين من الخمر على سفينة اخرى، وعينت نوتياً ليرافقها الى مانو- بالو- شمش (في رحلة العودة) الى اتامروم.

الثلج:

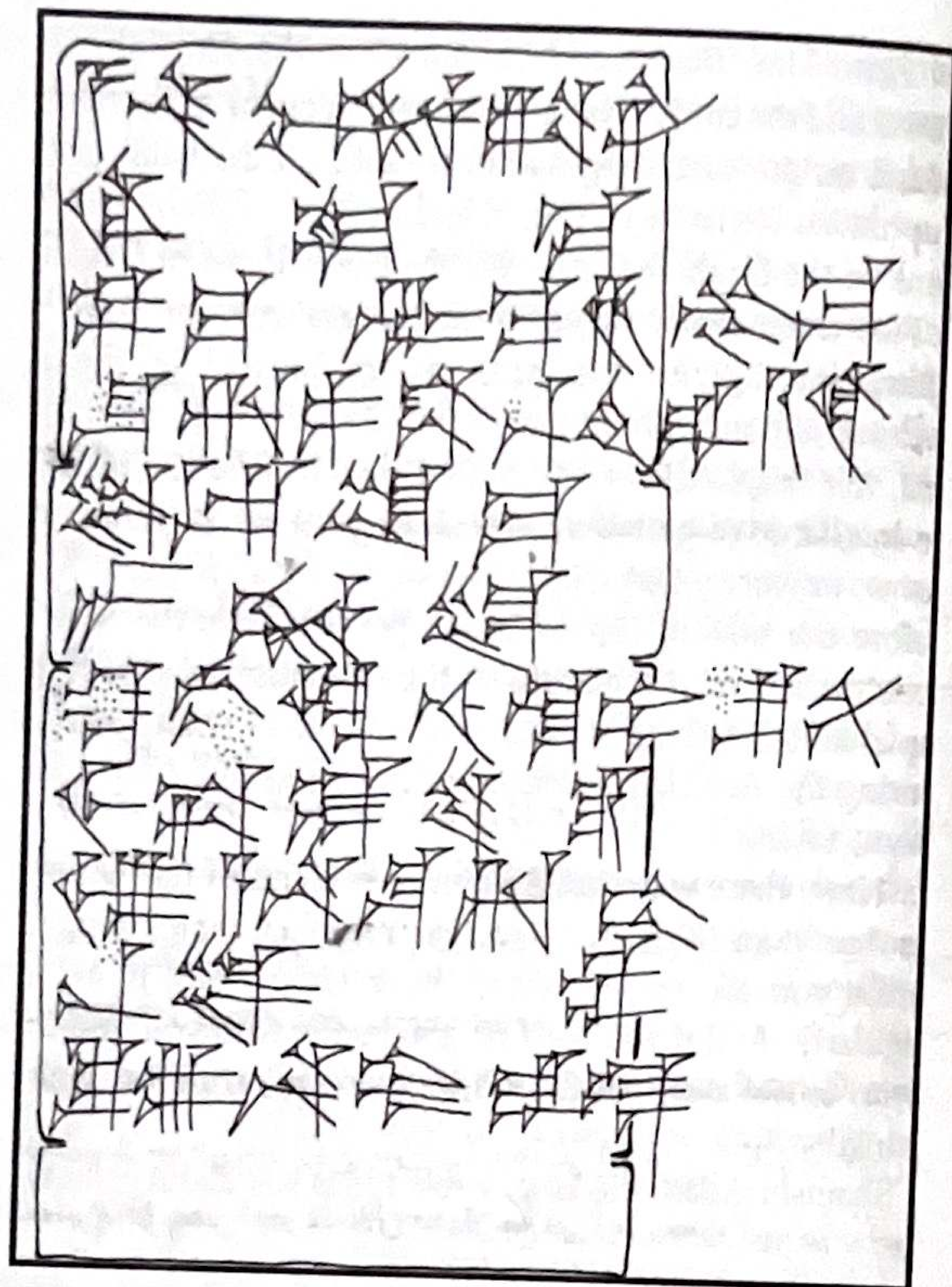
حين يبلغ الصيف ذروته في شمالي بلاد الرافدين، فإن درجة الحرارة غالباً ما ترتفع الى ١٠٠ْ ف (نحو ٣٨ْ م). وفي مثل هذا الطقس يكون الشراب البارد من دواعي البهجة. وللوصول الى ذروة الرفاه فقد بنى حاكم ماري والرماح بيوتاً للثلج، حيث كانوا يخزنون الثلج، شوربوم، الذي كان يجمع في اثناء الشتاء. وقد اكتشفت الكتابة عن تأسيس مثل بيت الثلج هذا في تيرقا، واذا كان علينا ان نصدق ذلك، فإن زمري ليم اسس ممارسة حفظ الثلج في تلك المنطقة.

((زمري ليم، ابن يحدون ليم، ملك ماري وتوتول وبلاد هانا، هو باني بيت ثلج لم يبنه ملك سابق قط، على ضفة الفرات. كان الثلج يجلب له وبنى بيت ثلج على ضفة الفرات في تيرقا، المدينة حبيبة داكان)).

رسالتان من شظايا مرسلتان من حاكم تيرقا الى زمري ليم تصفان مشكلة منع ذوبان الثلج على الرغم من انها لسوء الحظ لم تعطيا نصاً متواصلاً. وفي رسالة ثالثة طلب من زمري ليم ارسال موظف ليكون مسؤولاً عن جمع الثلج وخزنه في تيرقا. ولكننا نعرف ان المشروبات المثلجة لم تكن معروفة في ماري قبل زمن زمري ليم، لذا فإن نمط بناء او وضع بيت الثلج كان جديداً لأن ابلاهاندا، ملك كركميش، كتب الى يسمح-عدّو في اثناء فترة خلو العرش الاشوري التي سبقت حكم زمري ليم، قائلاً:

((الآن يوجد ثلج في زيرانوم، وهو وفير. ضع بعض خدمك لحراسته، ليحرسوه لك، وفي الوقت الذي تكون ماكثاً هناك، اجعلهم يجلبونه لك بانتظام. واذا لم يكن لديك خمر جيد لتشربه، اكتب لي وسوف ارسل لك خمراً جيداً لتشرب)).

وكتب شمشي ادد الملك الى ابنه عن جمع الثلج:



صورة (٣٣): رسالة الى ايلتاني تخبرها باستعمال الثلج في المشروبات

((عن جمع الثلج اهو أمر جيد حين يترتب على الحمالين جلب الثلج مسافة ٢٠ أو ٤٠ ميلاً؟ اصدر اوامرك الى خدم سقاة الخمر او الى موظفي اوشموم، واجعلهم يجمعوا الثلج! دعهم يغسلوه وينظفوه من العيدان والروث والاقذار)).

تبين هذه النصوص بوضوح ان الثلج لم يكن يصنع في بيت الثلج بفيض الماء وتجميده كما يصنع في ايران في العصور الحديثة. وليس مؤكداً فيما اذا بنى يسمح- عدّو ام لم يبنِ بيت ثلج في ماري. ولكن زمري ليم لم يكن مكتفياً ان يبني بيتاً واحداً للثلج في تيرقا فقط بل امر يقيّم عدّو ان يبني بيتاً للثلج في ساكَاراتوم ايضاً وارسل له بنّاءً ليكمل العمل. ولكن يقيّم- عدّو لم يكن لديه اي من العوارض الخشبية الكبيرة الكافية للبناء، فكان عليه ان يرسل جماعة للعمل في احدى الغابات ليبحثوا عن بعض الاخشاب. ولا بد انه كان مخزناً للثلج في "قطاره" ضمن مملكة كارانا لان عقبة- حمّو كتب الى ايلتاني قائلاً:

((دعهم يفضوا الختم عن الثلج في ((قطاره)) الالاهة وانت وبيلاسونو (اخت ايلتاني) تشربون بانتظام، ولكن تأكد ان الثلج محفوظ في امان)).

هذه الرسالة لا تذكر فعلاً ان الثلج كان يستعمل في الخمر ولكن الثلج يرد مع الخمر في نص ماري عن الطعام والشراب من اجل ضيوف زائرين عيلاميين. ولعل عصير الفواكه كان يثلج ايضاً للشرب. لذا فإن هذه الممارسة في نقل الثلج وخزنه الشائعة في شرقي بلاد الرافدين في العصور الوسطى، يعرف الآن انها ترجع الى زمن حمورابي في الاقل في شمالي بلاد الرافدين. انها ممارسة تبين مستوى عالياً واحتراماً لوسائل الترف في الحياة، معززة دليل عمارة القصر الذي نقّب عنه [١٥].

وكان القصران في ماري وكارانا يموران بنشاط هيئة المطبخ، وكان

عمل طحن الحبوب يقوم به الرجال والنساء. اما الخبازة، ابيتوم، في ماري فتعرف امرأة واحدة فقط، اسمها اشوميا- ليبور، من قائمة حصص غذائية ولكن القائمة نفسها تذكر اربعة طباخين، فوهاتيموم، جميعهم رجال. وفي جاكِار بازار يوجد خبازان ابوم من الذكور في قوائم الحصص. وكان في ماري طباخان متخصصان بالمعجنات الحلوة، او صانعات الكعك، كلهن نساء. وثمة مهنة لم ترد في هذه النصوص بصيغة المذكر هي اباراكاتوم التي تترجم عادة بـ ((قهرمان)) (اي مدير تدبير القصر). وتبين النصوص ان الفواكه والتوابل والزيت كانت تدخل في عملهم، ولكن من الواضح انهم لم يكونوا مجرد خدم وضيعين لأن في جاكَار بازاركان ((ابارا كاتوم)) كاتباً ايضاً. ويبدو ان صنع الجعة كان عموماً عملاً رجالياً، على الرغم من وجود ((نساء ألابانوم- اي شراب الميد)). ويرد ذكر الرجال بأنهم ((مازجو خمر)) ساميهوم، ليفهم على نحو اعم بأنه ((قهرمان خمر)) على وفق الرسالة المقتبسة آنفاً.

مأدبة لاشكور- عدّو، ملك كارانا:

سوف نودع الطعام والشراب في ماري وكارانا ونذهب الى مأدبة خيالية، اقيمت في مساء يوم صيف دافئ في ساحة النخيل في القصر الذي في ماري. ملك كارانا، اشكور- عدّو، اخو ايلتاني، قادم لتناول الطعام مع زمري ليم. وقد صدرت الاوامر الى موكانيشوم الذي يقيم الاستعدادات المناسبة: ويخرج من الخزائن عرشاً من الفضة، عالي الظهر، ومائدة فضة متقنة الصنع- ((كانيشاركوم)). صف عليها كؤوس من الذهب والفضة، بعضها في شكل رؤوس حيوانات- ثور وغزال ووعل- موضوعة على مناصب راقية الزخرفة، ومنصب الملك من الفضة المزخرفة، برؤوس اسود وقرون ايائل، ومناصب الرجال من الدرجة



صورة (٣٤): إلاهة تشم زهرة

الادنى من العاج المرصع برقـــــائق الذهب او الفضة. وكان نفح طيب الابواب المصنوعة من الارز يهب نحو الساحة، وكانت نجوم الفضة التي ترصعها تتلألأ في خلفيتها. ويجلب حامل العرش كرسـي الملك ومسـند القدمين المرصع بـعرق اللؤلؤ. وتدخل الجماعة الملكية وتجلس وحـين يتملى الضيوف بإعجاب الثيران المجنحة الواثبة والمخلوقـات الخرافية الاخرى التي تزين الجدران، يدخل الخدم لغسل ارجل الضيوف ومسحها بالزيوت المعطرة. ويجلب القائمون على رعاية المائدة صواني من خشب الصندل والفستق، المثللة بالطعام: قـطع ممتازة من لحم الغنم والطرائد والغزال والبقر من حيوانات مسمنة خصيصاً لمائدة الملك، وحلويات متبلة من البقوليات، وارغفة خبـز من انواع واشـكال كثيرة، وكعك مصنوع بالعسل والجوز والتمر. وثمة وعاء خشبي ضخم مكدس بالفواكه الطرية الكثيرة العصارة- اعناب وكمثرى ورمان وتفاح، واوعية صغيرة مـن البرونز الصقيل وصحون طعام دائرية منقوشة بانواع كثيرة من الاشكال وضعت لتزيين المائدة. ولكل ضيف ملعقة من عاج او خشـب السيسـو ليأكل بها وزهرة فواحة لتبهج حواسه.

ويوزع الساقي الملكي الكؤوس الثمينة ويملؤها بـالخمر المثلج. وثمة كأس ثقيلة للغاية من الذهب الاحمر مملوءة بـأفضل الخمر من كركميش، ويرفعها الملك الى شفتيه، اشارة للضيوف انه بوسعهم ان يبدأوا المأدبة. وتغني القيان بصوت رقيق بمصاحبة القيثارة والعود. ويلبس كل عضو من اعضاء البـــطانة الملكية ومعهم الضيوف افضل الثياب التي يمكن للمشـغل ان ينتجها، جديدة الصنع وتلبـس اول مرة، وهي ذات حـواش موشاة واهداب، من مملكة زمري ليم. واذا طالت الظلال يقوم بامتاع من في المأدبة جماعة من البهلوانيين والمصارعين، ودب من شـرق ايران يؤدي حركات تمثيلية ممتعة.

ملاحظات الفصل

١- ملحمة كلكامش، اللوح الثاني، السطران ٣٩- ٤٠.

٢- على وفق ما ورد لدى بلايني في Pliny (Natural History xvlll xiv) التاريخ الطبيعي كان الرومان يصنعون الحساء من بذر الكتان وحب الشعير وبذر الكزبرة المطحون.

٣- اكتشافات في نينوى وبابل تأليف لايارد A.H. Layard "Discoveries in Nineveh and Babylon, London 1953 .

٤- يحتمل ان يكون هذا الروبيان ليس للاكل بل لعمل الانسجة، انظر ملاحظة ٨ من الفصل الثالث.

٥- يظهر النحل في الرسم المصري الملون قبل هذه الحقبة، ولعل النحل كان يربى انظر:

K. F. Kitche "The Mallia 'WASP' PENDANT RECONSIDERED, "ANTIQUITY V 155110213, 1981 .

٦- انظر: H. Helbaeck, in Mallowan, Nimrud and Its Remains (London 1966) p 618 .

٧- من مساوئها ان العملية المغلوطة ينتج منها السم. وقد ناقش سيموندز الاستعمالات والعمليات المختلفة

٨- ولكن وجدت نواة زيتون في تل تاية، قرب كارانا انظر:

J.G. Waines "Plant remains from Tell Taya" In Iraq 35, 1973.

٩- في كارانا جرة خزن قياسها ٧٤,٣ سم ارتفاعها وقطرها الاكبر ٥٨,٥ سم كشف عنها وقد كتبت سعتها القديمة على الخارج. ولما اعيد بناؤها الكلي واصلحت وملئت برز جاف، اخذ قياس من سعتها الحديثة. وكانت النتيجة ان

الكو qu قياسه لتر كان في الحقيقة بين ٠,٧٩ و ٠,٨٢ من اللتر. انظر:

J. N. Postage, "An Instructibed jar from Tell al Rimah" Iraq 40, 1998, pp. 71– 76.

١٠- ((المهور البابلية القديمة)) س. دالي J. Dally " Old Babylonian Doweries" in iraq 41, 1980, p. 53 ff.

١١- اصبح ايلو - كانوم مسؤولاً عن جرد الموجودات عند اجراء الحسابات وقد سجلت كميات عظيمة من الحبوب والبقوليات: ((٧,١٧٠ لتر من الشعير، ٥,٣٩٠ لتر من حبوب بورّوم، ١,٧٦٥ لتر من الحمص، كان جرد ايلو - كانوم حين اجريت الحسابات - الى ايلو - كانوم.

١٢- كان من المحتمل ان يكون هذا الرجل ماشوم هو الموظف نفسه الذي وضع ختمه على الواح جاكّار بازار، يجيز نقل الشعير، لان ياوي- ايلا كان تابع ملك تالهايوم، وهي دولة مدينة، مثل جاكّار بازار، تقع في منطقة اعلى الخابور.

١٣- لتعيين موقع هذا المكان، الذي جرى نقاشه، انظر:

. Graneberg,Repertoire Geographique Band 3, p. 23

١٤- لاجل الدراسة الشاملة انظر:

H. Finet, " Le vin a Mari", Archiv fur Orient for schung 25, . 1914– 1

١٥- ان كلمة ثلج شوريبوم suripum، كان يظن انها خامة معدنية حين نشرت الواح ماري اول مرة انظر:

s. Page- Dalley " Ice Offerings and deieties in Old Babylonian Rimah", Brussels 1969, also H. Freydant, . "bit suripim" in Bogazkoy,Welt des Orients 4, 1967– 8

الفصل الخامس
النساء

ان الرُقم (الالواح الطينية) مملوءة بالمعلومات الجيدة عن النســاء، ووضعهن القانوني وسلوكهن، وملابسهن وعاداتهن. وليس ثمة سجلات خلال الألفي عام من تاريخ بــلاد الرافدين المبــكر مثل هذهِ الكمية التي ترويها.

الملكات:

ان الرسائل الشخصية في ماري المتبادلة بــين زمري ليم وملكته شبتو وبناته الكثيرات محفوظة حفظاً جيداً، ويمكن مقارنتها بمراســلات تل الرماح التي جرت بين عقبة- حمو وملكته ايلتاني. واننا نعرف عنهن اكثر مما نعرف حتى عن الملكة الآشورية سميرآميس، لاننا مازلنا نمتلك قليلاً من التفصيلات المعاصرة عن حياتها. اما عن النساء الاقــل مكانة ومراكزهن ضمن اسوار القصر فإن قوائم الحــصص العظيمة هي كنز للمعلومات.

الملكة شبتو:

كانت شبتو [1] ابنة يريم ليم وكَاشيرا، ملك وملكة يمحــد (حــلب)، حيث قد يكون ليم امضى ســنوات نفيه في اثناء فترة خلو العرش. وقــد انجب زمري ليم وشبتو كثيراً من البــنات اللواتي عقــدن مثل والديهن زيجات ملكية لضمان المحــــالفة مع الدول الاخرى او ولائها. فمثلاً، تزوجت احدى بناتها المســماة ايبــاتوم من حمِديا ملك انداريك، وابــنة اخرى، اسمها انيب شاري، تزوجت ايبال عدّو حاكم اشلاكو. وقد انجب

زمري ليم احدى عشرة بنتاً في الاقل، وربما كلهن من ملكته شبتو، ولكن الرسائل لا تفصح عن موضوع الابناء. وتوجد رسالة من شبتو الى زمري ليم تقول: ولدت توأمين، ولداً وبنتاً. عسى مولاي ان يبتهج بذلك.

ولعل القارئ الحديث اليوم يستغرب ان تقوم الملكة بزف الخبر كتابة الى زوجها، ولكن هذا يبين على وجه اليقين ان الرسائل كانت تكتب باستمرار، ويجري تبادلها بين مختلف اجنحة القصر. وكانت كتابة الرسائل تتضمن اموراً منزلية وتوافه الحياة اليومية وهي لا تقل وزناً عن امور الدولة المهمة. وسواءاً بقي التوأمان على قيد الحياة ام لم يبقيا، فإننا لا يسعنا ان نتأكد من ذلك.

وكانت احدى الرسائل تشير الى موت احدى البنات، حيث يكتب احد الرجال الى آخر قوله: قبل ان يصل الملك ماري اخبره ان تلك البنت ماتت، لكي يفهم الأمر. فلعل الملك إذا لم يسمع بموت تلك البنت حتى يدخل ماري، فإنه سوف يحزن حزناً شديداً.

ولعل زمري ليم انجب ولداً اسماه يحدون ليم باسم ابيه المشهور. غير ان ابنه مات. ويوجد سجل من تاج فضة ميموم او عصابة راس وزنه ٤ غم وخاتم فضة وزنه ٨ غم ((لقبر يحدون ليم ابن الملك)).

كانت شبتو زوجة محبة، تهتم كثيراً بصحة زوجها وسلامته، ولا تشكو اليه ابداً عن احوالها الخاصة، ولا تغضب ولا تجعله يغضب.

((عسى مولاي ان ينتصر على اعدائه ويدخل ماري بسلام وفرح يغمر القلب! والآن، اتمنى ان يلبس مولاي الرداء والمعطف اللذين صنعتهما له!)).

وكانت تكتب اليه بانتظام حتى ولو تقول له: ((ماري والمعابد والقصر بخير)). وفي احيان اخرى كانت تناقش بشيء في التفصيل التنبوءات والبشائر والنذر التي قد تؤثر في رفاهته، او تجهيزات مطابخ

القصر ومخازنه، وكيف وزع الاسرى الجدد في مشاغل القصر. ولم تكن سيدة تحب الراحة. وكانت المشكلات الشخصية تكثر في كثير من اقسام القصر، وكان يطلب الى الملكة في كثير من الاحيان حلها.

وكان زمري ليم يهتم باخبارها عن حركاته.

((في الوقت الذي ارسل اليك هذه الرسالة، استقبلت اهل مدينة شيناه وجعلتهم يؤدون الولاء لي. ونصبت حاكماً على الحصن. وبعد هذه الرسالة سوف اغادر الى اوركيش واعزز الهدوء والنوايا الحسنة فيها. انا بخير والجند بخير. عسى ان تصلني اخبار القصر بانتظام)).

وتبين هذه الرسالة على نحو خاص ان شبتو لم تكن زوجة جاهلة معزولة، منزلة في مكان لا اهمية له، بل شريك حسن الاطلاع في تنظيم واسع ومن اجل تنفيذ مسؤولياتها تجاه زوجها واطفالها الكثيرين كانت تحتاج الى المساعدة فالظئر (المرضعة) (موشينيقتوم) للرضّع والمربية (تاريتوم) للاطفال المفطومين وهما من الثابتين في المجتمع. وقد كتبت احدى السيدات الى زمري ليم يائسة:

((لقد سلبت هنا. فأمسح دموعي! [٢] سين- موشاليم سرقني: اخذ مني مربيتي وهي الآن تعيش في بيته. لو أن مولاي اخذها، ولو انها تعيش في بيت مولاي، لما اهتممت لذلك، ولكن سين- موشاليم هو الذي سرقني. والآن، بما انك تنير جميع الارض، فأرسل النور اليّ ايضاً واعد لي مربيتي. ودعني ابتهل اليك امام تيشوب وهيبات)) (إله والإهة الحوريين الرئيسين).

وعلى مستوى ادنى في المجتمع، كان اطفال الامهات العاملات يرافقون الام الى العمل. وان قوائم حصص جماعات النسيج -الغزل والنسيج- تبين ان الام كانت تعطى حصة اضافية لطفلها، وراتباً على وفق الحاجة، وليس اجراً قياسياً عن الشغل. وان القوائم لا تبين عمر

الاطفال، الا في حـــالة ((الطفل المفطوم)) دومو. كَاب، وربـــما كانت مهمات بسيطة تناط بهم منذ عمر مبكر.

ولما كتبت شبتو الى زوجها كانت تخاطبـــه عادةً بــــ((مولاي))، وتدعو نفسها ((خادمتك شبتو)). ولكنها في رسالة المناسبات الى زمري ليم والى موظفي البلاط كانت تدعو نفسها بلقب ((سيدة البلاد))، ومما لا يدع مجالاً للشك لدينا انها كانت الملكة وكانت بنات زمري ليم، من ناحية اخرى، يكتبن اليه ((ابي، يا نجمي)) ويطلقن على انفسهن ((بنتك)).

دليل على الحريم:

انقسم الباحثون المحدثون بشأن مســألة امتلاك زمري ليم اكثر من زوجة واحدة، او احتفاظه بحريم [٣]. قبل مدة ليست بــالطويلة بــدا الامر معتمداً على كلمة حاسمة كان يظن انها تعني ((حجاب)). فقد كتب زمري ليم الى شبتو يسألها ان تختار فتيات من مجموعة جديدة من الاســيرات، فتيات ليس فيهن عيوب او وسوم (وهي علامات وقف سابــق لمعبــد او عبودية). ويبــدو الآن مؤكداً ان هؤلاء الفتيات كن مخصصات للتدريب ليكنّ مغنيات، وربما على نمط خاص من غناء العبــادة، لذا كان التاكيد على الكمال البدني، وان شيبتولم تكن تُسأل عن اختيار حــريم لزوجها. ولا يوجد دليل واضح على عزل النساء داخل القصر. وقدكتبت شيبتو الى موظفين من الذكور وتحاورت مباشرة مع موكانيشوم مدير المشغل حين لم يكن زوجها موجوداً. ولا يوجد دليل على الخصيان في هذا التأريــخ، ولا دليل على غلق اقسام من القصر ووجود موظف خاص مســؤول عن الاقفال. ولكن يوجد مصطلح محــتمل مخرب يردفي نص واحــد عن النساء الحريم و ((نساء خادمات الملك)) خصصت لهن حصة من الخمر مع نساء موسيقيات[٤].

وفي رأيي ان الحريم الملكي، بوصفه مؤسسة ربـــما جاء في اثناء الحقبة الآشورية الوسيطة، بعد عدة قرون، حين صدرت مراســيم ملكية تحكم بحزم سلوك نســاء القــصر وســلوك ملاك القــصر من الرجال تجاههن. وفي الوقت نفســه كانت مجموعة جديدة من القــوانين العامة تتعامل بوحشية مع حقوق النساء وسلوكهن الجنسي، على خلاف قوانين حمورابي [٥]. وبلغت ذروة قسوة القوانين الآشورية الوسيطة كما يأتي:

((بغض النظر عن العقوبات المخصصة لزوجة رجل المكتوبــة على هذا الرقيم (اللوح)، حينما تستحقها، فإنه يمكن للرجل ان يقلع شــعر زوجته، او يصلم اذنيها او يلويهما، من غير ان تقع عليه اي مسؤولية)).

لذلك فإنه في هذهِ الحقبــة لا يوجد اي دليل على الحــريم المنظم. ولكن يوجد دليل واضح ان الملكة يمكن ان تســافر من غير زوجها داخل مملكته. وقد كتب زمري ليم الى شيبتو قائلاً: ((انني الآن قادم الى ماري، فتعالي لتقابليني في ساكَاراتوم)).

ويصدق الشــيء نفســه في كارانا. لذا فإن مجموعتي الســجلات تعطي الانطباع نفسه عن حريات النساء.

كانت امرأة شــديدة الصلة بــزمري ليم هي ادد- دوري. وصيغة مخاطبــتها هي: ((أكلم مولاي، انا خادمتك)) وكانت دعواتها تتســم بالتقوى من اجل سلامة زمري ليم. وكتبــت، وهي تردد صدى تأكيدات شيبتو التي تقولها في اغلب الاحيان)) مدينة ماري والمعابــد والقــصر بخير. عسى قلب مولاي ان لا يضطرب... وعســى مولاي ان لا يهمل حراسة نفسه!)).

وكانت رســائلها عموماً تحــوي معلومات عن البشــائر والنذر، وتفصيلات بالطقوس والعبادات والمتعبدين، وكانت رســائل زمري ليم تهتم ايضاً بالطقــــوس الدينية. ولا ريب ان ادد- دوري كانت الثانية في

اهميتها بعد شيبتو بين نساء ماري، ولهذا السبب يرى بعض العلماء انها زوجة ثانية لزمري ليم[٦].

ولكن هذا في رايي غير محتمل، فهي لا ترسل اخبار الاطفال ولا ثياباً مصنوعة باليد، ولا شيء في رسائلها لا يتفق مع شخصية عجوز مهيبة وقريبة مسنة نشيطة تتحمل مسؤولية التأكيد ان زمري ليم يتقيد بإرادة الالهة واحتياجاتها في كل طريقة. وهذهِ احدى رسائلها، والرسائل الاخرى توجد في الفصل الخاص بالدين.

((اكلم مولاي، انا خادمتك ادد- دوري. عن حلي الصدر الذهبية للالاهة انونيتوم، جاء اهوم الكاهن وقال لي: (انه ليس الوقت المناسب لتقديمها، لذا عندما ينصب عرش الالاهة دع البشرى تتقل ثم دع الذهب يؤخذ ويصنع لعرش الالاهة)).

وقد كانت شيبتو اكثر اهتماماً بتجهيزات الطعام والامور الذاتية على الرغم من انها تقدم ايضاً تقارير عن الرؤى المحملة بالبشائر والنذر والتعابير النبوئية.

الملكة ايلتاني:

في ايلتاني، نظيرة شيبتو في كارانا، لدينا على نحو واضح شخصية مختلفة تمام الاختلاف في بيئة مشابهة. ولعلها كانت اكبر عمراً، وامضت سنوات نفي غير معلومة في شرقي بلاد الرافدين، في مدينة اشنونا. واشتغلت بجد في ادارة صناعات القصر ولا سيما المنسوجات والاطعمة، وكان عليها تلبية طلبات زوجها الملحة والمتكررة بشأن البضائع والمستخدمين. وكان عليها فضلاً عن ذلك ان تتصرف برسائل الالتماس. وكانت تهتم بصحتها، قلقة، متضايقة باستمرار، نحيلة، كثيرة

التشكي، وساخطة كما تبين المقتطفات الآتية من رسائلها، فقد كتب زوجها: ((حامّي- صوري اخبرني انك اقمت مهرجاناً شهيراً ولم ينتبه احد اليك. ما هذا؟ انا نفسي سوف انتبه اليك من غير ريب... وسوف آتي بنفسي وسوف ترين ماذا سأفعل بمن يتجاهلك!)).

وقد كتب مراسل مجهول يدعو نفسه ((اخوك)): لا تهتمي فقد وجهت اكميل- سين قبل سفره وسوف يضع اهتماماتك واهتماماتي لدى ابن مولاي وسوف يعمل كل ما يستطيع للتخفيف من قلقك. فكوني هادئة حتى يعود، ولا تفوهي بكلمة بانك قلقة لاي انسان!)).

وكتب رجل اسمه ريش- ادد رسالة التماس الى ايلتاني يطلب خادمين رجلين او امرأتين، قائلاً:

((عسى ادد وكيشتينا نا ان يكللا رأسك بالاجلال والفخر في المدينة التي تسكنين. لقد كتبت اسأل كيف حالك: ارسلي لي الاخبار عنك. لقد اعتدت ان تعيشي في اشنونا، ومع ذلك لم تتذكري قط ان تذكري اسمي، ولم تعطيني حياة جديدة. اما الآن فانك تعيشين في كارانا، ولا يوجد احد بين اخوتي من لم تهتمي باسمائهم، ولكن لم تذكريني ولو مرة واحدة، حتى بشيء قليل من الاحترام، هل تتذكرين اسمي، ولم تهبيني حياة جديدة. انا لا اكتب هذهِ الرسالة اليك لاطلب منك فضلاً خاصاً، بل انا اكتب اليك لانك لم تذكري اسمي قط)). ويشكو مراسل آخر اسمه باسيتنا- ابوم الى ايلتاني ان الخادم الصبي الذي وهبته له ايلتاني لا رجاء فيه لانه صغير جداً.

((هكذا يتكلم الى ايلتاني، ابنك ياسيتنا- ابوم. عسى شمش ومردخ ان يهبا امي عمراً فتعيش الى الابد من اجلي. امي هي اطلقت عليّ اسمي، وصار قلبي حياً. والآن، ارجو ان ترسلي لي رسالة تقولين فيها كيف حالك، وتهبيني حياة جديدة. وكلما اعيد قراءة رسالتك، فإن

عواصف ادد الترابية (إله الطقس) قد نسيت. وقد عاد قلبي فامتلأ بالحياة.
ان الخادم الصبي الذي ارسلته لي والدتي صغير جداً، لان ذلك الخادم الصبي لا يستطيع تلبية طلباتي بانتظام. ولكن انا الذي اواصل تجهيزه بانتظام! وكلما ذهبت في سفرة لا يحمل خلفي حتى لترين من الخبز من حصتي. عسى ان ترسل امي خادماً صبياً آخر يستطيع ان يحمل عشرة لترات من خبز حصتي خلفي ويكون قادراً على ابداء المساعدة)).

ولم تكن متضايقة فقط من رسائل الالتماس بطلب عبيد او طعام، بل كانت ايضاً متلقية، كما لم تكن مثل شيبتو كما هو واضح، مناشدات ضد الظلم، وهذا مثال على ذلك:

((هكذا اكلم سيدتي، انا بيلاسونو. لقد كتبت لك مراراً منذ ايام الحصاد ولكنك لم ترسلي لي اي رد مهما كان. وقد تكلم الملك معي قائلاً:

((ابقي في زرباط. وحينما اجيء سوف يأتي معي اوصي- نوير وسوف يدعك تدافعين عن براءتك)). والآن، لماذا انت ساكتة؟ فلا هو يدعني ادافع عن براءتي ولا يدعني اذهب. انت قرب الحاكم حيثما انت: اكتبي ان يعيدوني الى الحاكم. فما الخطأ الذي اقترفته؟ ولماذا تتجهمين وتعبسين عليّ، ولا تدافعين عن قضيتي؟ ومن سوف يتناول المسألة ومن تحول الى مساعدتي؟)).

من الواضح ان حياة ايلتاني لم تكن سهلة، وان طلبات زوجها العاجلة لاريب كانت جهداً اضافياً.

((الآن، ارسلت لك ٢٥ كغم من الصوف لخمسين ثوباً، فاصنعي تلك الثياب بسرعة. فاني محتاج الى تلك الثياب)).

((سوف آخذ كثيراً من الثياب مع الجزية الى بابل... ارسلي لي بقدر ما هو متوفر، فوراً)).

((ارسلي لي سريعاً الاحزمة (؟) التي صنعتها)).

((ارسلي لي سريعاً اي قماش متوفر لديك سواء من الدرجة الاولى ام الثانية)).

ولا ريب انه كان يواجه حياة عصيبة بوصفه حاكم دويلة وهو يحاول ان يتلاعب مع حلفاء كثيرين وينفذ التزاماته تابعاً لحمورابي. وتبين احدى الرسائل انه اصيب بانفعال وجهه تجاه ايلتاني المسكينة:

((هكذا اكلم مولاي، انا خاد متك ايلتاني. كتب لي مولاي ان اطلق الثيران والاغنام والحمير العائدة الى تاز ابرو قائلاً: ((ان لم تطلقيها، فاني سوف اقطعك اثنتي عشرة قطعة)) هذا ما كتبه لي مولاي. فلماذا كتب مولاي حكمه بالموت عليّ؟ امس فقط كلمت مولاي قائلة له ان راعيه الخاص هو الذي كان في الماضي يحتفظ بثيرانه واغنامه، وكان يرعاها في باشيباتوم. فلو اني اخذت اياً من ثيرانه واغنامه فلينزل مولاي عقابه بي.

هل بوسعي من غير إذن مولاي ان اضع يدي وآخذ اي شيء؟ فلماذا إذن كتب مولاي حكمه بموتي؟)).

وقد كان عمل ايلتاني مشرفة على صناعة النسيج معروفاً بشيء من التفصيل من سجلاتها. ففي القصر في الرماح كانت ((ادارة ايلتاني)) التي تشمل نحو (١٥) امرأة يغزلن وينسجن (وجلبت اثنتان منهن طفلين) و (١٠) عمال نسيج من الرجال. واستخدمت فضلاً عن ذلك طحانتين ومخمرة جعة اسمها سماكانوم و (٦) فتيات يعملن تحت موتو- هادكي بطاقة انتاجية غير معروفة. و (١٣) امرأة اخريات، لثلاث منهن اطفال، يعملون لايلتاني، بمهمة غير معينة ايضاً، وعندها حاجب اسمه كبسي- ايتار، ورجل اسمه اندا مسؤول عن حمير احمال، واربعة رجال آخرين ايضاً.

وفي قسم النسيج كان الصوف هو المادة الرئيسة المستعملة وكان الذي يجهز ايلتاني كل من عقبة- حمو ورجل اسمه قيصوروم. وكان قيصوروم يقوم بعمل حسابات قسم النسيج الذي يجب ان تدققه وتختمه ايلتاني، باستعمال ختمها الاسطواني الخاص. وكان يساعدها ايضاً بتنفيذ اوامر عقبة- حمو العاجلة. وكان لدى ايلتاني وكيلة في تجارة النسيج ولعلها اختها المسماة لاماساني التي كانت تعيش في آشور. وقد كتبت لاماساني تقريراً الى ايلتاني عن رحلات القوفل المنتظمة وكانت مسؤولة عن خدم بضمنهم عاملات نسيج. وربما لانها اختها الصغرى (وهذا مجرد تخمين) كانت تعدّ ايلتاني مسؤولة عن ارسال حصصها من الزيت والشعير حين تصبح هاتان السلعتان غاليتين في آشور، وتزودها بأمة تستطيع الغزل والنسيج، حين تموت اماؤها الخاصة بها. وكانت لاماساني تحاول ان تجد من اللازورد من اجل ايلتاني في آشور مقابل ذلك.

((هكذا اكلم ايلتاني، اختي، انا لاماساني. انا بخير. والقافلة تأتي بانتظام. انت لم تكتبي لي قط لتخبريني عن حالك. انا ما زلت ابحث عن قلادة من اللازورد التي كتبت لي عنها وسوف ارسل لك خادمة (معها)، ولكنني لم اجد حتى الآن ما كتبت لي عنه، ولذا لم ارسل لك الأمة حتى الآن. الا تدرين انني اتسلم حصصاً ناقصة من الشعير؟ والآن الشعير في مدينة آشور غالٍ وكذلك زيت الكتان غالٍ. ابنك سين- ريميني غالباً ما يأتي ويروح، ولكنك لم تذكريني قط لديه. وانك لم تكللي رأسي بالشرف في المنزل الذي امكث فيه. ويجب ان تعرفي انني اتلقى حصصاً ناقصة: فارجو ان تزوديني بالشعير وزيت الكتان)).

دور النساء ومركزهن الرفيع:

لم تكن نشاطات الملكات تقتصر على الجانب النسوي التقليدي من الانتاج: الانسجة والطعام، بل كانت تتصل في بعض الطرق بالمعادن ايضاً. فقد كانت ايلتاني ملكة كارانا تتلقى النحاس شخصياً من مرؤوسها كيصوروم وكاشيرا ملكة حلب، وتلقت حصة من ((القصدير)) منفصلة عن حصة ((القصدير)) الى زوجها يريم- ليم. ويمكن ان نستنتج من رسالة يخبر عقبة- حمو فيها ايلتاني ان تقدم اوعية شراب الى رسوله الذي كانت ايلتاني مؤتمنة ان تسلمه بضائع ثمينة على الرغم من عدم وجود اي دليل انها كانت تمتلك رأياً في تصميم وسائل الترف هذه.

واننا لا نعرف بالتاكيد هل كانت النساء الملكيات يشاركن الملك في مآدب الدولة او وجبات الطعام الرئيسة. ولكن من الامور الثابتة ان الملكة كانت تشرب الخمر المثلج مع أختها بيلاسونو، وان المرضعة كانت تخصص لها حصة من عشر لترات من افضل الجعة، ولا ريب ان ذلك لكي يساعدها في زيادة افراز الحليب.

ويعرف جيداً ان النساء كان باستطاعتهن امتلاك ارض خاصة بهن من سجلات جنوبية في تلك الحقبة، ولا سيما سجلات من سبار غير ان هذه الناحية من الحياة البابلية القديمة لم تكن موثقة توثيقاً جيداً في ماري وكارانا. وهناك رقيم واحد منشور من ماري حتى الآن يبين ان امرأة كانت تمتلك ارضاً ولكن مصطلحات هذا المصدر كانت غامضة تماماً. ولا توجد سوى معلومات ضئيلة جداً بخصوص امتلاك الارض عموماً.

وكان في سبارطبقة من النساء تسمى ناديتوم كن يعشن في دير ملحق بمعبد شمش وزوجته الالهية أيا، اولئك النساء من عوائل ملكية او ثرية جداً، ورثن واشترين مقادير معتبرة من العقارات، وامتلكن كثيراً من الممتلكات الشخصية. وحين يدخلن الدير يتلقين مهراً من والديهن، مثل اي فتاة تستطيع ان تتلقى مهراً عند زواجها. ولعلهن كن يتخذن اسماً



صورة (٣٥): منظر امامي وخلفي لإلاهة تحمل وعاء

خاصاً حين يدخلن الدير ، وكان اسم اثنتين من طبقة الناديتوم هو امة- شمش ((خادمة شمش)) والاسم الآخر ايريشتي- أيا ((طلبة أيا)) [٨]. وكان من حسن الحظ العظيم ان يكون من الممكن ان ترتبط هؤلاء السيدات من سبار بعائلات ملكية من ماري وكارانا، من كارانا اخت ايلتاني، وامة شمش كانت من الناديتوم في سبار، ومن ماري ابنة زمري- ليم، وايريشتي أيا ايضاً.

وقد وبخت امة- شمش اختها لخستها وبخلها. واكدت ذلك مقارنة بكرم عقبة- حمو وارسلت على نحو جلي هدايا الى ايلتاني.

((هكذا اكلم اختي ايلتاني، انا امة شمش، اختك. عسى مولاي وسيدتي الالهيين ان يمنحانك عمراً الى الابد من اجلي. سابقاً، حين جاء عقبة- حمو الى سبار منحته السبب في تشريف كهنوتي، وقد شرفني كثيراً لانه قال لي: ((حين اعود الى كارانا، اكتبي لي وسوف ارسل لك سفينة مليئة بكل ما تحتاجين اليه. صلي الى الهك من اجلي. وهأنذا اكتب وقد منحني خادمتين. ولكنك لم تذكري اسمي. ولم ترسلي لي قط حتى قارورة عطر واحدة. ولم تقولي: تقدمي وصلي من اجلي الى السيدة الاهتك، وبدلاً من ذلك قلت: ((ماذا تظنينني اريد؟ بصرف النظر عنك، الا ترسل فتاة غسلت قدمي زوجها يوماً واحداً الى اختها التجهيزات من الآن فصاعداً؟ والعبيد الذين وهبهم لي والدي قد كبروا وشاخوا. والآن، ارسلت نصف منا من الفضة الى الملك. فدعيني اطالب ودعيه يرسل لي عبيداً ممن اسروا حديثاً، ومن هم من الثقات والآن، في ذكراك، ارسلت لك خمسة (؟) منات من الصوف درجة اولى وسلة من (الروبيان).)) [٩].

أريشتي- أيا، الناديتوم من عائلة شيبتو في ماري، قدمت طلبات

مشابهة من اجل عبد من والديها. ولعل هذهِ الطلبات كانت جزءاً من تنافس على المنزلة الرفيعة بين اميرات الدير. اريشتي- أيا تمتلك اسلوباً ادبياً يتسم بالرياء فهي تدعو والدها ((نجمي)) او ((شمسي)) وتدعو مولاها الاله شمش وسيدتها الالاهة ايا ((ان يحفظاك من اجلي مثل السماء والارض)).

وكانت طلباتها لا نهاية لها:

((انا دائماً ابكي، ابكي دائماً، دائماً!... وحين كتبت لك في السنة الماضية ارسلت لي خادمتين، ولكن ماتت احداهما، وجلبوا لي الآن خادمتين اخريين وماتت احداهما ايضاً.. انا شعار بيت ابيك، فلماذا احرم من التجهيزات؟ انهم لم يعطوني اي فضة او زيت)).

وكتبت تعاتب امها قائلة:

((هكذا اكلم السيدة والدتي، انا اريشتي ايا، ابنتك. عسى مولاي الاله والالاهة ان يمنحاك طول الحياة من اجلي. لماذا لم تلبسي قط ثوبي، ولكنك اعدته لي، واخزيتني وجعلتني لعينة؟ انا ابنتك، وانت زوجة ملك... انت وزوجك وضعتاني في الدير، ولكن الجنود الاسرى يحترمونني اكثر منك! عليك ان تحترميني وسوف ينعم عليك سيدي الاله وسيدتي بشرف الرأي الطيب للمدينة واهلها. اني ارسل لك مربية. فارسلي لي شيئاً يسعدني، عندئذ ساكون سعيدة، ولا تهمليني)).

وتؤكد هاتان الرسالتان ان البنت كتبت الى ابيها بحرية مثلما كتبت الى امها. ولكن الام لم تتصرف تصرف وسيط في الامور كما بين البنت وابيها.

وان الاصطلاحات التي يمكن ان تصف ثياب النساء ما تزال صعباً علينا فهمها بالتفصيل. اننا نعرف ان المراة عموماً تمتلك من اغطية

الراس ضعف ما تملك من الثياب والسترات وان هذا التنوع يقدم بوسائل زينة منفصلة [١٠]. غير ان شكل العمل الزخرفي والزينة غير معروف، ويوجد نقص واضح في التماثيل المجسمة والمنحوتات البارزة التي تعرض النساء في هذهِ الحقبة. وما هو واعد اكثر في حالة المعرفة الراهنة هو الدليل على الحلي. وقد رأينا ان ايلتاني سألت اختها لاماسائي ان تجد لها وتبتاع عقداً من اللازورد في آشور- ذلك الحجر الازرق الغامق الشهير الذي كانت مناجمه في باد خشان البعيدة ويستورد الى بلاد الرافدين.

رجل اسمه يركيبا- عدو (ربما كان اخاها) ارسل الى ايلتاني منا من الفضة (نحو ٠,٥ كغم)، لشيء يلبس على الصدر، وهو وزن كبير من معدن ثمين يستعمل لحلية واحدة. ونحن نعلم من اختام اسطوانية ومن تمثال الالاهة التي تحمل اناء زينة يفيض ماءً ان قلائد ثقيلة جداً بعدة صفوف من الخرز مطابقة للزي الحديث آنذاك ذات ثقل موازن متدلية على ظهرها تحاشياً للضغط على قفا الرقبة. وكانت نساء العوائل الملكية يامرن بطلب حليهن اما بواسطة اعضاء من عائلتهن، مثل ايلتاني وقلائدها، او بواسطة موظف من القصر، كما تبين رسالة من الاميرة بيلاتوم الى رئيس الصاغة (؟). ايلي- ايدينام.

((هكذا اكلم ايلي ايدينام، انا بيلاتوم. انت تتصرف كاننا لم يكلم احدنا الآخر ويعقد اتفاقاً! اعطيتك شهراً لتشتري قلادة، ولكنك لم تشترها لي.واعطيتك قبل اربع سنوات فضة، وهكذا فإن الصائغ قد اخذ الآن فضة وذهباً، ومع ذلك فإن هذهِ الحلي الصدرية لم تصنع حتى الآن. والآن ان كنت ((اخي)) حقاً، فقدم خدمة للاله وللالاهة وارسل العمل فوراً، ولا تتأخر. واذا لا يكمل العمل، فلا اريد اي عمل. ولن اوافق

عليه. واذا لم تكن (١/٣)٢ شيقل من الذهب و ٤ شيقلات من الفضة التي اعطوها لك كافية للعمل فضع في وسطها ٤ شيقلات من البرونز)).

وتوجد قوائم قليلة للحلي، اغلبها في شظايا، من سجلات ماري. ولعلها ملاحظات لاشكيم موجزة تماماً ومقتضبة، ولكن يمكن جمع هذه المعلومات منها، ((ابزيم حديد ذو ((فتحة)) مرصعة.

مرآة فضة،

٢١ نجمة صغيرة من اللازورد

خرزة واحدة بيضوية من اللازورد

خرز بشكل كلى، وخرز بشكل بذور الكزبرة، مصنوعة من الذهب والمرمر)).

ولم تكن هذه الحلي الجميلة مقررة لزينة الاناث دائماً بل كانت تصنع ايضاً لتزيين التماثيل او العروش الملكية او الالهية ولكنها تقدم فكرة ضئيلة عن الانواع التي ينبغي ان تكون متيسرة للملكات والاميرات. ولعل في ماري أكثر مما في كارانا يبدو ان العادة كانت لدى نساء القصر ان يشرن ويكتبن تقارير تخص احداث البشائر والنذر، ويكتبن ويخبرن الحاكم انه لم يكن ينتبه اليهن دائماً، وان ابنة زمري- ليم المسماة كيرو التي تزوجت ملك ايلانسورا كتبت:

((هكذا اكلم نجمي، والدي ومولاي، انا ابنتك كيرو. لقد كانت حقاً اشارة حين تكلمت اليك في فناء القصر وقلت: انك ستذهب ولن تستطيع ادارة البلاد، وسوف تتحول البلاد الى حالة معادية وراءك.

(هذا ما قلت لوالدي ومولاي، غير انه لم يستمع اليّ... والآن، ان كنت انا امرأة حقاً، فعسى مولاي ووالدي ان يلتفت الى كلماتي- فإني دائماً اكتب كلمات الآلهة الى والدي!)). وحصلت لكيرو مشكلة مع زوجها ولعل بعض تنبيهاتها كانت مقررة بجلب انتباهه اليها.

((اذا لم يعدني مولاي الى ماري فإنني سوف ((ارفع انفي)) [١١] واسقط من السطح!)) كتبت الى زمري ليم في لحظة يأس. ولعلها كتبت الى الملك والدها وليس الى والدتها لانه وحده الذي يمتلك السلطة في تذكرها.

وشبيه بذلك حال انيب- شريّم وهي بنت اخرى من بنات زمري- ليم التي شكت من سوء المعاملة الشائنة في مملكة اشلاكا.

((كتبت عن همومي مرتين الى مولاي، وكتب لي مولاي قائلاً: (اذهبي الى اشلاكا ولا تبكي) كتب ذلك الى مولاي وقد دخلت الآن اشلاكا وقد ثبتت مبررات همومي! زوجة ايبال- عدو هي الملكة فعلاً، وتاخذ تلك المرأة على عاتقها ان تتسلم شخصياً كل ارسالية الى مدينة اشلاكا ومدنها. وجعلتني اجلس في زاوية امسك رأسي بيدي مثل امرأة بلهاء. وكان الطعام والشرب يوضعان دائماً امامها وتنظر عيناي حاسدتين ويسيل لعابي. ووضعت حارساً شديداً عليّ ولم تهتم قط بندآتي باسم مولاي. وهكذا تحققت مخاوفي هنا... عسى ان يرسل مولاي احداً ليعيدني الى مولاي، لعلي القي نظرة على وجه مولاي)).

يدل هذا النص على ان ملك اشلاكا اتخذ عدة زوجات، ويدل ايضاً على ان انيب- شريم وجدت الوضع غير مقبول ربما لانها كانت تقاليد اجنبية.

وقد كان نحاس من مدينة كاهات الحورية يشتغل في ماري وكانت معه ثلاث زوجات، مما استدعى تعليقات مجموعة مهذبة من العمال.

النساء الاعتياديات:

لقد استعرضنا حتى الآن ما يهم سيدات المجتمع الملكي وذوات المنصب الرفيع كما تكشفه بالتفصيل رسائلهن. غير ان قوائم الحصص تسمح لنا على نحو خاص ان نميز المراكز التي تشغلها النساء الاعتياديات على الرغم من انها تفتقر الى التفصيل الذي تزوده الرسائل.

بعض المراكز يمكن تعيينها ولكن اثنين يمكن ان يثيرا لدينا شيئاً من الدهشة! وكان الشغل العاملات بالغزل والنسيج شائعاً، وكذلك كان الرجال يعملون في النسيج. وليست تفاصيل عملهن معروفة حتماً الآن أو بأي طرق كانت تقسم انواع العمل المختلفة. وذلك لأن حرفة اسلاكوم- اسلاكتوم تبدو مصطلحاً عاماً يضم الغزل والنسيج والصياغة والقصر والدرز. وكان لدى ايلتاني في كارانا (١٥) عاملة و (١٠) عمال نسيج يشتغلون في مشغل قصرها.

وكان عمل النساء في بيوتهن الخاصة طحن الحبوب، وكان كل فتاة تتسلم عند زواجها مجموعة منوعة من الرحى لانماط مختلفة من الطحين وهذه جزء من مهرها. وقد كتبت عزو- اينا، وهي امرأة من أشلا الى موتو- هادكي في كارنا تقول:

((عسى والدي ومولاي يعطيني أمة، وعسى ان يحرر يديّ من الرحى، او عسى ابي ومولاي ان يكتب الى ايلتاني)).

ولكن في قصر ايلتاني كان الطحانون رجالاً ولعل ذلك لمشقة العمل بمقياس واسع.

وكانت النساء في ماري تعمل في المطابخ في إعداد الطعام تحت اشراف اما- دوكا التي لا تغلب. وكانت خادمة اسمها اليزا مسؤولة عن شرلب الهمروم والحاويات التي يخزن فيها، وهي ايضاً متسلمة الشعير لصنع حلوى باباسوم.

وكان كثير من المغنين إناث على الرغم من انهن كان يدربهن رئيس مغنين اسمه ورد- ايليشو. وربما كنّ يعزفن آلات موسيقية. والمصطلح المستعمل هو مصطلح عام ربما يشمل جميع انواع الموسيقيين. وليس معلوماً المناسبات التي يؤدين فيها الغناء، ولكن كان مخصص لهن بقوليات بين حصص عمال القصر، وخمر مع خادمات الملك. وفي احدى قوائم الحصص يوجد (٣٥) سيدةموسيقية كبيرة و (١٤) سيدة صغيرة و (٧) اصغر كثيراً من الموسيقيات. وكانت الكبيرات والصغيرات يتلقين المقدار نفسه من الطعام ولكن الصغيرات جداً كن يتسلمن اقل. وفي قائمة حصص من جاكار بازار قوائم بثمانية اولاد شباب موسيقيين.

وترد طبيبة بالمناسبة في احدى الرسائل في ماري وبانها لم تكن قابلة لاحتمال وجود كلمة خاصة بمهنة التوليد [١٢]. غير ان المفاجأة العظمى في قوائم الحصص هي وجود كاتبات (إناث) طوبشاراتوم. ولا يعطي الدليل اكثر من اسمائهن، ٩ منهن، من غير تفصيلات عن المركز الاجتماعي او التدريب او نمط العمل. ولكن ذلك كاف لبيان ان الرجال لم يكونوا يحتكرون المهارات الثقافية، وان في ايام حمورابي ازدهرت حرفة امانة السر (السكرتارية) النسائية في قصر زمري- ليم في ماري.

ملاحظات الفصل

١- يفضل قراءة اسمها بهيئة شبطو، انظر :
Dalley, Bibiliotheca, Orientalis, 36, 1979, p 289

٢- 2 sec K. Deller- K. Watanabe Sukkulu... Abwischen" in . Zeitschrift fur Assyrio logie 70 1960, pp 202– 3

٣- يبدو ان كبري- داكان كان متزوجاً زوجتين اسـماهما دام- حـورا حسـم وهوشوتوم، ولكن خلال المدة الطويلة من رسائل ماري في البال لا نستطيع ان نتأكد انهما كانتا موجودتين في وقت واحـد، ولا نعرف هل كانت الاولى عاقراً. وعلى وفق شريعة حمورابي يحق للرجل اتخاذ زوجة ثانية اذا كانت الاولى عاقراً لكي ينجب اطفالاً.

٤- انظر ايضاً: see also CAD sub esrtu. B. F. Batto دراسـات عن النساء في ماري (جون هوبكنز ١٩٧٤) حيث يدعي وجود حـريم ملكي من غير مناقشة الدليل.

٥- مهر المرأة مثلاً لا يمكن ابداً ان ياخذه زوجها، وهو يبقى ملكها طوال حياتها ثم يؤول الى ابنائها او يعود الى عائلة ابيها وتسـتطيع ان تشـتري وتمتلك عقاراً وتبيع عقاراً. واذا تزوجت رجلاً سـيئاً فإنها لا يمكن ان تتعهد بـدفع الديون التي استدانها قبل زواجه. واذا اسـاء معاملتها فبوسـعها ان تتركه وتأخذ مهرها معها. ولا يمكن طرد الارملة واخراجها من غير مال. وكـان الاخوة الايتام يجبرون ان يجهزوا مهراً لاختهم الصغرى من ممتلكات ابيهم المتوفى. اما الزوج الذي يريد تطليق زوجته العاقـر فانه يضطر الى اعادة مهرها اليها، ودفع مال فراقها ايضاً. واذا غاب الزوج مدة طويلة من غير ان يجهز زوجته باسباب العيش الكافية، فإنها تستطيع ان تدخل بيت رجل آخر

من غير القاء اللوم عليها. ولا يمكن معاقبتها بـتهمة الزنى. وتوجد ظروف كثيرة تستطيع فيها البنت ان تتزوج ((زوج قلبها)).

انظر: Pritchard ANET الطبعة الثالثة من اجل الوقوف على ترجمة القوانين المختلفة A.K. Grayson, Assyrian Royal Inscriptions الجزء الاول ص ١٣٠ الهامش، من اجل الوقوف على ترجمة مراسيم الحـريم في العهد الآشوري الوسيط.

٦- A. Finet, Rencontre Assyriologique International 18, p. 69The Veiw of Batto, op. Cit, pp. 64– 72, may be preferable.

٧- يمكن ان يكون هذا اما تعبيراً عن القرابة او احدى حالات الوضع الشرعي.

٨- R. Harris, Biographical notes on naditu women of sippar" journal of Cuneiform Studies 16. 1962, pp. 1– 12. "The organisation and ad minstration of the cloister in ancient Babylonia" journal of Economic and social history of the orien 6 1963, pp. 121– 157. "The nadita- Women" in studies presented to A. L. Oppenhein, Chicago 1964, pp. 106–1.

٩- انظر ملاحظة (٨) في الفصل الثالث.

١٠- S. Dalley "Old Babylonian dowries" Iraq ٤٢ 1980, p. 72.

١١- يعني هذا التعبـير حـرفياً ((يزدري)) او ((يعطس))، وربـما له معنى اصطلاحي يعني ((في طرفة عين)) او ((على حين غرة)).

١٢- شاساتو هذه الكلمة لم يعلن حتى الآن من صحتها في النصوص المنشـورة من ماري.

الفصل السادس
العبادات والمعتقدات

كان في تلك الايام لكل مدينة إله أو إلاهان لهما أهمية خاصة وهما راعيا المدينة ومملكتها وحارساها، واليهما يعزو الملك اعماله الناجحة. ولعل اتور – مير (وهو إله ذو اهمية قليلة خارج ماري) وشمش، إله الشمس، كانا اسمى إلهين في ماري. ولعل إله العواصف ادد والالاهة كَشتين – انا كانا اسمى إلهين في كارانا [١].

وكانت بعض المدن والبلدات الوثيقة الاتصال بماري وكارانا تفخر بالهتها التي لها تأثير اوسع، يعزى غالباً الى احداث تاريخية او ما قبل تاريخية لانعرف عنها شيئاً، غير ان التأثير واضح الوجود في سجلات القصر. وكان ادد، إله حلب العظيم احدها لان زمري – ليم تزوج من العائلة المالكة في حلب، ولعل ذلك ايضاً لان ادد كان ((رب التكهن بالبشير والنذير))، وقد اولاه زمري – ليم احتراماً عظيماً. ولعل ذلك يفسر التشديد على التكهن الذي لاحظناه بين نساء بلاط زمري – ليم، ولا ريب ان تأثيرات طفولة الملكة في حلب لها تأثيرات ايضاً. وكان لشمش وايا في سبار في الممالك المحيطة كانت غالباً ما ترسل احدى بناتها لتكرس كاهنة – ناديتم في سبار ليمضين سن الرشد مبتهلات من اجل نجاح سلالة العائلة المالكة [٢].

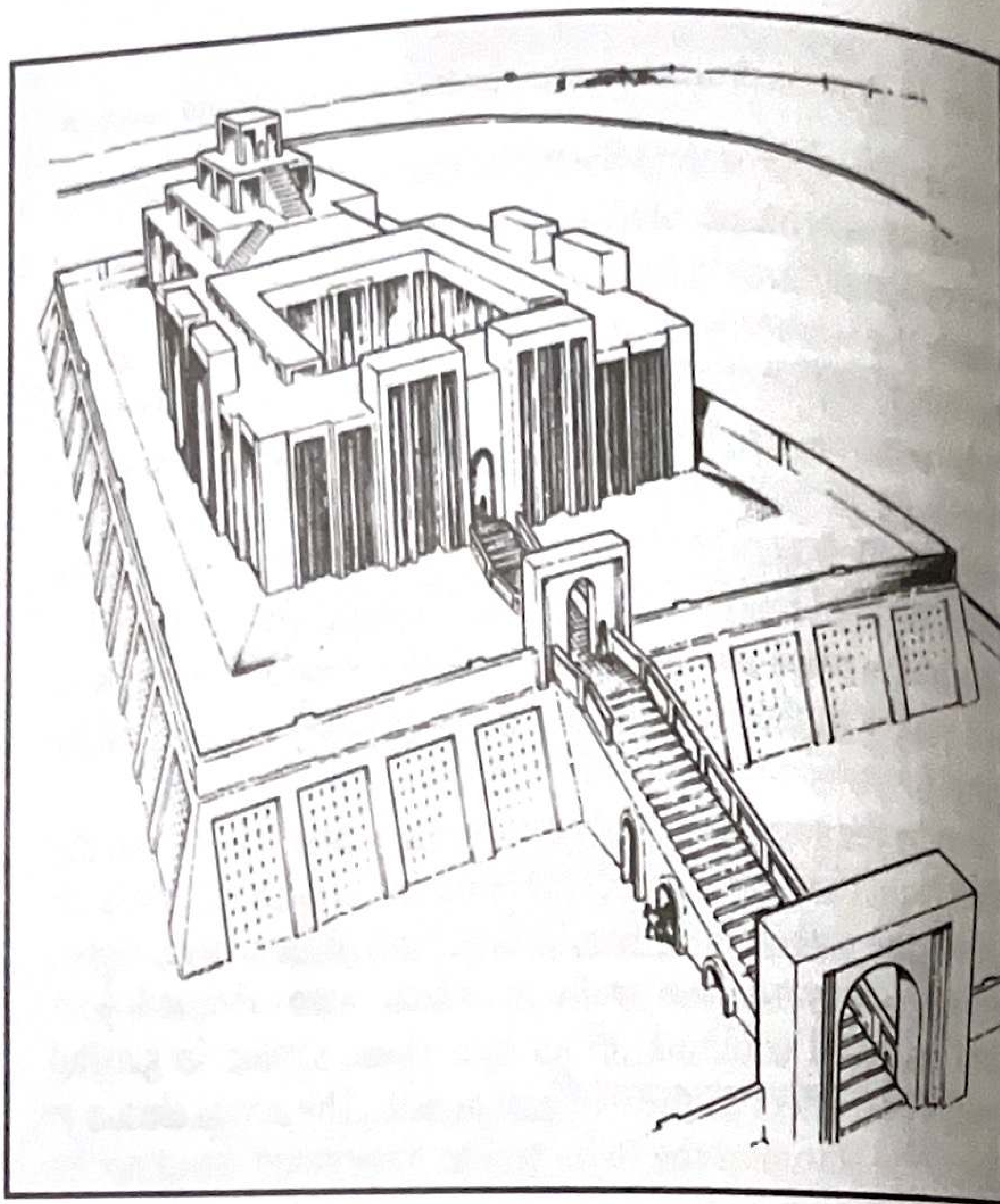
وكان اهم جميع الالهة في منطقة الفرات الاوسط هو الاله داكان، إله الطقس الذي يقع مقاماه الرئيسان ضمن مملكة ماري في اثناء حكم زمري – ليم. وفي تيرقا حيث كان كيبري – داكان حاكماً، وفي توتول

التي تقع عند مصب نهر البليخ [٣] كانت عبادة داكان تولى باعظم الاحترام. وكان داكان يحرس الطريق الذاهب من الجنوب الشرقي الى سوريا، وكان ملوك بلاد الرافدين الذين يفكرون بالفتوحات الغربية يقدمون الاضاحي الى داكان لكي ينظر بعين تبشر بالنجاح الى مسيرتهم على طول نهر الفرات مارين بتيرقا وتوتول [٤]. كان داكان الاله الذي يرعى مملكة حانا الامورية وهي دولة نالت بعض الاهمية قبل حكم جد زمري- ليم، وحكم يكيد- ليم وفي المدة التي تلت نهب جنود حمورابي ماري. كانت حانا اشد منافسي ماري، لذا فإن ملوك ماري حين يدحرون ملوك حانا يتخذون لقب ((ملك ماري وملك حانا)) ، ويدعون برعاية داكان لهم. وكان اسمه يقرن في الكتابات المنقوشة على اختام ملوك حانا باسم ايلابا، وهو إله حرب [٥].

وكان الإله آشور اقل تاثيراً في هذهِ الحقبة، وكان زمن مجده الغامر الذي يستند الى سلطة الملوك الآشوريين في مدينة آشور، لم يأتِ بعد. كان في ذلك الوقت محض إله مدينة آخر من غير مكانة عالمية.

المعابد في كارانا وماري:

لعل المعبد الرئيس في كارانا بني في اثناء حكم شمشي- ادد. وكان يقع في مركز مدينة دائرية مسورة، وكان ينتصب عالياً على ركام بقايا معابد قديمة كثيرة تمتد الى حقبة ما قبل التاريخ. وكان الوصول الى المدخل الرئيس صعوداً على درجات، طويل ومهيب، طوله ٣٤ متراً محمولة على سلسلة من ثلاثة عقود اسطوانية تؤدي الى دكة عظيمة يمكن للعابد ان يدخل منها الى المعبد. وكانت واجهة المبنى المستطيل الضخم مبنية باسلوب باروكي متقن: اعمدة غائرة جزئياً في الجدار في نمط من



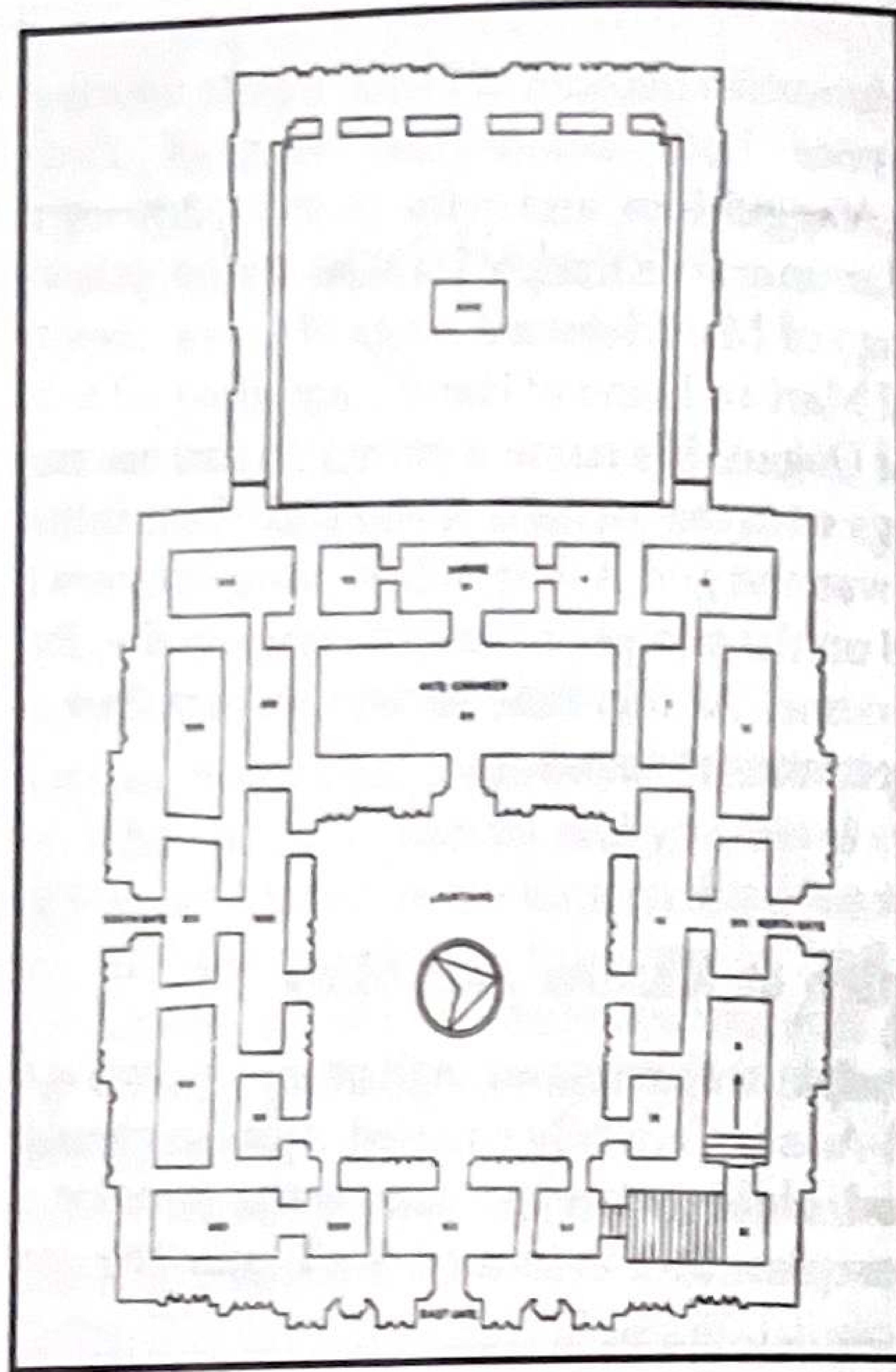
صورة (٣٦): رسم إعادة بناء تخيلية لمعبد كارانا

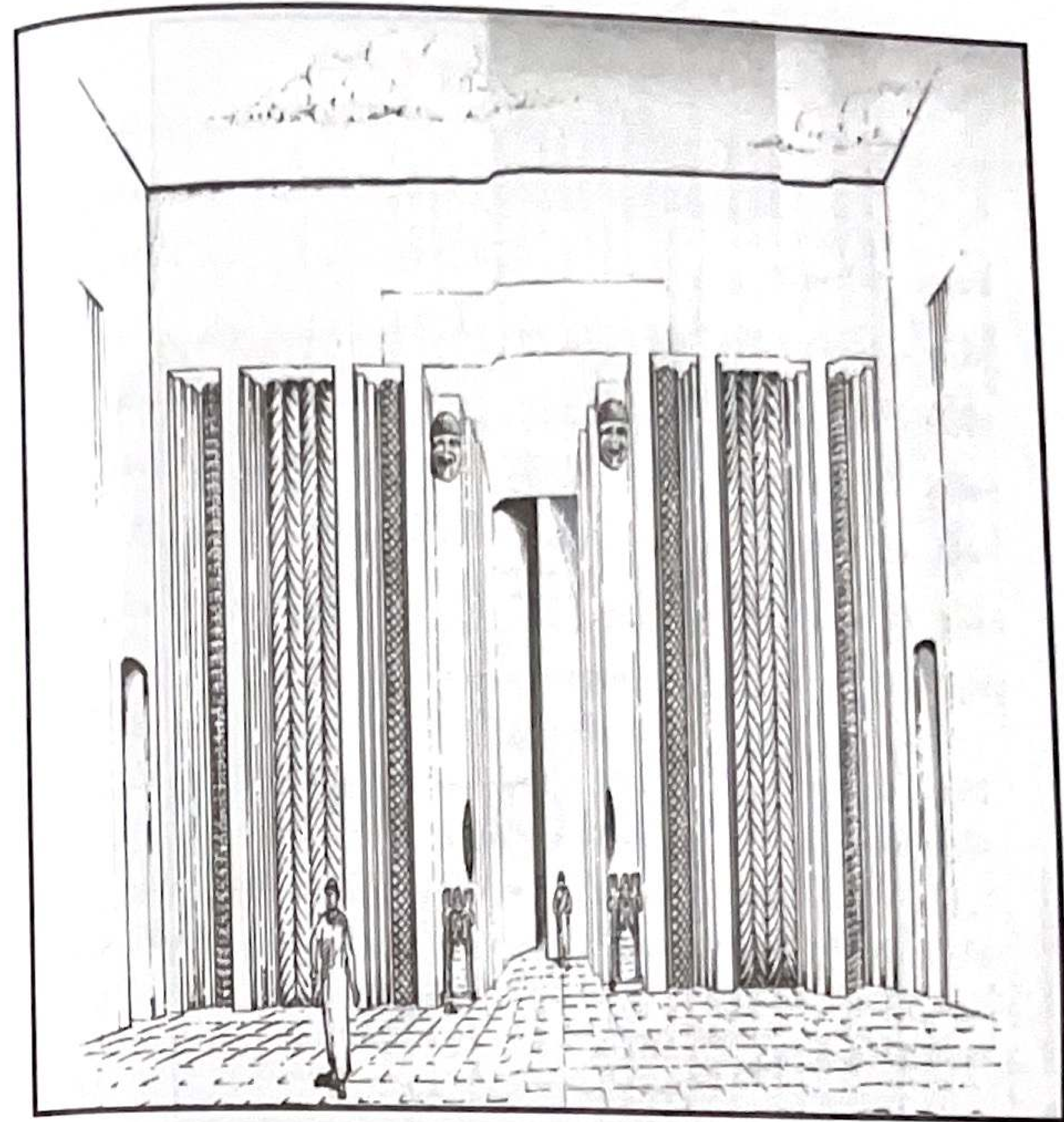
التعقيد العظيم يظهر في نحت حلزوني بـــارز، وجزئيات معينية وجذوع نخل بالتناوب. وتستمر هذه حول ثلاثة جوانب من المعبد، الخلف: جدار غربي يحاذي زقورة، وهي برج غير اجوف من اللبن يرتفع بشكل مؤثر في مصطبتين الى ارتفاع غير معلوم، يعلوه سطح المعبد [٦].

وفي داخل المعبـــد الذي يمكن الدخول اليه اما من البـــاب الامامي الرئيس او احد الابواب الجانبية الموضوعة وضعاً متناسقاً، ويجد العابد نفسه في فناء مركزي واسع مكشوف، جدرانه مزدحـــمة بـــاعمدة غائرة جزئياً في الجدران من الجهات الاربع، مشابهة بـــالتصميم العام والتأثير بالواجهة الامامية. ولم يمكن التنقيب عن المقام الحقيقي الذي ينتصب فيه تمثال الاله لان الجدران كانت الى ارتفاع مذهل بحـــيث اصبـــح العمل خطراً جداً. وعلى الرغم من عدم وجود علائم على طبقـــــة ثانية، كانت بعض الدرجات تؤدي نحو الاعلى، لعلها الى ممشى على السطح او حتى حديقة على السطح، ولكن على عقود طابوق نصف قطرية.

كان المبنى المتقن بكامله مكرساً للاله الذي يرعى كارانا. وقد كان ذلك بيته على الارض الذي يسكن فيه ويقوم بخدمته حشد من البشر الذين يسقونه الخمر ويطعمونه ويلبسونه الملابس ويسلونه. كانت العبـــادة في كارانا وماري مشابهة في كثير من الوجوه للعبـــادة في بـــلاد الرافدين، وتتركز في الاله (المتمثل بتمثاله) في معبده الذي يشبه بيت دمية عظيم، اكبر من الحجم الطبيعي، مزود بـــهيئة من الكهنة الذين يوفرون النزهات والعطلات فضلاً عن الحاجات بعناية عظمى.

لعل المعبد الرئيس في ماري يقع تحت تحدب واســـع يعرف بـــ ((الكتلة الحمراء)) ولم ينقب فيه. ولكن جرى التنقـــيب في معبـــد ثانوي مجاور لقصر زمري ليم، ولعله كان مكرســـاً الى ايتور – مير، ما دامت


صورة (٣٧): خارطة إعادة بناء المعبد والزقورة الاصليين



صورة ٣٨): رسم إعادة بناء المدخل الرئيس المؤدي الى المقام في معبد كارانا



صورة (٣٩): احد الاسود التي تحرس الطريق الى معبد ((ملك البلاد)) في ماري

كتابة الاسس تشير بصورة غير مباشرة الى الاله بانه ((ملك البلاد))، ويدعي ايتور – مير ((ملك ماري)) [7] كان هذا المعبد اقل اتقاناً من المعبد في كارانا، وكان يختلف اختلافاً كلياً بخارطته لان المبنى يحوي ثلاث حجرات فقط (معبد كارانا يحوي ٢٥ حجرة) مبنية في صميم زقورة مملوءة. وكان الوصول الى هذا المعبد خلال فناء واسع غير منتظم.

وكان في الاقل ٣٥ اسداً عظيماً تجثم حارسة هناك. افواهها فاغرة، عيونها مطعمة ببؤبؤ من حجر الشست الاسود في قرنية من الحجر الابيض، تحملق غاضبة بالعابد القادم، كانت هذه الاسود ضخمة جداً بحيث ان رؤوسها وحدها يبلغ مقاسها ٧٠ سم طولاً [8].

ممارسات العبادة:

تضيف الالواح تفاصيل من ممارسات العبادة الى الادلة العمارية. غير ان تمثال الاله نادراً ما يذكر لذلك لا نعرف بالتأكيد هل كان بحجم طبيعي وهل كان اكثر من تمثال واحد لكل إله (ربما تمثال في وضع الوقوف وآخر جالس؟) واي مواد كانت تستعمل لصنعها، في ما عدا انها قد تكون مموهة بالذهب. كان للتمثال عرش ومسند للقدمين وراية او شعار، شورينّوم. وكان يلبس تاجاً وربما ايضاً ملابس حقيقية. واذا صُنع تمثال جديد فإن الحدث يكون مهماً جداً، ويقام احتفال عظيم لدخول التمثال في بيته. وقد سميت احدى السنين في ماري بـ ((سنة يسمح– عدو حينما دخل الاله نركَال بيته)). كان نركَال يمتلك عربة وضعت في معبده، وكان يقام احتفال خاص في ماري بهذه العربة يؤكل فيه كميات عظيمة من نوع خاص من الخبز يدعى هوكَوم [9].



صورة (٤٠): تمثال معدني صغير لإله جالس من قطنا



صورة (٤١): تمثال من البازلت لإله من شمالي سوريا

((٢,٥٨٨ لتر من خبز هوكوم، وجبة طعام الملك والرجال في مهرجان عربة نركَال)).

((١,٠٤٠ لتر من بيرة الابانوم، وجبة الملك ورجاله في مهرجان عربة نركَال)).

وكان تمثال الاله يمتلك طاساً للشرب وربما كان يمتلك اسلحة ايضاً، وربما دبابيس (عصي شوكية تستعمل اسلحة)، وفي حالة واحدة سلاحاً برونزياً مطعماً بالفضة. وكانت تماثيل الالاهات تزين بالحلي الفاخرة والخواتم والقلائد وحلى الصدر. ومن نصوص اخرى في تلك الحقبة نعرف ان نماذج صغيرة لثيران واسماك وجراد ويعاسيب تصنع من المعادن والاحجار الكريمة وكانت تكرس الى الالهة وتحفظ في خزائن المعبد. وقد يعدّ بعضها بانه ذو اهمية خاصة. وفي اور، الميناء البحري الرئيس على الخليج في جنوبي بلاد الرافدين يكرس التاجر نموذج زورق فضي او بعض اللؤلؤ (الذي يدعى ((عيون السمك)) شكراناً لنجاح مضاربة تجارية. وقد يسجل بعضهم ابتهالاً للمستقبل بنموذج جرادة لتذكير الاله ان يبعد الجراد عن حاصلاته، او سمكة طلباً لبركة حافلة بالسمك[١٠].

ويبدو ان وجبات طعام الالهة تشبه وجبات طعام الملك: لحم من الحيوانات صغار العمر، ولعلها مسمنة خصيصاً لذلك.

((حَمَل ربيعي واحد، تقدمة من ايلتاني الى عشتار قطارا... حَمَل واحد تقدمة من ايلتاني الى سين (إله القمر))).

وليس من المؤكد ان جميع اللحم كان يقدم الى الاله قبل ان ياكله الناس، ولكن يبدو ان ذلك أمر محتمل لان ذلك كان تقليداً في ايران

المجاورة [٢١]. وفي كارانا كان يقدم الى الالاهة، التي يحتمل انها كَشتين- انّا، اشربة مثلجة، وفي احدى المناسبات كان يخصص لها ١٠ لترات من افضل انواع البيرة.

من الواضح بطبيعة الحال ان الاله في شكل التمثال لم يأكل فعلاً اللحم كما يفعل الانسان. لذلك كان يعتقدان ان الالهة تتغذى الى حد ما على رائحة الطعام. ولما كانت حاسة شمها صفة مهمة، فإنها ربما كانت تزود بزهور عطرة ايضاً وتغسل بزيوت معطرة طيبة الرائحة ومستخلصات راتنجية. ولم يدخل اللبان والمر والانواع الاخرى من البخور في حيز الاستعمال العام حتى الآن ولكن مستخلصات الارز والعرعر والآس كانت جميعها تستعمل.

الصلاة والطب:

لا توفر النصوص وصفاً واضحاً عمن يسمح له بدخول المعابد ولا كيف يتصرف الناس في حضرة الاله. دليلنا في العادة غير مباشر. حين يدخل او يغادر حضرة الاله فإنه (او انها) يلمس انفه. نعرف ذلك من رسالة عاطفية نوعاً ما ارسلها رجل الى اختيه، يقول فيها:

((لدى دخولكما ومغادرتكما، إلمسا انفيكما لبليت- ايكاليم... تذكراني ولا تنسياني، ولا تكونا حزينتين من الآن فصاعداً.

اننا لا نعرف حتى الآن مغزى هذه الايماءة.

(ملاحظة من المترجم: تعني هذه الايماءة ان المرء طوع أمر الاله وخضوعه له. وما يزال بعض ابناء الجزيرة العربية يلمس انفه بيده اذا طلب منه شخص تلبية أمر وقد يلفظ مع تلك الايماءة ((على خشمي))

(انفي)، وفي العراق يلمس المرء عينه او عينيه اذا طلب منه شخص ما شيئاً او تلبية امر ويقول له ((على عيني)) او ((بعيني الثنتين))).

ويسجد العابد ايضاً حين يدخل المعبد:

((دخلت معبد داكان (في تيرقا) وسجدت لداكان (اي الى تمثاله).

ولا توجد ادلة كثيرة جداً على صلاة الناس الاعتياديين، بعكس الكاهنات- ناديتم في سبار اللواتي يؤدين بوضوح صلوات منتظمة نيابة عن عوائلهن البعيدة. فقد طلب عقبة- حمو من زوجة اخيه أمة شمش ((ادّي الصلاة الى مولاك الالهي)، وعاتبت أمة- شمش اختها لأنها لم تقل: ((تقدمي وأدّي الصلاة عني الى مولاتك (الالهية). وكتبت إريشتي- آيا الى ابيها زمري ليم قائلة: ((الستُ انا شعار صلاتك التي تؤدي الصلوات من اجل حياتك؟)) وتفتقر رسائل العائلة الآخرين بوضوح الى هذا النوع من الاشارة التي تبين ان الصلاة واجب الكاهنة- ناديتم في حين ان القرابين هي واجب الناس الاعتياديين التي تصاحبها احياناً الصلاة من اجل الملك. ومن المناسبات النادرة ان يذكر رجل الصلاة في رسالة مرسلة من يقيم عدّو الى زمري- ليم:

((الآن، وصلت ساكاراتوم وقد ماتت بنتان خادمتان في البيت. نظرت في الامر واكتشفت انه كان بسبب التقدمات (القرابين) الى الاله آمور تيهران. اذا تفضلت مولاي ان تدعني ارضي الاله. سوف يستغرق ذلك خمسة ايام فقط للذهاب والاياب من هناك (ولن اتأخر) لكي استطيع ان اصلي نيابة عن مولاي في تلك التقدمة)).

تدل هذه الرسالة على ان الاله كان غاضباً إما بسبب شيء مغلوط في التقدمة الاصلية او ان شخصية بارزة لم يكن حاضراً. وكانت النتيجة موت احد الفتاتين وخطر محتمل للملك. ويمكن تصحيح الأمر اذا ما ذهب احد كبار موظفي الملك شخصياً لرؤية الاله والصلاة نيابة عن الملك.

ان قوة الصلاة، على وفق هذه الرسائل، كانت تؤدي لمنع موت مفاجيء ومن اجل حياة طويلة. وكانت الحياة الطويلة السليمة هي افضل، يمكن ان تمنحه الالهة للانسان. وفي رسالة اخرى تقول ارتشي- أيا: ألست شعار صلاتك التي تجعل رُسُلك- ايجبروم نافعين في معبد شمش؟)).

وعلى الرغم من اننا لا نعرف بالضبط اي نوع من الرسل هو الابجيروم، يبدو في الغالب انها كلمة غير مثيرة يمكن تفسيرها بأنها مهمة. وعلى اي حال عدّت الكاهنة اريشتي- آيا ان صلواتها لها قوة جعل هؤلاء ((الرسل)) نافعين. وان مسيرة حياة الانسان تعتمد على فضل الآلهة، وان الآلهة يكشفون عن سرورهم واستيائهم من خلال هؤلاء ((الرسل)). ولتحقيق قول امرئ او توكيد صدقه فإن ذلك المرء يقسم بالاله. وقد كتب رئيس جماعة ياميني اسمه دادي- جدون رسالة عنيفة الى شيبتو ذكر فيها هذا القسم: ((باسم ادد اب حلب واله ابيك ![١٢])).

كانت معتقدات بلاد الرافدين القديمة مختلفة في احوال كثيرة عن معتقداتنا (تقصد المؤلفة المعتقدات الانكليزية والاوربية- المترجم) ولكن وجدت ايضاً طريقة عملية لفهم الخير والشر، وإدراك السبب والنتيجة مما قد يثير دهشتنا. وتظهر الرسالة الآتية بوضوح ان طبيعة المرض المعدي والسيطرة عليه بالعزل كانت مفهومة.

((اكلم شيبتو، انا مولاك (زمري- ليم) سمعت ان المرأة نانامه مريضة بالحمى. مكثت طويلاً في القصر واتصلت بكثير من النساء الاخريات. والآن، اتخذوا اجراءات مشددة: يجب الا يشرب احد من القدح الذي شربت منه، ويجب الا يجلس احد على المقعد الذي جلست

عليه، ويجب الا يستلقي احد على الفراش الذي استلقت عليه، ويجب الا تتصل بالنساء الاخريات الكثيرات. تلك معدية)). رسالة مشابهة تتكلم على وضع امرأة مريضة في بيت منعزل.

واذا تذكرنا هذا الوضع فإن من الاسهل علينا معرفة الرسائل الموجزة المألوفة التي يقول فيها اناس من ذوي المناصب العليا:

((انا بخير. القصر بخير. ارجو ان تكون بخير)). وان الابلاغ المبكر عن امراض معينة يؤدي بوضوح الى تدابير وقائية فورية والسيطرة عليها. وقد كتب كيبري- داكَان حاكم تيرقا فوراً ليخبر عن وباء في تيرقا:

((مدينة تيرقا والمنطقة بخير ولكن في كوليهيتوم قرر الآله التهام الناس والانعام على حد سواء، مات اليوم رجلان أو ثلاثة رجال)).

وفي رسالة اخرى مشابهة شوهد المرض بأنه ابتلاع الاله للناس:

((عائلة باهلو- كَيوم، خادمك، هلكت كلها)) في ابتلاع إله لها. مات جميع ابنائه، ولم يبق احد ليتولى مسؤولية البيت)).

وعلى قياس عام فإن القوافل تستفيد من التحذير المبكر عن الوباء ولعل لذلك السبب ارسل يسمح- عدّو يطمئن حمورابي ملك بابل قائلاً:

((اخوك اشمه داكَان بخير ومدينة ابكالاتوم بخير. انا بخير ومدينة ماري بخير)).

لم يكن الطبيب في ذلك الوقت مختصاً بطرد الارواح بالرقى والتعاويذ او الطقوس لتهدئة غضب الآلهة وانما كان صاحب مهنة طبية مخلصاً من كلا الجنسين. يستعمل ضمادات منقوعة بالزيت، وادوية مستخلصة من نباتات علاجية.

((اكلم مولاي (زمري–ليم) هكذا يقول يقيم– عدّو خادمك. احد صبياني مريض. تحت اذنه متقيح. طبيبان معي يضمدانه ولكن الحمى لم تتغير الآن، هل يسمح مولاي ان يرسل لي الطبيب من ماردا او طبيباً حكيماً آخر. ليفحص حمى الصبي ويضمده؟)).

كان لبعض الاطباء شهرة واسعة بوصفهم معالجين يشفون الامراض.

((اكلم بابا، هكذا يقول يسمح– عدّو ابنك، تكلمت الى بابا سابقاً عن الطبيب ميرانوم لقدومه الى هنا. الآن ريشيا في خطر الموت، مريض جداً. اذا شاء بابا ان يدع ميرانوم ان يصل بسرعة وينقذ حياة ريشيا لئلا يموت)).

تضيف شريعة حمورابي الى هذا الدليل وتبين ان الجراحة كانت تجرى باستعمال مبضع برونزي حتى على العيون.

((اذا اجرى الطبيب عملية لانسان بمبضع وانقذ حياة ذلك الانسان او اذا فتح مقلة عين انسان بمبضع وانقذ عين الانسان فإنه يتسلم عشرة شيقلات من الفضة. واذا جبّر طبيب عظم انسان مكسور او اشفى مفصلاً ملتوياً، فإنه يجب على المريض ان يدفع خمسة شيقلات من الفضة الى الطبيب)).

تقاليد الدفن:

لما كانت تيرقا المقام الرئيس داكان بوصفه رب قرابين الدفن، فإنها كانت مركز الشعائر التي تقام للاسلاف الموتى ولا سيما الملوك الراحلون. وكانت وجبة طعام شعائرية تسمى كيسبوم تقدم بانتظام للملوك الموتى، ربما في معبد داكان نفسه [13]. وقد وجدت كتابة شمشي– ادد الاول ملك بلاد آشور في تيرقا وتسجل مبنى بيت او مقام لاحتفالات كيسبوم بأنه ((معبد قرابين الطعام والشراب للموتى، بيت الصمت)) [14]. ولم يكن ذلك طقساً محدوداً.

وتروي رسالة من ماري كيف ان شمشي– ادد سافر الى تيرقا ليكون حاضراً بشخصه في احتفالات الكيسبوم.

عرف بالمصادفة بعض الشعائر المنطوقة ذات الصلة بهذا الاحتفال من لوح ربما جاء من سبار، وهو متأخر عن حكم زمري– ليم اربعة اجيال حين حكم امّي– صدوقا بابل (١٧٠٢– ١٧٨٢ق.م.) [15]. وهو يروي ابتهال ملوك ماضين وسلالات حاكمة معاصرة كان يتلى بمناسبة قرابين الدفن الملكية. وكان جميع ملوك السلالة الامورية التي ينتمي اليها حمورابي و امّي– صدوقا يدعون باسمائهم رجوعاً الى الماضي السحيق. ويواصل النص:

((سلالة الاموريين وسلالة الحانيين وسلالة كوثيوم، وأي سلالة اخرى غير مسجلة على هذا اللوح، وأي جندي سقط في اثناء خدمة مولاه، والامراء والاميرات، وجميع الجنس البشري من الشرق الى الغرب الذين ليس لهم احد يمونهم ويرعاهم (بقرابين الدفن). هيا تعالوا، كلوا هذا، واشربوا هذا، وباركوا امّي– صادوقا ابن امّي– ديتانا، ملك بابل!)).

كان كل ملك، بطبيعة الحال، عنده نسخته الخاصة من هذا الدعاء الذي يسمي اسلافه كلاً على انفراد ويدعو ارواح الموتى ان تبارك حكمه.

كانت شعيرة كيسبوم حدثاً مألوفاً تقام عادة في بداية كل شهر ومنتصفه، وليس في يوم محدد دائماً، وقد يستدعي داكَان الملك الى هذه الشعيرة بوساطة نبي ملهم او كاهن وسيط للوحي.

وقد اخبر كيبري- داكَان حاكم تيرقا عن مثل هذهِ المناسبة: ((لقد جاء ملهم من داكَان وكلمني بما يأتي: ارسلني الاله. اسرع واكتب الى الملك لكي يقدم كيسبوم الى روح يحدون- ليم [16]. هذا ما قاله لي الملهم، فارسلت (الخبر) الى مولاي. عسى مولاي ان يعمل ما يراه مناسباً)).

اننا نعرف بفضل كثير من الالواح من ماري بالضبط ما هو الطعام والشراب الذي كان يقدم الى الملوك الموتى والى الهة العالم الاسفل ماليكو:

((٢٠ لتراً من خبز- كوم، ٥ لترات من خبز حامض، ١٤ لتراً من الكعك، ١٠ لترات من شيبكوم، لتران من الزيت، لكيسبوم الملوك، ٣ لترات من خبز- كوم، لتران من الكعك، ١٥ شيقلاً م الزيت لالهة العالم الاسفل)). وقد تتضمن تلك القائمة احياناً بيرة ألايَانوم وعسلاً ايضاً.

كان الطعام يقدم من مطابخ القصر في ماري، ولهذا السبب وجدت السجلات هناك. ولعل الطعام لم يكن يؤخذ دائماً كل ذلك الطريق الى تيرقا ولكن قرابين كيسبوم كانت تقدم ايضاً في ماري، ربما في القصر او على قبور الملوك الموتى، على الرغم من اننا لا نعرف اين كانت تقع تلك القبور. وفضلاً عن ذلك فإن قربان كيسبوم يمكن ان يقدم في اي وقت اذا ما ظن ان روحاً حقوداً غير هادئة هي السبب في المرض أو أي مشكلة اخرى.

كان الناس جميعاً وليس الملوك وحدهم يقدمون هذا النوع من القرابين الى الوالدين الميتين لأن الارواح غير الهادئة أو الحقود هي التي لم تتلق مثل هذهِ القرابين. ولكي يضمن الناس السلام في القبور، فانهم كانوا احياناً يتبنون اطفالاً حتى ولو كان لديهم بعض الاطفال من صلبهم لكي يقوم الاطفال المتبنون برعايتهم في شيخوختهم مقابل كفالتهم أو ربما وراثتهم، ويكونون مجبرين بعقد شرعي ان يقدموا عنهم قرابين الدفن.

ان شعيرة كيسبوم هذهِ، للملوك والعامة تعطينا اوضح دليل على تقاليد الدفن والغرض منها في هذهِ الحقبة: اذ يجب تزويد الموتى بانتظام بالطعام والشراب لانهم يمتلكون القوة لايذاء الاحياء ولا سيما الملك وسلالته اذا ما نالهم ضيم باهمالهم.

ولم تكشف اي قبور من هذهِ الحقبة في ماري او في كارانا. ولكن ثمة دليل وجيه من اور في جنوبي بلاد الرافدين يبين ان الموتى كانوا يوضعون في مدافن عائلية تحت ارض البيوت الخاصة. وكانت الجثة تسجى بوضع النوم وغالباً ما كانت توضع وسادة تحت الرأس وكأس او وعاء عند الرأس دائماً، ولكن قليل جداً من حاجات القبر الاخرى. وخارج المدفن الذي يبنى بالطابوق، وجدت مجموعة من الاواني التي يفترض انها الحاويات التي توضع فيها قرابين الكيسبوم. لذلك كان الميت يرقد مع اسلافه (الذين تراكم عظامهم من غير احتفال في كومة لايجاد مكان للقادم الجديد وكان من السهل على العائلة التي تعيش فوق المدفن ان تقدم القرابين بانتظام. وليس ثمة سبب وجيه لربط الكيسبوم التي يقدمها الناس الاعتياديون بعبادة داكَان او معبده.

ومن خصائص الآثار في بلاد الرافدين، في كل حقبة وكل منطقة تقريباً عدم وجود مقابر عامة او مدافن واسعة. ولم يستثمر الدخل القومي او العائلي في اضرحة تذكارية ضخمة ولا في ترتيبات مستودع جثث حرفي.وظل الموت على نحو واسع مسألة خاصة وعائلية كان فيها تحلل الجثث واكسبتها امراً مسلماً به، فقد بقي كلكامش مع جثة صديقه انكيدو ((حتى سقطت دودة من انفه))، وحين وجد الراحة لدى صاحبة الحانة، نصحته ان يفيد الى ابعد حدود الافادة من حياته البشرية لان الخلود هو مصير الالهة فقط. وعلى الرغم من ذلك فإن للموتى قوة ايقاع الفوضى في حياة الناس اذا لم يسجوا بوضع مناسب ليرتاحوا لان الاعتقاد بالاشباح والارواح الشريرة يتميز عن الاعتقاد بالخلود الالهي. يقدم لوحان من ماري مقداراً صغيراً من المعلومات عن حاجات القبر.

((لتر واحد من زيت القدر، لتر واحد من زيت الارز، لقبر المرأة اهاتاني، عروس (؟) موت بيسير)).

كان موت بيسير يعرف بانه آمر جيش خدم تحت شمشي- ادد واستطاع ان يحتفظ بمنصبه تحت زمري- ليم النص الآخر يورد قائمة بلباس رأس او تاج يزن نصف شيقل، قيد ذراع او سوارمن الفضة يزن شيقلاً واحداً ((لقبر يحدون ليم، ابن الملك)).

سجلات الطعام لشعيرة كيسبوم لا تذكر قط داكَان او تيرقا بالاسم ولكنها تسمح بالطعام والشراب ليس ((كيسبوم الملوك)) فقط بل ((لماليكو)) ايضاً، آلهة العالم الاسفل الجهنمية التي لا نعرف عنها الا القليل جداً. ويسمى داكَان ((رب قرابين الجثث)) [١٧] في احدى الرسائل. وفي رسالة اخرى رتب رجل ((ان يعطي جثة (بشرية) الى داكَان)).

لذلك من المحتمل ان يكون للاضحية البشرية دور في عبادة داكَان في تيرقا، وان الماليكوم في ماري يتصلون بطريقة ما بمولوك او ميلكوم إله الامونيين البغيض. ولكن الدليل ما يزال ضئيلاً جداً وعرضة لسوء التفسير.

كانت توجد عدة مناسبات اخرى يقدم فيها الطعام. كانت احداها اداء ((يمين الاله)) حيث يشمل الملك ايضاً. ويدرج نصّ غريب اكثر من اربعين رجلاً يقيمون دعوى:

((انهم يقيمون دعوى بحق المطالبة بحقل يعود الى القصر قائلين: ((انه حقلنا الخاص بنا!)) اجتمعت مدينة ساكَاراتوم واصدر زمري- ليم حكماً في بيت- حانات و ((جمع؟)) مدينة ساكَاراتوم من اجل طقس ((يمين الاله،... بحضورنا اكلوا طعام- الاسّاكوم المقدم الى (الاله) ايتور- مير، و (الالاهة) حانات و (الملك) زمري- ليم)).

كان القصد من طقس اليمين، كما يبين النص إلزام متقاضين بقرار حاسم. اكلوا الطعام الذي يفترض انه ((ينقلب ضدهم)) اذا نكثوا العهد بقبول الحكم.

كلمه اسّاكوم التي تترجم عادة بـ ((حرام)) تشمل مفهوماً مهماً في المعتقد في بلاد الرافدين. وربما يوجد اثر باق منه في تقليد عربي اسلامي حيث يقبل الضيف طعاماً من مضيفة يتضمن لعنة مشروطة [١٨]. وتكون هذه اللعنة فعالة اذا ما انتهك الضيف صلة الضيافة الحسنة بعد أكل الطعام. كان طعام اسّاكوم الوسيلة التي يؤكد فيها القسم الذي يجري اداؤه في ماري. ويلمح احد النصوص ان هذا الطعام كان يتالف من ((نباتات)) مما يدل على ان خبز وكعك ((يمين الالهة)) في النص المقتبس آنفاً لم يكونا طعام- اسّاكوم بل يصاحبانه. قائمة من ماري تذكر

الطعام الذي يجهز للطقس مع حذف طعام- اسّاكوم من ((النباتات)).

((٨ لترات خبز - كوم، ٣ لترات خبز حـــامض، ٤ لترات كعك، ٧ لترات شيبكوم، ٥ لترات طحين- ساسقوم لــ ((يمين الالهة)).

هذا مثال عالى ممارسة معتقدات مترابطة كانت بلا شك واســعة الانتشـــار، ولكن النصوص نادراً ما تلمح اليها واذا ما فعلت فإنها تذكرها بأوجز طريقة.

يمين الالهة:

كان طقس ((يمين الالهة)) يستعمل لمعاهدات الصداقة والتحـــالف بين دولتين او بلدين[١٩]. ولانواع اخرى كثيرة من الاتفاقات والنزاعات، الكبيرة والصغيرة.

((اكلم ايلتاني، هكذا يقول نابسونا- عدّو عســـى شــم ومردوخ ان يمنحاك عمراً مديداً، بخصوص الثوب العائد الى خادم الحاكم الذي اعطي (من غير قصد؟) الى عامل نسيجه: وقد اقســم الرجال يمين الالهة هنا. اصدري الأمر بأن يعيدوا ثوب الخادم)).

واذا رفض متنازعان اداء اليمين او انهما لا يمكن الوثوق بـــانهما يتبـــعان الاجراء الصحـــيح فإن موظفين معروفين للمناسبـــــة بـــــ ((موشـــازكيروم)) (مفوضي إداء الأيمان) يرســـلون لتنفيذ اداء اليمين. ونعرف نصوص الجنوب ان قـــطعة من ممتلكات الاله اســـتؤجرت من معبد لتكون حاضرة في الطقس كأنها تمثل الاله[٢٠].

وكان الطقس يستعمل الى حـــد ما للكشـــف عن الكذب او اثبـــات البراءة:

((جعلوهم يقســـمون ((يمين الالهة))، وخرجوا ســـالمين))، هكذا تقول احدى الرسائل: مبينة انها محاكمة بالتعذيب تقوم الالهة المســـؤولة عن العدالة على الارض بمعاقبـــة المخطئين. ويوجد الشـــيء نفســـه بخصوص العدالة في المحاكمة بـــالنهر التي ترد كما يرد ((يمين الالهة)) في شريعة حمورابي وسيلة لتسوية الدعاوى بـــعدالة. كانت الانهار تعد الى حـــد ما إلهية، فإذا القـــي الانســـان في النهر، فإن إله النهر يؤكد ان المجرم يغرق وان البريء يخرج سالماً.

((الآن سأخذ هذين الرجلين الى إله النهر وان متهميهما محجوزان هنا في السجن. ليأخذهما احـــد خدمك الموثوق بـــهم الى إله النهر. واذا خرجا سالمين فإني سأحرق متهميهما بـــالنار. واذا مات الرجلان، فإني سوف اعطي بيتهما ومتعلقاتهما الى متهميهما)).

ولم يعط إله النهر نتيجة واضحـــة دائماً. ثمة نص صعب يســـجل نزاعاً على ملكية مدينة حدودية. تقرر فيه ان يحال رجل وثلاث نساء الى المحاكمة بالنهر. بقي الثلاثة الاوائل على قيد الحـــياة ولكن المرأة الثالثة غرقت[٢١]. وفي نص مشابه احيل اربعة قرويين الى المحاكمة بالقفز الى النهر قابضين على حفنة تراب من القـــرية، ومعلنين وهم يقـــفزون الى النهر: ((تلك القرية قريتي! وزعت في حصة قبل مدة طويلة ولم تعط الى فلان الفلاني!)).

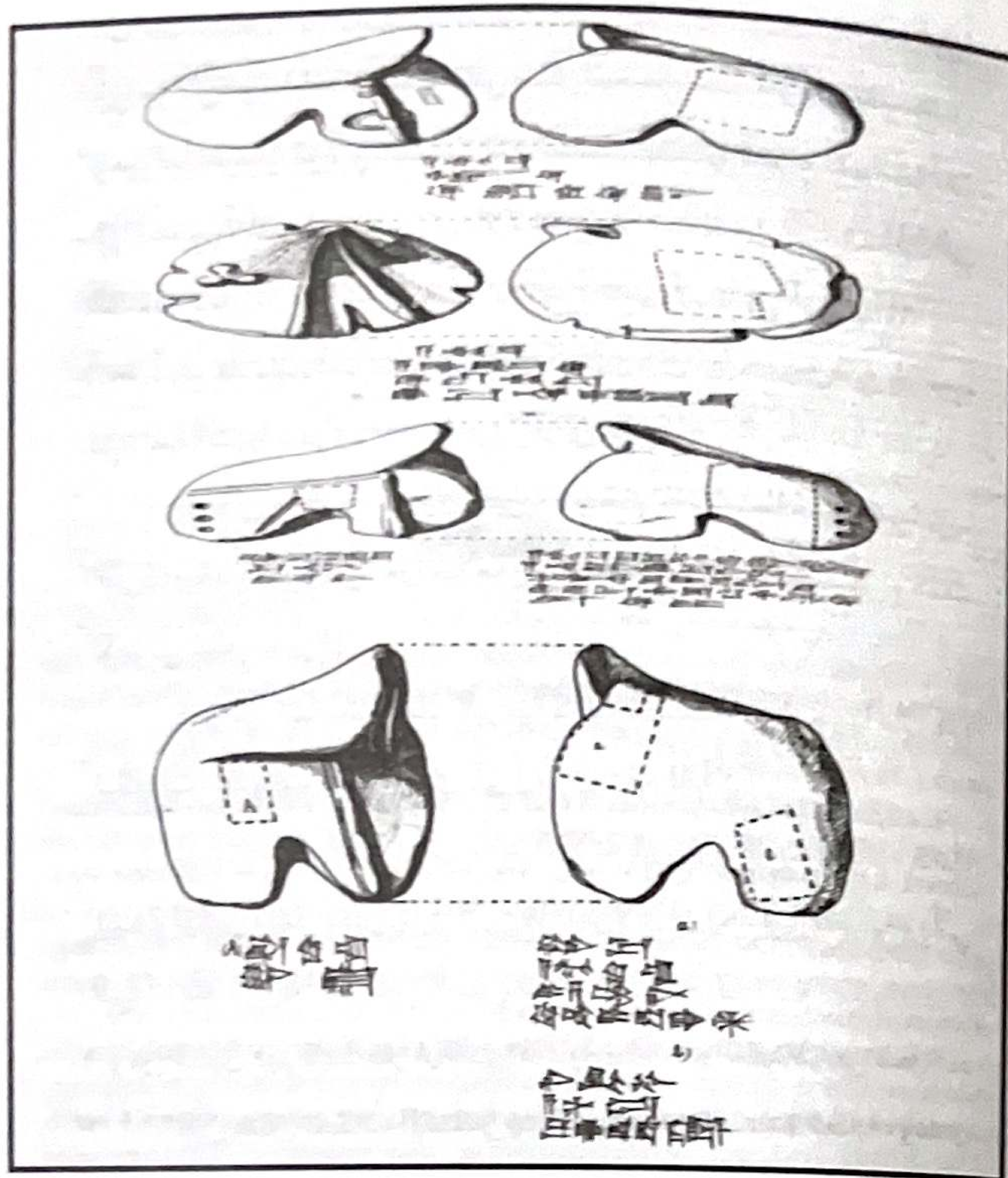
وكان من المحتمل وجود امور اخرى غير السباحة وحـــدها، غير اننا لا نعرف بالضبط ماذا يحدث سوى ان مسافة معينة كانت تحـــدد لكل شخص على وفق ما جاء في تلك الرسالة. وفي ايران المجاورة، ربما في الحقبة نفسها وصفت تفصيلات المحاكمة بـــالنهر في نص سنســـكريتي:

يغطس المتهم في الماء بمسك فخذي رجل يقف منتصباً في الماء. ولما ينزل للاسفل يقول: ((احفظني بالصدق يا فارونا))، وفي تلك اللحظة يطلق رامي سهام ويركض راكض لجلبه. واذا كان المتهم حياً عند عودة الراكض بالسهم، فإنه يكون بريئاً واذا غرق فإنه مجرم[٣٢].

التكهن والتنبؤ:

لم تكن الالهة قادرة فقط على تمييز الآثم او ربط الناس بعهودهم، بل كانوا ايضاً يقدمون دلائل عن احداث قادمة. وكان الناس يعتقدون ان الالهة تعرف المستقبل وانها تكشف الخطر المحتمل الذي يهدد الناس بطرق خاصة. ومن اوسع الوسائل في التكهن هي التكهن (عن البشير والنذير) بالكبد حيث يذبح حيوان ويفحص كبده ورئتيه كاهن متخصص ((الباروم))، الذي يسأل اسئلة خاصة مثل: ((هل الوقت مناسب للملك ان يسير بجيشه الى مكان معين؟)) ويأتي الجواب من تفسير علامات شخصية أو الهيئة الكلية للكبد والرئتين. عندئذ يستطيع الانسان ان يجتنب الخطر وجدت بعض نماذج من الصلصال للكبد في التنقيبات في ماري. وقد كتبت التفسيرات عليها لتسجيل كيف ظهر الكبد وما هي دلالة المغزى في تلك المناسبة. ((تكهن عن عرش كيش. سيحدث تقويض في وجه الجيش، وسوف يهزم جيش اشمه داكان)). توجد اشارات كثيرة مباشرة الى هذا النوع من اخذ الخيرة في رسائل ماري:

((اكلم يسمح- عدو. هكذا يقول خادمك اسقودوم.لما وصلت تيرقا، وصل ايضاً تاريم- شاكيم، وسألته: هل اخذ زونان[٣٣] الخيرة من اجل سلامة البلاد والحصن ايضاً؟، فاجابني قائلاً: لم يفعل، لذا فإنني



صورة (٤٢): رسوم اكباد نموذجية من الصلصال

بمناسبة احصاء السكان في هذا الشهر رجعت الى ساكَار توم معه واخذت الخيرة وكانت نتائج الخبرة انها ستكون سالمة. ثم اخذتها مباشرة ايضاً من اجل... تيرقا وسوبروم وماري وانني الآن اكتب تقريراً كاملاً وفوراً الى مولاي. ولما اخذت الخيرة في ساكَراتوم من اجل القربان الشهري ومن اجل قربان مولاي، نظرت الى الكبد ورأيت ان الجزء الايسر من ((الاصبع)) كان منفصلاً، وان ((الاصبع الاوسط)) من الرئتين كان الى الجانب الايمن، وهذا تكوين مبشر بالنجاح عسى ان يبتهج مولاي!)).

ويوجد دليل آخر على ان نتائج التكهن كان لها حد زمني خاص، في رسالة كتبها كيبري- داكَان الى زمري- ليم.

((داكَان وايكروب- ايل بخير. مدينة تيرقا والمنطقة بخير. والآن، امرت بأخذ الخيرة من اجل سلامة المنطقة حتى نهاية الشهر وكانت تكهناتي تبشر بخير)).

كثير من نشاطات الملك اليومية كانت تحددها او توجهها مثل هذه التكهنات، فقد كتب ادد- دوري الى زمري- ليم قائلاً:

((بمناسبة قرابين عرش معبد الالاهة انونيتوم قدمت قرباناً وكانت نتيجة التكهن تبشر بخير... والآن، هل لمولاي ان يحمي نفسه ويأتي اليَّ.

ومن السهل فهم كيف يعرف مدى فاعلية مثل هذه التكهنات في الحرب، حين يمكن اجتناب الاندحار بأخذ تكهنات شديدة العناية، ومدى اهمية كاهن التكهنات الذي يسير مع الملك وجيشه. وفي الحقيقة كان عقبة- حمّو حاكم كارانا كاهن تكهنات محترفاً ثم اصبح ملكاً.

ولا ريب ان مهاراته الخاصة ساعدته في الاستيلاء على السلطة في اللحظة الصحيحة المواتية. ولكن رسائله الى زوجته ايلتاني لا تبين اي اعتماد على التكهنات مما يدعو الى الاستغراب.

طريقة اخرى يمكن ان ينبه او ينصح الاله بشأن المستقبل وذلك بتفوه اقوال تنبؤية. ويبدو من الادلة المتناثرة ان كل معبد رئيس كان فيه شخص او اكثر، رجالاً ونساءً، ملتحقين به، واجبهم ((الاجابة)) عن الالهة، وهو الشخص الذي يتكلم الاله من خلاله. ويبدو انه يوجدون حول ماري وغربي ماري فقط، وهم لا يوجدون في جنوبي بلاد الرافدين او في كارانا، على قدر ما تبين ادلتنا. ويمكن مشاهدة كيف كانوا يعملون بالضبط في رسالة ناقصة من ماري:

((في اثناء اخذ التكهن تكلم ادد: ألست أنا أدد الرب إله مدينة كالاسو الذي وضعه في حضني ثم اعدته على عرش بيت ابيه؟ لما اعدته على عرش بيت ابيه، ذهبت ابعد من ذلك واعطيته مكاناً ليعيش فيه. والآن، ما دمت قد ارجعته الى عرش بيت ابيه، فيجب ان اتسلم بعض الممتلكات منه. واذا لم يعطها، فبما اني رب العرش والاقليم، فسوف استرجع ما اعطيت. واذا لم يكن الامر كذلك واذا اعطي ما اريد، فسوف اعطيه عرشاًعلى عرش، بيتاً على بيت، اقليماً على اقليم، مدينة على مدينة، وسوف اعطيه البلاد من طرف الى طرف آخر)). هذا ما قاله ((المجيبون))، وظلوا واقفين هناك في اثناء اخذ التكهن: والآن انت ترى مجيب ادد، الرب إله كالاسو، يحمي ارض دراسة البيدرفي اللهتوم كأنها ملكه، وعسى مولاي ان يعلم ذلك! في السابق عندما كنت ماكثاً في ماري اعتدت ان اخبر مولاي بكل شيء يقوله لي ((المجيبون والمجيبات)). والآن بما اني امكث في بلد آخر، ألا أكتب لمولاي كل ما اسمع وكل ما

يقولون لي؟ واذا حدث في المستقبل ما يستدعي اللوم، فهل لمولاي ان لا يقول لي: لماذا لم تكتب لي الكلمة التي قالها لك المجيبون، وان يقول لي انه كان يحمي ارض تراسة بيترك!)).

الالهة الاخرى التي تعرف بأن لها ((مجيباً)) في مقامها هي اند في حلب وداكان في توتول والالاهة دريتوم، راعية مدينة دير التي لعلها كانت تقع على بعد ١٥ كم جنوبي النهر من ماري. ولما نقلت شبتو الى زمري ليم كلام ((مجيب)) دريتوم، اشارت الى ان ذلك حدث عند باب القصر، مما يبين ان ((المجيبين)) لم يعملوا داخل المعابد فقط في احتفالات اجراء التكهنات.

وكان يوجد اناس آخرون يدعون بأنهم قنوات للكلام الالهي من خلال غشياتهم (غيبوباتهم) او احلامهم. وكان معبد الاله الذي نحن بصدده هو مكان تجربتهم، وبما انهم لم يكونوا عادة من هيئة المعبد فانه يُعقد اختبارٌ احياناً لتأكيد صحة موثوقيتهم.

اولاً، كانت هناك غشية الوجد. وهذه تجربة يمكن ان تحدث اما لمتلقٍ مألوف لكلمة الاله، او مواطن اعتيادي بوصفه حادثة فريدة. وقد يكون المتواجد ذكراً او انثى، موهوم، موهوتوم.

وعلى وفق موقفه او موقفها، او اهمية الرسالة الكامنة، فإن قطعة من شعر المتواجد وجزءاً من حاشية او حافة ذيل ثوبه يمكن ان يختم ويرسل الى الملك لاختبار يؤكد صحة ذلك[٢٤]. وقد يجري الملك نفسه طقس اجراء التكهن ليكتشف ان كانت التجربة ((صادقة)).

ثانياً، كانت هناك احلام تحدث عادة في معبد الاله[٢٥]، فقد يجري بعض الناس ممارسة الذهاب الى النوم في مقام من المقامات خصيصاً للحصول على حلم من الاله. وكانت الاحلام يجري التحقق عادة من صحتها باختبار الشعر وحاشية الثوب مثلما يحصل لاقوال المتواجد.

ويعتمد ذلك على شخصية الحالم. فقد وصفت احدى الرسائل الحلم الذي رآه رجل في معبد داكان في ترقا. تكلم داكان في الحلم قائلاً انه يسلم ملوك اليامنيين الى سلطة زمري- ليم.

((الرجل الذي اخبرني بهذا الحلم سيقدم جثة (حيوان) الى داكان، ولذلك لم ارسله (اليك)، ولان ذلك الرجل موثوق به لم آخذ شيئاً من شعره وحاشية ثوبه ايضاً)).

كانت حاشية الثوب او حافته علامة تمثل الشخص كله في مناسبات اخرى. وكانت الوثائق الشرعية ((تختم)) اما بختم الشخص الاسطواني الخاص به، او ان لم يكن يملك ختماً، تختم بقطعة من حاشية ثوبه، بطبعها على طين رطب. وتسجل ملاحظة في نهاية النص، ((طبعة)) حاشية ثوب فلان الفلاني، ((طبعة)) ختم فلان الفلاني االاسطواني)). وقد عُبّر في احدى الرسائل عن حلف او صداقة عسكرية بين حاكمين بعبارة ((ربط حاشية ثوبة بحاشية ثوب حليف)).

وكانت طريقة لاثبات صحة الحلم بواسطة طيران الطيور (او الخفافيش). وقد تجادلت امرأتان بشأن ادعائهما بمنصب الكهنوت، وادعت احداهما انها حلمت حلماً:

((قالت المرأة من شيهروم الى المرأة من ماري: ((ارجعي لي منصب كهنوتي! فاما ان تبقي انت واما ان ابقى!)) واستدعي موظف ليقضي بينهما، فكتب: ((حققت في ادعائها بواسطة الطيور، و (كانت النتيجة) هي انها حقاً رأت الحلم، والآن ارسل شعرها وحاشية ثوبها لكي يحسم مولاي مسألة ادعائها)).

يبين هذا النص ان الكهانة (بزجر الطير) كانت تستعمل لاثبات حدوث الحلم، وكان الشعر وحاشية الثوب يُستعملان لاكتشاف ان كان

محتوى الحلم رسالة صادقة من الالهة. ان بعض الاحلام واقـوال الوجد المنقولة خفية المعنى ويصعب علينا فهمها. ولسـنا وحـدنا في هذا، ففي احدى الرسائل يسأل احد ناقلي الاحلام عن رأي كاهن- بـاروم ليفسـر الرسالة. وغيرها تحذيرات واضحة:

((ليست صداقة حاكم اشنونا شيئاً سـوى الغدر! ماء يجري (غير منظور) تحت التبن. ولكني سوف اصيده في شبـكة... وسـوف ادمر مدينته!)) تلك هي كلمات الاله داكَان الى زمري- ليم. وتصف رسالة من ادد- دوري الى زمري ليم سلسـلة من التجارب المنذرة بالاحـتمالات، بادئة بحلمها:

((في حلمي، دخلت معبد الالاهة بيليت- ايكاليم، ولكن بـيليت- ايكاليم لم تكن موجودة ولا التماثيل التي تنتصب امامها.

ولما رأيت ذلك ظللت ابكي. حدث ذلك الحكم في اثناء الجزء الاول من الليل. ثم رأيت حلماً آخر، وقف فيه دادا، كاهن الالاهة عشتار بيشرا، لدى باب معبد بيليت ايكاليم وكان صوته غريبـاً، وظل ينادي: ((داكَان، ارجع، داكَان، ارجع، وفضلاً عن ذلك، نهضت امرأة متواجدة في معبـد انونيتوم وقالت:

((زمري- ليم، لا تخرج بالحملة! ابق في ماري)).

وعلى الرغم من ان غشـية المتواجدة اكدت حـلمي ادد- دوري الاثنين، فانها يجب ان تخضع لاختبار الشـعر وحاشـية الثوب، وكانت ادو- دوري نفسها هي التي ارسلت الشعر وحاشـية الثوب الى زمري- ليم لعلها كانت تأمل ان تقدم اعتباراً يبعث الثقـة بنحـو غير مباشـر في حلمها.

ولما ذكرت ادد- دوري ان في حـلمها اختفت التماثيل التي كانت امام الالهة، لعلها كانت تشير الى التماثيل الصغيرة التي حجمها اقـل من الحجم الطبيعي عادة، وقد وضعت في شكل رسوم وتصاوير شـخصية لافراد على مصاطب على مرآى التمثال الالهي [٢٦]. كان الغـرض مـن ذلك تذكير الإله بطاعة العابد في اوقات لا يسـتطيع العابـد الحـضور بشخصه. وقد أمر زمري- ليم بصنع تمثال له وارسله الى حلب لينصب امام ادد إله حلب.

استعمل نحو ١٤ كغم من النحـاس الذي جاء من معبـد داكَان في تيرقا، وطلي بـ ٣٥٠ غم من الفضة. وكانت المناسبـة التي نصب فيها التمثال الملكي لا تنسى بحيث سميت تلك السنة بها:

((السـنة التي اهدى فيها زمري- ليم تمثاله الى ادد في حـلب)).

وفضلاً عن الالهة المسماة في مقـامات المدن، كان اهل بـلاد الرافدين يعتقدون ان كل شـخص كان له إله او إلاهة شـخصية لا اسـم لهم وهم يشبهون الملائكة الحارسة. وكان ذلك يفعل خيراً اذا تصرف الشـخص تصرفاً لائقاً، ويفعل شـراً اذا ما اغاظ الشـخص او اهمل إلهه وإلاهته، لانهم ينصرفون عنه بحيث يكون الشر قادراً على اصابـته قـادراً على اصابته. وحين كتبت امرأة تسمى زيباتوم الى اخيها ابـايا تحـضه على النصر في المعركة جلبت فكرة الاله الشخصي الى المقدمة:

((عسى داكَان والهك الذي يقف الى جانبك ان يساعداك. اسـتولِ على المدينة وفز بالنصر وكن شهيداً!)).

قرابين ومهرجانات:

كانت القرابين تقدم بعدة طرق، منها وجبات طعام الاله اليومية، وجبة طعام الصباح ووجبة طعام المساء، في سياق رتيب. وكانت قرابين تقدم مع طلب معين.

((لأن قدمي الاضاحي لحماية القصر وقفي بين يدي الاله!)) هذا ما كتب زمري ليم الى ادد- دوري مما يدل على اهمية ان يرى الاله الشخص بنفسه، وليس محض ترتيب للقرابين. ولهذا السبب كان على الملك نفسه ان يشارك شخصياً في كثير من قرابين المهرجانات، التي يوجد انواع مختلفة منها. فهناك مهرجان- إسّيسوم الشهري.

((سوف اصل هناك في الوقت المحدد لحضور مهرجان اسيسوم))هذا ما كتب عقبة- حمّو الى ايلتاني. وكتب اليها ايضاً يقول:

((في يوم الخامس عشر من شهر نبروم سوف اقيم مهرجان الايلونّوم. فاستعدي)).

بعض اسماء الاشهر مشابهة لاسماء المهرجانت السنوية، مثل مهرجان كانون، كينونوم.

وكانت تماثيل الالهة تترك مقاماتها احياناً، وتنقل بالسفن لتزور إلهاً في مدينة اخرى. فقد نقل كيبري- داكَان تقريراً: ((وصل الالهان لاكَاما واشودوم الى تيرقا من ماري)).

موظف رفيع اسمه لاؤم، لعل مقره في توتول، كتب الى يسمح- عدّو قائلاً ان سفن داكَان قد وصلت، ولكنه اجل رحلتها القادمة لان ((السماء فتحت وامطرت بلا انقطاع)).

وكان يوجد نوع من طقس التطهير للملك، يزوده موكانيشوم من

مشاغله بمختلف الثياب، واربعة من الخفاف (الاحذية) وآلتين موسيقيتين، اما طبلين او قيثارتين، لعزف المراثي عليهما.

مناسبة اخرى، قرابين عشتار، لعلها كانت اهم حدث في السنة في ماري. كانت تتخذ شكل حفلة في حديقة حيث يزودها مطابخ القصر بالاطعمة والاشربة:

((٤٢٠ لتراً من جعة الابانوم، وجبة طعام الملك والرجال بمناسبة القرابين الى عشتار، في حديقة الملك)).

وقد اتضح ان هذا الطقس هو الطقس المعروض في صورة جدارية وجدت على جدار البلاط رقم ١٠٦، عند الباب الرئيس المؤدي الى بهو العرش، ٦٤ والمكان هو حديقة ذات اشجار وطيور، ويرى الملك في وسط صورة مؤطرة يتلقى شارة منصب الملكية من إلاهة تدوس قدمها اليمنى على اسد يعرف انه حيوان عشتار. ويحضر في المشهد آلهة اقل شأناً وهم يتشفعون. وفي القسم الاسفل، محصورتين في مستطيل، إلاهتان تحملان وعائين يفيضان بالماء يحوي هذان التياران المتفرعان اسماكاً ويتفرع منهما فرعان ينبعان من الوعائين. واذا كانت هاتان المادتان المنفصلتان، الرسم الجداري الملون لتنصيب الملك، والدليل النصي على ((القرابين الى عشتار)) في القصر الملكي، متصلتين حقاً، فإننا قد نمتلك نسخة من مهرجان السنة الجديدة في الفرات الاوسط. انها تحتوي على تجديد منصب الملكية السنوي هبة من الالهة، وكان يعرف ان ذلك يحدث في حديقة. مهرجان- اكيتوم، لعله ليس مهرجان رأس السنة على وجه الخصوص، كان يحتفل به الآشوريون تحت شمشي- ادد (ولعله في آشور وليس في ماري). ويعرف ذلك من رسالة الملك الآشوري الى ابنه يسمح- عدّو قائلاً:

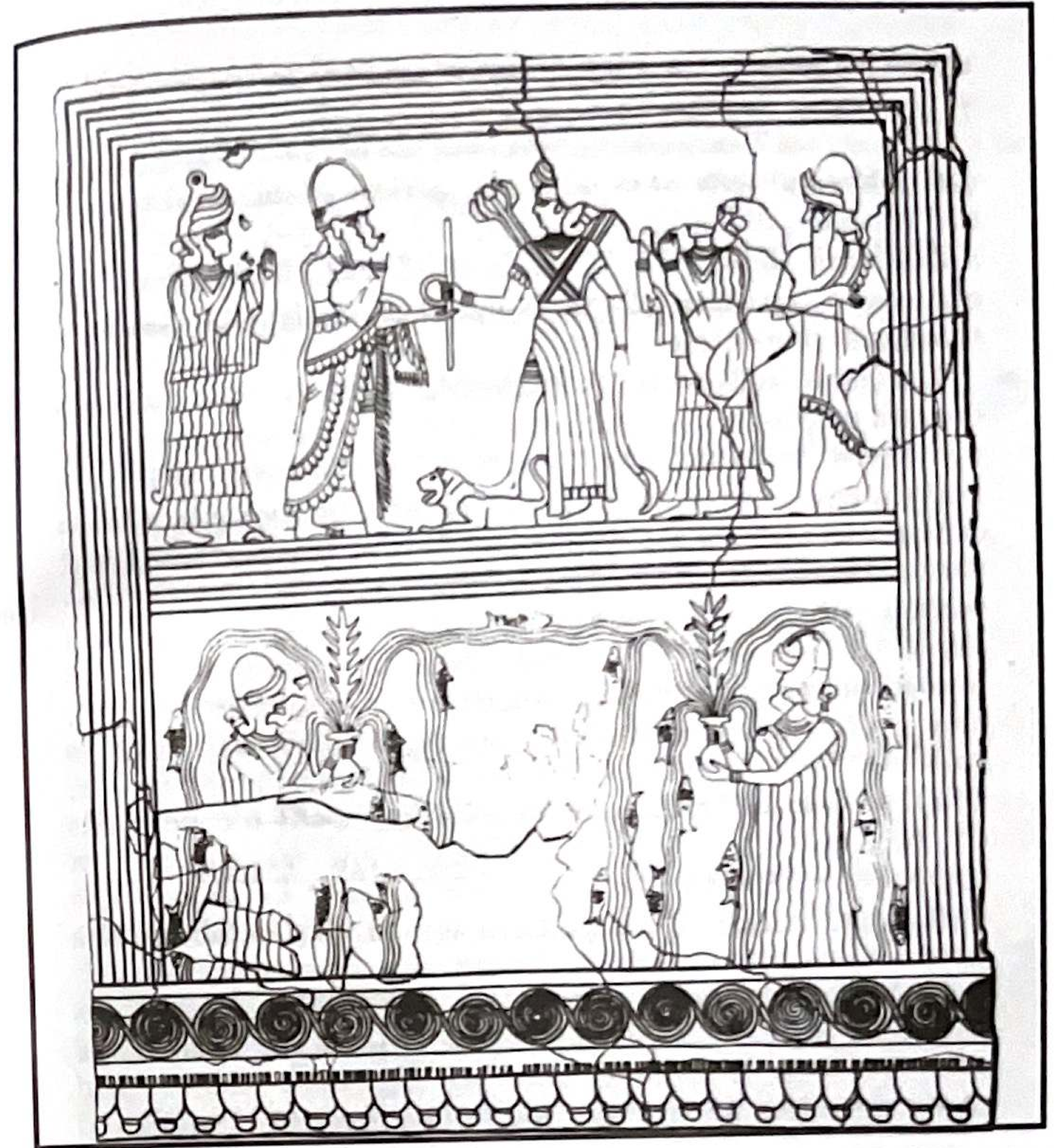
((هذا شهر اذار، وحين ياتي اليوم السادس عشر، فسيقام مهرجان اكيتوم. وسيمكث بعض الرسل من اشنونا. فاجعل فرق بغالك وخيلك تساق اليّ لمهرجان اكيتوم. واجعل العربات والمعدات تجدد)).

وكان مهرجان السنة الجديدة في عصور لاحقة يحتوي على عناصر خاصة: اعادة تنصيب الملك، قسم اخلاص الحكام التابعين وكبار الموظفين، شعيرة في معبد خاص ذي حديقة بُني خارج اسوار المدينة. ويوجد دليل على ان زمري ليم استدعى كثيراً من ملوكه التابعين الى ((القرابين الى عشتار)). ولعل هذا سابقة لقسم االاخلاص السنوي المعروف في الالفية الاولى. واذا كان الامر كذلك، فإن ((القرابين الى عشتار)) ستكون المكافئ في ماري لمهرجان السنة الجديدة في آشور بعد الف سنة.

نص الشعائر الوحيد المنشور حتى الآن من ماري جاء ايضاً من عبادة عشتار. ((عنوان)) اللوح مفقود، لذا فإننا لانعرف هل جاء من طقس كان يؤدى في ((قرابين عشتار))، ام حدث في مناسبة مختلفة. توضع وجبة طعام اما الالاهة ومختلف العمال- مخمِر الجعة، النجار، عامل الجلود، عمال النسيج، حرفيون متمرنون، وحلاقون متمرنون- كلهم يهدون مهاراتهم وادواتهم اليها. وتنشد اغاني الشعائر، ويؤدي البهلوانيون والمصارعون نشاطاتهم، وحين ينتهون، يأخذ الملك مجلسه. ويرش الماء ثلاث مرات في اقسام معينة من المقام، ثم تحمل كؤوس معدنية فيها ماء ((لتلبية احتياجات المتواجدين)). وعلى الرغم من ابهام هذهِ القطعة فإنها ترتبط بـ ((قرابين عشتار)) لتبين مدى اهمية عبادة تلك الالاهة في ماري، مع انها لم تكن الالاهة الراعية لتلك المدينة[٢٧].

في عصر تعدد الالهة كان لكل إله مقامه، وصفاته المميزة واسهامه في حياة الناس. وكان التقويم التعبدي مرناً بحيث كانت الواجبات والقيود

الجديدة الناجمة عن غزو تستوعب بسهولة الجدول الملكي. وكان للالهة الاجانب مكانهم ايضاً- فقد اضفي على الهة حوريين وسوريين احترام لا يقل عن الالهة الاكدية، ولم يكن فجر تلك الحقبة قد اطل حين جعل إله الأمة الغازية آلهة المغلوبين مذعنين له. وبقدر ما نستطيع معرفته من هذه النصوص ان الايديولوجيات التنافسية والمقصورة، اولاً الهيمنة الدينية ثم بعد ذلك التوحيد الالهي، لم تكن موجودة. كانت الالهة الكثيرة في زمن زمري- ليم تعيش معاً في تآلف، ولم يتأثر نفوذها ووضعها بالانتصارات والاندحارات المتكررة للمدن التي عاشت فيها.



صورة (٤٣): رسم جداري يمثل تقليد منصب، من ماري

ملاحظات الفصل

١- يعرف هذا من دليل غير مباشـــر فقـــط، ويظل غير مؤكد. انظر س.دالي ((صيغ تحيات بابلية قديمة)) في مجلة ((دراسات مسمارية)) ٢٥/ ١٩٧٣، ص ٧٩ وما بعدها.

٢- انظر ملاحة ٨ الفصل الخامس.

٣- لتمييزه عن المكان الآخر المدعو توتول القريب من هيت الحديثة، وكان اقل اهمية في هذه المدة، انظر جي. دوسان، ((مجلة الآشوريات)) ٦٨/ ١٩٧٤ ص ص ٣٣- ٣٤.

٤- انظر مثلاً كتابة سرجون وقد ترجمتها في IRSA ((كتابات ملكية ســومرية واكدية)) تأليف سولبركر و جَي- ار. كوبر، ١٩٧١.

٥- يفضل ج.ج.م. روبرتس في ((اقدم مجمع للالهة)) جون هوبــكنز ١٩٧٢، ص ٣٤ قراءتها بــ ((ايلابا)) ويفضل في IRSA قراءتها ((ابا)). ولتقوس الختم الحاني انظر IRSA ص ٢٥٠.

٦- د. اوتس، تقـــارير تمهيدية في Iraq/ ٣٢ ١٩٦٦/ ٢٨، ١٩٦٥، ٢٧/ ١٩٧٠.

٧- انظر دالــي فــي Biblilotheca Orientalis ٣٦/ ١٩٧٩ ص ص ٢٨٩- ٢٩٠. زايكيرو ناكاتا ((ملاحظة من ماري: ايكروب- ابل وقــضايا ذات صلة))، مقالة في Oreint x١ (طوكيو) ١٩٧٥، ص ص ١٢- ٢٤ بيّن ان آتور- مير هو انسان بطل، اصبح بطلاً بعد موته جزءاً من عبادة الاسلاف الموتى.

٨- أ. بارو، تقارير تمهيدية في syria ٢١/ ١٩٤٠، syria ٢٠/ ١٩٣٩.

٩- يقام هذا المهرجان مرة كل عام في اليوم السابع من الشهر التاســع المســمى ليلياتو.

١٠- انظر ايضاً الفصل التاسع، ص ص ١٨٢- ١٨٩.

١١- م. بويس، ((الزرادشتيون، معتقداتهم وممارســاتهم الدينية، لندن، ١٩٧٩، ص ص ٥- ٦.

١٢- عن هذهِ الترجمة انظر ك. ر. فينهوف، ((اشّوم شَمَش)) ((بــ شــمس!)) وصيغ مشابهة و ((مجلة دراسات مسمارية)) ٣٠/ ١٩٧٨.

١٣- قدمت ادلة وافية عن شعيرة ((كيسبوم)) في جميع الحقــب في ((الموت في بلاد الرافدين)) كوبنهاكن ١٩٨٠.

١٤- نص كامل قدمه كَريسون ((نقوش ملكية آشورية)) مُجلد (١) ص ٢٥.

١٥- فنكلشتاين، ((سلسلة نسب سلالة حمورابي)) ((مجلة دراسات مسمارية)) ٢٠/ ١٩٦٦، ودبليو جي لامبرت ((نظرة اخرى الى اسلاف حمورابي)) ((مجلة دراسات مسمارية)) ٢٢/ ١٩٦٩.

١٦- يحدون- ليم هذا قد يشــير اما الى ابــي زمري- ليم او الى ابــنه المتوفى صغيراً الذي حمل الاسم نفسه.

١٧- قد يعني هذا العنوان اما ((رب الجثث)) (اي إله العالم الاســفل) او ((رب الاضاحي البشرية)) او ((رب قرابين دفن الموتى)).

١٨- انظر: سي رودن ((كتاب طعام الشرق الاوسط)) بنكَوين، ١٩٧٠ ص ص ٣٣- ٣٤.

١٩- انظر الفصل ٧، ص ١٤٠.

٢٠- انظر ر. هاريس ((رحلة سلاح الهي في دراسات... لاندز بــيركر)) في نص آشــوري MVAG ٣٣ no ٢٥٢ رجال يؤدون القســم ويقبــضون خنجر آشــور. هناك مزيد من هذهِ الممارســة في CAD مجلد B ص ص ١٢٧- ١٢٨.

٢١- النص الكامل نشرة جَي لوتيرو ((محاكمة بالتعذيب في العراق القديم)) vol ٤ /x١بيزا ١٩٨١ ص ١٠٤١ مع نصوص مشابهة اخرى.

٢٢- م. بويس، الزرادشيتون، معتقداتهم وممارســاتهم الدينية، لندن ١٩٧٩ ص ص ٨- ٩.

٢٣- افتراضاً كان زونان كاهناً الهيا- باروم.

٢٤- انظر أ. فغينيه ((رموز الشعر، وحاشية الثوب والظفر في بلاد الرافدين)) حوليات دراسات الاديان، بروسل ١٩٦٩.

٢٥- وجد بأن كشتين- انّا مفسرة احلام في اسطورة ((حلم تموز وموته)). لعلها كانت إلاهة احــلام والهة راعية لكارانا، لوجود نص غريب ذكرت فيه كارانا في قائمة مدن قد يزورها المرء في احــلامه. وعلى الرغم من ذلك، نصوص كارانا صامتة بشأن موضوع الاحلام.

٢٦- انظر ف. اندريه ((آشــور تنهض من جديد)) ميونيخ ١٩٧٧، صورة ٨٥: اوضح اسر حــدون ((تمثالي يصورني ملكاً)) مبــتهلاً بــين يدي الاله ان يمنحني العافية)).

٢٧- تكاد لا تكون لدينا معلومات عن عبــادات كشــتين- انا او ادد في كارانا، ومعلومات قليلة جداً عن عبادات آتور-مير او شمش في ماري.

الفصل السابع
الحرب والدبلوماسية

الآلهة في الحرب:

عندما وحد حمورابي اغلب الاقسام الشمالية و الجنوبية من بلاد ما بين النهرين، مما ادى الى انهاء حكم زمري ليم، كانت البلاد تتألف من دويلات مدن صغيرة وكثيرة، تتنافس الواحدة منها مع الاخرى بالحرب، او تتعاون معها بالتجارة والاحلاف. وكانت الآلهة الرئيسة في العاصمة تتولى حماية دويلات المدن في ايام السلم وتقودها في زمن الحرب. وبهذا أعطيت الحروب مبررات دينية. كان الغزو اما اثماً يقترف بحق بلد بريء، غير مذنب، او جزءً دينياً ضد بلد آثم، ويتوقف ذلك على وجهة النظر.

ويكون الاله ظافراً في حرب مكللة بالفوز، وتنقل القوة المنتصرة الغنائم من اجل اغناء الاله وشعبه. وقد بسطت هذه المبادئ بجلاء شديد في رسائل من مدينتي ماري وكارنا. فتتكلم الآلهة، على لسان إمرأة في معبد انونيتوم في ماري، قائلة لزمري ليم:(أقسم يازمري ليم انك لن تهملني، وسوف احوم فوقك واجعل اعداءك في نطاق سلطانك)) وفي مدينة كارانا، كتبت المراة ازو- اينا من اشالا تطلب جارية أمة من غنائم حملة حديثة تكللت بالظفر بفضل العناية الالهية فقالت:

(كتبت لي قائلاً: ان الغنائم التي ساستولي عليها ستكون وفيرة وعندما اتمتع بها وتسمعين بذلك، اكتبي لي لكي اهدي لك جارية) هذا ما قلت لي. والآن، وقد تحدث الاله، فليس ثمة ما يمنعك، وان الغنائم التي بين يديك الآن وفيرة حقاً).

واذا ما اعتقد حاكم ان الاله غضب عليه وانقلب ضده دونما سبب وجيه، او ابدى له علائم السخط، فإنه يستطيع ان يكتب رسالة الى الاله في محاولة منه لأن يبرئ نفسه ويلقى اللوم على غيره. وقد وجدت في ماري كسرة من رسالة من هذا القبيل، كتبها يسمح- عدو وحاول ان يبين فيها (آثام) سلالة يحدون- ليم الحاكمة، لكي يثبت ان حكمه الخاص وحكم شمشي- ادد افضل من النظام السابق وانه جدير بالتأييد الالهي، بالرغم من اغتصابهما العرش [١].

المعاهدات:

يتوطد عقد حلف بين حاكمين باحتفال ديني. ويقسم كلا الطرفين (يمين الالهة) ويبديان فيه الاحترام لآلهة المدينة الاخرى [٢] ويصف ابيل- ايل كيف ذهب لعقد معاهدة بين الحانيين شبه البدو ودولة مدينة ايد امارز الشمالية:

(وصلت رسالة ايبل- عدَو من اشلاكا، فذهبت الى اشلاكا لكي اذبح جحشاً بين الحانيين واهل ايدامارز. وجلبوا لي جرواً وعنزاً، ولكن، احتراماً لسيدي، لم اسمح بجرو وعنزة، فأصررت على تضحية جحش ابن اتان، بذلك عقدت السلم بين الحانيين والايدامارزيين) وسجلت اتفاقية المعاهدة على لوح يحتوي على فقرات متنوعة يجب الاتفاق عليها مقدماً، ثم يختم عليها كلا الطرفين ما دامت عقداً قانونياً. ويحتفظ كل طرف بنسخة تتشابه فقراتها وتختلف مقدماتها ونعرف من دليل متاخر عن هذا بوقت قصير ان نسخة من نص الاتفاقية تودع لدى معبد في كل بلد. وتخبرنا رسالة من ماري عن مصاعب الاتفاق على الفقرات جميعاً. فقد كتب شمشي ادد الى ابنه في ماري:

(استخرجت مادة من المواد من لوح (يمين الالهة) وارسلتها الى حاكم اشنونا. ويقف حاكم اشنونا عائقاً، فإن اي رسالة لم تصلني حتى الآن ولهذا السبب تأخرت في هذه المدينة) (تذكر (يمين الالهة) ودعني ادخل الى منطقتك) قال ملك رازاما الى ملك اشنونا. تعني مثل هذه المعاهدة ان الحليف يمكن ان يدخل اقليم حليفه، وان المواد القانونية تنظم حقوقهما المتبادلة. وثمة، في العادة، مواد تتعلق بتسليم الهاربين ايضاً، من المجرمين والعبيد الآبقين [٣].

وقد يوحد الحليفان، بموجب اتفاقية بينهما، قواهم من اجل حملة عسكرية مشتركة:

(تكلم الى هانتو- رابي انا زمري ليم فقد قرأت رسالتك التي بعثتها إلي. كنت في الماضي غالباً ما تكتب اننا يجب ان نجتمع في قطونا، قائلاً: اجلب انت جندك نحو اعالي النهر حتى قطونا، وسأقود انا هنا الملوك من حلفائي الذين يرتبطون بعلاقات طيبة معي. ودعنا نذبح جحشاً، ودعنا نضع (يمين الآلهة) بيننا. انت غالباً ما كنت تكتب هذه الكلمات).

وثمة قواعد، قد تكون غير مكتوبة، بخصوص اقتسام الغنائم عندما ينجح جيش حليف في الاستيلاء على مدينة ثرية. واذا اخذ احدهم اكثر من حصته، عليه ان يعيدها، سواء أكان ملكاً ام غيره. ويمكن اقناع الملك بالطرق السلمية:

(اتكلم الى هانتو- رابي انا اخوك بونو- عشتار. وما دمت تستخرج حصة زمري ليم - من البضائع التي اخذتها من شوبات- انليل (غنائم من اسلاب عاصمة شمشي- ادد الشمالية)، فلماذا ما تزال تحتفظ بحصته؟ هل سيقنع بالتفرج فقط؟.

من الجلي ان السلوك السيء قد يؤدي الى فسخ الحلف وقد يكون مبرراً جديراً بالغاء المعاهدة واذا كانت القسمة غير العادلة يعتريها الشك فإن ضابطاً من الضباط يلجأ الى جعل الرجال (يأكلون اساكوم- طعام داكون، واتور مير وشمشي- ادد، ويسمح- عدّو) ويقسمون اليمين بالملك حتى هذه الاجراءات الشديدة لم تؤد الى اية نتيجة في احدى القضايا، فطلب الى الملك ان يحسم القضية بنفسه شخصياً.

الخدمة العسكرية:

غالباً ما تعطينا الرسائل حجم جيش من الجيوش او القوة المعدة للاستخدام في الطوارئ على الرغم من ان الارقام المعطاة لا يعول عليها دائماً. وهي عادة ارقام ضخمة، قد تكون تقريبية او تقديرية او مبالغاً فيها احياناً اذا حاول احد الملوك ان يستحث ملكاً آخر على القتال. اكبر جيش نعرفه اليوم عن تلك الفترة هو الجيش الآشوري تحت إمرة شمشي- ادد الذي خطط لحصار حصن توروكوم [٤] بـ ٦٠٠٠٠ رجل. ولعل هذا شيء استثنائي، فقد كان شمشي- أدد يعتبر ان ٢٠,٠٠٠ رجل يشكلون جيشاً قوياً. على الرغم من اننا لا نعرف الظروف التي ادت الى تجنيد مثل هذه القوات. وكان هاتنو- رابي من كارانا، وشاريا من رازاما وحكاماً صغاراً آخرين يأملون في جمع ٤,٠٠٠ رجل يلحقون بهم ٢,٠٠٠ رجل آخرين، لمساعدة زمري ليم ربما لدرء غزو من اشنونا.

(اذا قرأت هذه الرسالة، فاجتمع انت وشاريا والملوك الآخرون المؤيدون لك. وحشدوا ٤,٠٠٠ رجل من بينكم وسأحشد من هنا ٢,٠٠٠ رجل. وسيكون السابقون واللاحقون ٦,٠٠٠ رجل ممتاز، لنجمعهم من بيننا ونرسلهم فوراً لنجدة زمري ليم. لنتصرف، في الحقيقة، من اجل انقاذ زمري- ليم. هو امر لا يحتمل الاهمال!).

في مناسبة اخرى، عندما كان عقبة- حمو ملكاً في كارانا ارسل حمورابي ملك بابل فرقة صغيرة نسبياً من ١٠٠٠ جندي يستخدمون للطوارئ الى كارانا. وقاد احد مثيري الشغب تمرداً في منطقة كارانا بـ ٢,٠٠٠ رجل. وارسل شمشي- ادد الآشوري الى يسمح- عدّو في ماري ١٠٠٠٠ جندي اضافة الى ٦,٠٠٠من اماكن اخرى. فمن الجلي ان الجنود كانوا يعدون بالآلف. وثمة رسالة كتبها احم- ارشي (أمر الالف)، ويمكن ان نعتبر ان ١٠٠٠ جندي كانوا يشكلون اكبر وحدة من الرجال. وكانت قطعات الطوارئ الصغرى تحسب بالمئات، وكان في ادنى القائمة هيئة مراقبة من عشرة رجال.

تعداد السكان:

كانت عملية تسجيل السكان تتم على اساس التعداد. فقد اجرى زمري- ليم تعداداً عاماً في اثناء سنة حكمه، ولأهمية ذلك الحدث فإن تلك السنة سُميت عام التعداد. وتستعمل للاحصاء كلمة غريبة هي (طبيتم) وتعني (التطهير) ايضاً. ولعل احتفالاً دينياً يساعد في تصديق إحالة الجنود الى داعي الالهة الذين سيحاربون الى جانبهم. وكان التعداد يجري حسب المناطق، وكان الحانيون، اشباه البدو، مشمولين بذلك. واذا قاوم السكان كانوا يجبرون على ان يقسموا (يمين الالهة). وحدثت ليقيم عدو مشكلة في تعداده في منطقة ساكاراتوم الواقعة تحت حكمه:

(الآن، ارسلت الى مولاي لوحاً يحتوي على اسماء الرجال الذين سجلتهم في التعداد. كان عليّ ان اكون قاسياً مع رؤساء القرى وضباط النظام وكبار المنطقة، وكان عليّ ان اجعلهم يؤدون قسماً غليظاً هو (يمين الالهة)...

لم اجر تعداداً حتى الآن للمجموعة التجارية في منطقتي، المجموعة التجارية في ايدياتوم التي امرني مولاي ان اسجلها. اما بخصوص تسجيل رجال امنانوم وساهرو، فقد كتبت خمس مرات الى رؤساء قراهم ولكنهم لم يحضروا. تبين السجلات من ماري ان قسماً مهماً من السكان في الفرات الاوسط كانوا من القبائل ومن اشباه البدو، اناساً تعوزهم المواد التي يمكن ان تبقى طويلاً فيعثر عليها في التنقيبات، لذلك فهي خالية في سجلات الآثار. نلقاهم في الالواح في اهليات متنوعة: جنوداً وتجاراً ورعاة وجنوداً في جيش ماري، وخصوصاً الجماعة المعروفة بأسم الحانيين. وكان يجري اغراؤهم للتجمع من اجل التعداد بتخصيص حصص سنوية من الارض الزراعية لهم. وأي حقل يموت زارعه او يهجره فانه يعاد توزيعه في اثناء التعداد على اشباه البدو الذين قد ينصبون مخيمات موقتة قرب حقولهم عند موسم الزراعة فقط. واذا لم يكن اشباه البدو بحاجة الى حصص من الارض، فيكون من العسير اقناعهم بالمجيء الى التعداد.

(كتبت لي عن اجراء تعداد اليامينيين، قائلاً انهم لن يوافقوا على التعداد. عليك ان تجري التعداد بحزم والا فإن اخوانهم الرابئيين على الجانب الآخر من النهر في يمحد سيسمعون فكن أكثر صرامة!) في اثناء فترة خلو العرش الآشوري في ماري سيطر يسمح- عدو على جاكار بازار، قام موظف اسمه إشار- ليم باجراء التعداد من ناحيته. وقدم تقريراً الى يسمح- عدو في ماري قائلاً:

(كتبت انت الى الملك عن الحانيين الساكنين في منطقة ايدامارازالعليا. واني قد كتبت اللوح عن هؤلاء الرجال واسمائهم، اعني الحانيين الذين يسكنون في مقاطعات ناهور وتل هايوم وقيرداهات واشتاكوم [5]–

المنطقة التي اجريت فيها التعداد- وارسلته الى مولاي). وحاول الرجل نفسه إشار- ليم اغتصاب عرش يسمح عدّو بالقوة مدة قصيرة من الزمن لعلها بلغت أشهراً قلائل [6] وكان جمع مثل هذه الجماهير الغفيرة من الرجال للتعداد هو بقصد السيطرة على تنظيم جيش خاص يتمتع بالقوة الكافية للقيام بالتمرد، دونما انذار الملك مبدئياً. يظهر سجل من جاكار بازار ما أكله إشارو- ليم في اثناء اكماله مهمةً شاقة:

(٥٥ لتراً من طحين ساميداتوم، و ٥٥ لتراً من جريش الحنطة لوجبات طعام شار- ليم بمناسبة التعداد) وحفظت قوائم الاسماك في صناديق حجرة مقفلة، لا تفتح اختامها إلا بحضور شهود.

(فتحتُ حجرة الالواح المختومة بختمك، وكان كل من موكانيشوم وتابات شاروسو واقفاً هناك. ودلهما اكميلوم على الصناديق التي يحتاجون اليها، ثم اخرجا بايديهما الصناديق المحتوية على جميع الواح التعداد).

وعندما حصلت متاعب لبهدي- ليم في تيرقا عند محاولته تسجيل الحانيين- اذ رفضوا التجمع- استأذن زمري- ليم ان يجعل منهم عبرة للآخرين:

(اذا وافق مولاي نقتل مجرماً من السجن ونقطع رأسه ونعرضه على المدينة بين هونوم وابُان، ارهاباً للرجال لكي يسرعوا بالتجمع).

يبين بعض هذه المقتطفات ان الحانيين كانوا يشكلون جزءاً مهماً من الجيش في ماري. ولعلهم كانوا ينظمون على طول الخطوط العشائرية، وكان رئيسهم في كل جماعة او منطقة، السوكاكوم اي الشيخ يتعامل مع موظفين من ماري. وكان ثمة جماعتان اخريان شبه بدويتين في هذه الفترة هما اليامنيون والسوتيون. وكانوا يعيشون في الأغلب

خارج مملكة ماري، لذلك يقل وجودهم في الجيش. وكان اليامنيون يعيشون في الاكثر الى شمال ماري والسوتيون الى غربها وكان لهم، كالحانيين، سوكاكوم- اي شيخ لكل جماعة او موقع مالم يكونوا مستقرين في المدن حيث يعيشون على حدود مملكة مزدهرة، فانهم غالباً ما كانوا يوجدون في شكل مغيرين (وخصوصاً السوتيين) او مثيري متاعب. وكان اليامنيون منظمين جيداً نسبياً على الخابور وكانوا يشكلون تهديداً حقيقياً امام توسع زمري- ليم: وقد ادعى انه دحرهم في اوائل حكمه[٣].

وكان ثمة قوة شرطة خاصة لها مخافر محصنة تسمى بازاهاتوم تتعامل مع المجرمين والهاربين وكان الهاربون يعاقبون معاقبة قاسية. وعندما عانى كيبري- داكان من هارب اسمه باريم- داكان كتب زمري- ليم اليه قائلاً:

(سواء أكان في كهف سري ام في حقل داخل مدينة، عليك ان تقضي على ذلك الرجل! سواء أصعد الى السماء ام نزل الى الجحيم) فكتب كيبري- داكان جواباً يقول فيه انه كان يبذل قصارى جهده غير انه لم يستطع العثور عليه. (ولكنني وضعت مخافر الشرطة في حالة طوارئ وحالما يلقون القبض على ذلك الرجل، فإنهم يميتونه على خازوق). غير ان مثل هذهِ العقوبات البدنية القاسية نادراً ما يشار اليها، ولا يجد المرء دليلاً في اي مكان على ان القسوة كانت بلا مبرر.

ويبدو عموماً ان الاشخاص الاقوياء البنية كانوا يؤسرون ويكلفون بالعمل في مشاغل القصر. وكان يجري تجنب عمليات الاخذ بالثار بتلك الطريقة. وفضلاً عن ذلك، فان عدو هذهِ السنة يمكن ان يكون صديق السنة التالية وكانت الشخصيات البارزة تخص بشيء من الاحترام اذا

وقعت في الأسر. فقد كتب زمري- ليم الى شبتو يطلب فيها شخصياً ان توجه اهتماماً خاصاً الى ابنه ايبال- عدّو، ملك اشلاكا، التي كانت من بين الغنائم عند فتح اشلاكا بعد حصار طويل. وكانت اسماء الاسرى تسجل في قوائم عند مجيئهم الى قصر الملك المنتصر، وكانت شبتو مسؤولة عموماً عن النساء ذوات المقام الرفيع. كتب زمري- ليم الى شبتو حال انتصاره قائلاً:

(لعلك ستسمعين بعض الاخبار ويصيبك القلق. ولكن العدو اثبت انه غير قوي في القتال ضدي. لقد حل السلام، فلا تقلقي ابداً. في الحقيقة، لا بد ان ادد اله كولميش هو الذي اوقع هذهِ الفوضى من اجل كاهناته! على لوح الاسرى الذي ارسلته اليك، كاهنات كولميش وكاهنات الآلهة الآخرين مدونة اسماؤهن بصورة منفصلة على لوح مختلف... اعطيهن ثياباً ليلبسن).

تخبرنا رسالة اخرى ان بعض الكاهنات وُجهن الى العمل في مشاغل نسيج القصر تحت اشراف شبتو، وأُرسلت الاخريات ليتدربن على الغناء تحت اشراف كبيرة المغنيات، واراد- ايليشو.

التكتيك العسكري:

تطور فن الحصار الحربي الى فن بارع في هذهِ الفترة وتحتم ان تكون المدن محصنة. وكان لكل مدينة سوران، يفصل السور الخارجي عن الداخلي، في الغالب، خندق مملوء بالماء، وابواب كبيرة في المداخل. وفضلاً على ذلك كان القصر، الذي يقع في وسط المدينة داخل اسوارها، محاطاً بسور منيع خاص به. لذلك كان الحصار في الغالب عملية طويلة الامد. وكان لدى المحاصرين اسلحة كثيرة تحت تصرفهم،

منها ابراج الحصار ومراقٍ (سلالم لتسلق اسوار المدن) وكباش لدك الاسوار المحاصرة وما دامت الاسوار الدفاعية تصنع عادة من اللبن وهو مادة طينية رخوة فإن كبش الدك كان سلاحاً مؤثراً بوجه خاص.

((كتبت مولاي اليَّ عن ارسال بعض الحبال، مع مجرى النهر، لاحاطة ابراج الحصار واكباش الدك) هذا ما كتبه يقيم- عدّو. وكان موكانيشوم، في القصر في ماري، مسؤولاً عن صناعة الاكباش، وقد ارسلت اليه رافدات من خشب الصنوبر لصنع سلالم حصار. وينصب الجيش الرئيس خيامه حول المدينة بحيث لا يستطيع احد الخروج دونما اعتراض، وكانت تلقى كتل النار فوق الاسوار لاثارة الفزع في المدافعين ولاضرام النار في المباني. وكانت الاخشاب وحصر البردي المستعملة في التسقيف سريعة الاشتعال بشكل خاص.

كان اشمه- داكان ولوعاً بالتفاخر امام اخيه الاصغر يسمح- عدو عن محاصراته الظافرة قائلاً:

(عندما فتحت مدن ناروم وهتكا وشونهوم تقدمت الى هرارة وطوقت تلك المدينة، ونصبت برجاً وكبشاً لدكها، وفتحتها في سبعة ايام وحالما تقدمت الى مدينة قيرداهات، اقمت برجاً وجعلت سورها يتهاوى بشق الانفاق واستوليت على مدينة قيرداهات في ثمانية ايام) ولربما كان الحصار هو الوسيلة الرئيسة لانتصار حاكم على آخر واننا لا نملك وصفاً مفصلاً لمعارك ضارية وانما لدينا اشارات عديدة الى حصار واستسلام بعد مفاوضات. ولما كانت المدينة المحصنة هي مجال الدفاع الرئيس عن العدو المهاجم فإن المنتصر يسعى الى تحطيم الاستحكامات. وقد بين يحدون- ليم، والد زمري- ليم انجازاته الخاصة منقوشة في كتابة على الطابوق، كيف دحر تحالفاً من ثلاثة ملوك:

(أسر (يحدون- ليم) الملوك الثلاثة ودحر قطعاتهم، وكدس جثثهم، ودمر استحكاماتهم واحالها خراباً).

وكانوا يأخذون الطالع قبل المجابهة المحتملة ولعل ذلك كان له فعل صمام الامان لكي يعطي الجيش مبرراً لتجنب صِدام مباشر اذا كانت النتيجة غير مواتية. فلم يكن غريباً ان تجد المتكهن بالطالع ايلشو- نصر يسير في مقدمة جيش زمري- ليم ومتكهناً آخر يسير مع جيش بابل ولم يكن الامر مدهشاً ايضاً، من مثل موقع القوة هذا، ان تجد عقبة-حمو المتكهن بالطالع يستولي على العرش في كارانا.

ولا يوجد الا دليل ضعيف على ان صِداماً بين جيشين يمكن تفاديه بالقتال الشخصي بين حاكمين، او بين ملاكمين محترفين يجري اختيارهما من الطرفين المتنازعين. جاء الدليل من بعض الالفاظ النبوئية التي تلفظت بها شبتو امام زمري- ليم، وما زال كثير من الكلمات المستعملة غير واضح. وعندما درست النصوص من ماري اول مرة، قرئت كلمة (داويدم) وظن انها تعني (قائد) وترجمت العبارة التي تدل على الاندحار بـ(قتل القائد) وظُن ان صراعاً بين اثنين كانت طريقة شائعة لفض النزاع. ولكن تفهماً افضل اظهر ان الكلمة لا بد ان تقرأ بشكل (دودام) وتعني (دحر) فلم يعد بالامكان تفسيرها لتبين اجراء صراع شخصي بين قائدين[٩].

الشؤون الادارية والتجهيزات:

كان الاطعام والسقاية من المشاكل التي تواجه الجيوش الكبيرة عند تحركها. فقد اشار زمري- ليم عن صعوبة اشتباك القوات في قطونا، في فصل جاف من السنة. في رسالته الى هاتنو- رابي (اين تجد مثل هذهِ

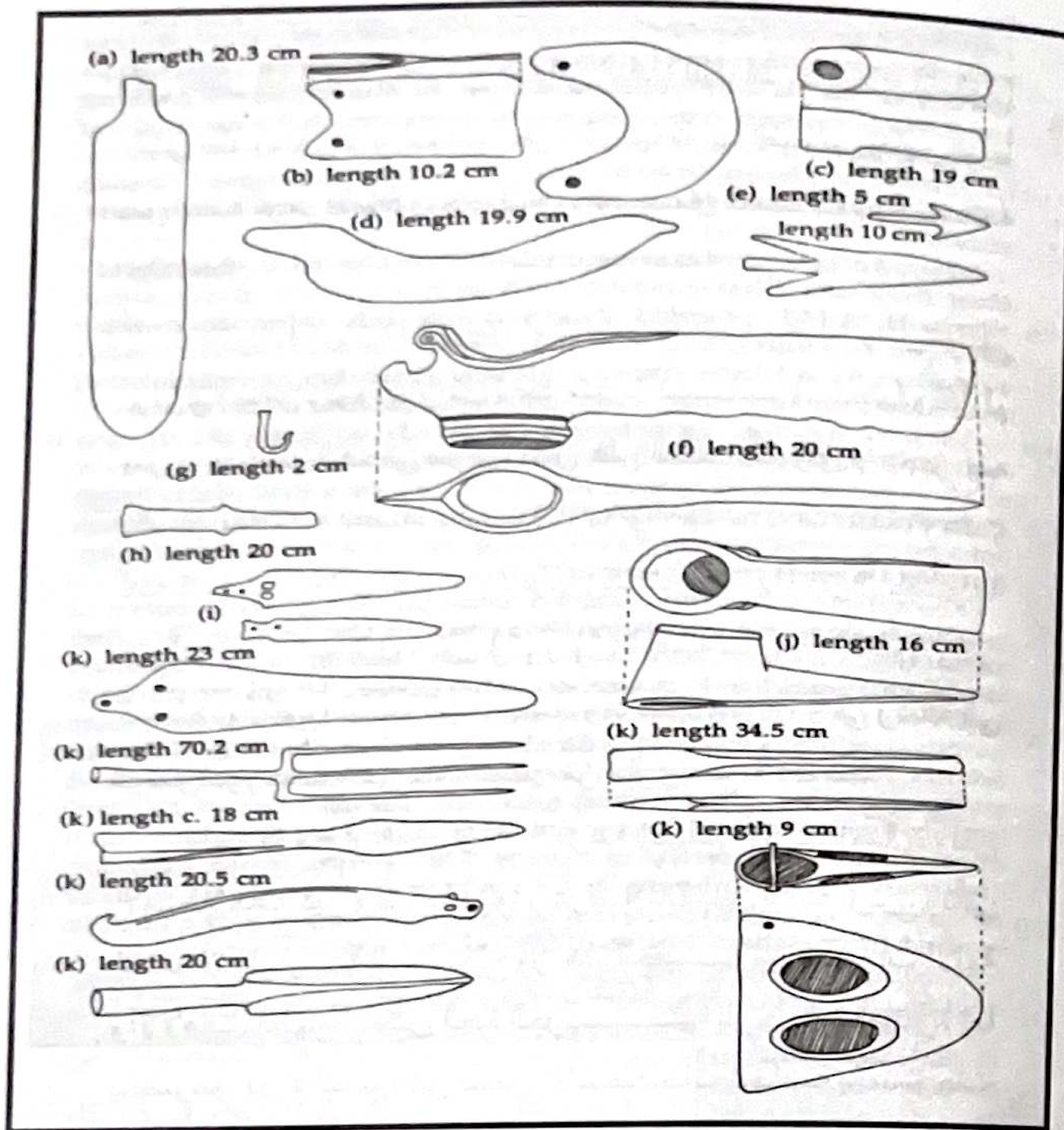
القوة الكبيرة الماء الكافي للشرب) كانت مشكلات التغذية وتسليح الرجال تحل في الغالب بتعاون رؤساء القــرية عندما يكون الجيش داخل نطاق سيطرتها. كتب شمشي – ادد الى يسمح – عدّو ان يناقش مســألة تموين ٤٠٠ رجل:

(خذ، من بين الحانيين الذين ستجري التعداد لهم ٤٠٠ رجل ممتاز ليخدموا عند باب قصري وليكن ٢٠٠ رجل منهم مجموعة واحــدة، من ابناء الرجال الممتازين، ٢٠٠ رجل آخرين مجموعة اخرى، وســأمون الرجال الكبار بسخاء من القــصر، وســوف يكون الانفاق على ابــناء الرجال الممتازين من أسر ابائهم. اجر تعداد الحانيين فوراً، واعرف من يارم – عدّو فيما اذا كان يوجد ماء كافٍ لهم في كاشــم او سوبــم لكي يتجمعوا هناك. ولتتجمع القطعات من ضفاف الفرات في ساكاراتوم).

وفي مناسبة اخرى، قدم ارشادات الى يسمح – عدو قائلاً:

(دمر تلك المدينة واحرقها، ثم غادرها الى شودا، كما كتبــت اليك في رســالتي الاخيرة، واضمن توفير التجهيزات للجند شــهراً واحــداً لتعطيهم الثقــة بالحــكومة. وليرتح الجند يوماً او يومين في شــودا، ثم يغادروا الى شاباناشوم. ابقوا في شاباناشوم، حيث يجهزك الجند انفسهم بوجبات طعامك لان الجند سيأخذون التجهيزات للشهر القادم من شودا).

وكان آمرو الجيش ضباط الراب اموريم الذين يتسلمون رواتبــهم بحلقــات من فضة من القــصر ويتســلمون الملابــس ايضاً، ويتسـلم عسكريون وموظفون محليون آخرون – رؤوساء (حــظائر) ورقبــاء، ورؤساء قرى – رواتب مشابهة لكنها اقل ولعل المكافأة الرئيسة للخدمة كانت تأتي من الغنائم، حوافز ورواتب ايضاً.



صورة (٤٤): رسوم الآت واسلحة معروفة من هذهِ الحقبة

وكان بعض الجنود يتسلمون سلاحهم من القصر، ولم يكن من المتوقع ان يجهزوا انفسهم بها. وقد القينا قبل قليل نظرة على واجبات موكانيشوم في تجهيز بعض الاسلحة، غير ان الشكوك تعترض سبيلنا في بعض الحالات بخصوص المعاني الدقيقة للكلمات. فالسلاح (تلبانوم) الذي طلب منه زمري ليم ستة، هو بلا ريب تقريباً القوس (وليس نوعاً من عصا الرمي كما كان يظن)[١٠]. ولا ريب ان السهام كانت شائعة الاستعمال.

كتب شمشي- ادد الى يسمح- عدو يطلب ١٠,٠٠٠ رأس سهم برنزي، سامر وتوم، يزن كل واحد منها ٦ شيقلات (٤٨ غم) ولكن لم يكن يوجد برنز كافٍ في ماري، فكان على الملك الآشوري ان يجهز ابنه بالبرنز مبادلاً به الفضة. واستعمال زمري- ليم سهاماً اخف، وكانت لديه كلمة مختلفة تدل عليها سيلتاهوم، وكانت رؤوسها ما تزال مصنوعة من البرنز، ولكنها تزن بين (١) و (٥) شيقلات (٨- ٤٠غم). وكان المقلاع، واسبوم، سلاحاً شائعاً ايضاً. وقد طلب منه ٥٠٠ في رسالة الى شمشارا، ووجدت ٨ في قائمة تجهيز من ماري، مع ٣٠ قوساً.

ولعل الرمح او المزراق او الجريدة شائع الاستعمال، ولكن الاصطلاحات غير واضحة دائماً وعرضه للالتباس بكلمة ترس. وتأتي التخمينات الرئيسة للسلاح من هذه الحقبة من تجهيزات الالهة والالاهات، لعلها لا تعكس العدة الحربية للرجل في الميدان. اما بخصوص درع الجسم، فإن بعض الاصطلاحات الخاصة بالمنسوجات قد ترمز الى الدرع. ومع ذلك فإننا لا نستطيع ان نميز بين الاصطلاحات بصورة كافية. ويبدو أن (حيروم)، الكتان، يرد كثيراً في اصطلاحات محددة خاصة بالاسلحة. ولا بد ان احد اصطلاحات ملابس الرأس

الشائعة الوارد في قوائم الحقبة يعني خوذة: رأس محارب منحوت في الصخر من هذه الفترة يبين خوذة ذات غطاء للأذنين، وهذا هو الدليل القاطع على ذلك. ويخبرنا نص مفرد عن درعي زرد، كوربيسوم، احدهما من طراز يمحد، والآخر أكدي، ولكن المواد التي صنعا منها غير مذكورة[١١].

ونعرف انماطاً واحجاماً متنوعة من الفؤوس من الواح ماري، وكان وزن الفأس في احدى الحالات ٦٥٠ غم، مع اننا لا نستطيع ان نتأكد فيما اذا كان وزن الشفرة وحدها ام الفأس بكاملها (مع مقبضها). الجندي من رتبة بائيروم كان يحمل فأساً ولعل الشباك كانت كثيرة الاستعمال لان الاله غالباً ما يوصف قابضاً على عدوه بشبكة وتبين منحوتات مبكرة من العهد السرجوني (٢,٣٠٠ ق.م.) اعداء الملك واقعين في شبكة كبيرة[١٢] ولا ريب ان الخناجر والسيوف كانت مستعملة على الرغم من انه لا توجد ادلة نصية على ذلك. كانت انواع مختلفة من العربات بعجلتين او اربع عجلات تستعمل لنقل التجهيزات الثقيلة، تسحبها الثيران والحمير، ولم تنقل الجنود الى المعركة. ولم يبدأ استعمال العربات في الحرب حتى ذلك الوقت في آسيا الغربية[١٣].

وثمة دلائل كثيرة في الرسائل تشير الى ان الاتصال بين الجيش في اثناء الحملة وبين القصر في العاصمة كان متكرر الحدوث ومنتظماً. وكان المراسلون دائمي الانتقال ذهاباً واياباً ينقلون آخر الانباء، ولذلك كان العدو يحاول السيطرة على الرسائل املاً في الحصول على معلومات نافعة. فقد كتب (مبتوم) الى سيده اشكور- عدو في كارانا، قائلاً:

(جلبوا اربعة الواح عائدة لحاكم سوسه في عيلام، فتحت تلك الالواح، ولكن لم يكن فيها اخبار).

وكان الجواسيس والمخبرون معروفين، ويوصفون حرفياً بـ(رجال اللسان) ولعلهم خدموا في الغالب ادلاء ومترجمين فقط وقد حذر شمشي – ادد ابنه من قبول خدماتهم، ولكنه قال له:

(ادفع الى الذين استأجرتهم الآن ثم اصرفهم. فاذا جرى التخطيط لكمين في منطقة غير مألوفة، فان مثل هؤلاء الرجال كانوا يرافقون الجند (اذا ذهبت مفرزة كبيرة للقيام بكمين لحملة اعداء فانهم لا يستطيعون ان يجدوا مكاناً مناسباً ينتظرون فيه، لذا فان تلك المفرزة تعود دونما نجاح، وتستمر حملة العدو بلا تدقيق – اذ لم يكن لها احد. فدع مفرزة صغيرة تذهب وتكمن لحملة العدو، ودعهم يأخذوا معهم مخبرين).

ولعل الغارة الخاطفة والكمين الذي يقوم به جماعة صغيرة من رجال منتخبين، كانت امراً شائعاً. وكانت قوافل التجارة عرضة للاغارة عليها طمعاً بالغنائم، وكانت الحيوانات الداجنة ايضاً تؤلف طعاماً طازجاً يغري قاطعي الطريق بالاستيلاء عليه.

ومن اجل منع هذه الاعتداءات وحوادث قطع الطريق، كانت تجهز قوات لحماية المسافرين وايصالهم بسلام الى المنطقة المجاورة. وكانت الغارات لسرقة الاغنام والماشية التي غالباً ما كان الحانيون والسوتيون يشتركون فيها، من الامور التي تحدث خارج نطاق العمليات العسكرية، ولكن ثمة نصوص كثيرة تبين ان الغارة كانت ممارسة شائعة في الجيش ايضاً.

في حالة خاصة جرد المغيرون الرجال الذين قبضوا عليهم من ملابسهم واعادوهم عراة ليكونوا موضع مرح وإذلال للمندحرين.

الدبلوماسية:

قد يسمح للملك المدحور ان يحتفظ بعرشه تحت شروط معينة.

فأولاً، عليه ان يغير الكتابة على الاسطوانة التي يختم بها الوثائق الرسمية لكي يعترف بعبوديته باضافة عبارة مثل: (خادم الملك فلان). هذا ما فعله عقبة- حمو عندما اصبح تابعاً لبابل. فختمه الاول يقول: (عقبة- حمو، كاهن باروم، ابن همدي- ساماس) وختمه التالي يقول: عقبة- حمو، كاهن باروم، ابن همدي ساماس، خادم حمورابي).

وثانياً، عليه ان يؤدي الجزية، فقد اخذ عقبة حمو كميات كبيرة من الانسجة المصنوعة محلياً الى بابل لاعلان البيعة (اي التزاماً بالتبعية).

وثالثاً، قد يجبر على قبول منصب حاكم او مشرف اقليمي (صابيتوم). ولعل هاسيدانوم كان يشغل هذا المنصب عندما كان سامو- عدو على عرش كارانا، تابعاً لشمشي- ادد. وقد تكون لمثل هذا المشرف المسؤولية في تنفيذ التعداد المناسب الذي يمكن ان يزوره عامداً ملك تابع مشكوك في اخلاصة. وحكم الملك التابع ياوي- ايلافي في دولة تالهوم، في اثناء حكم شمشي- ادد وعندما كان زمري- ليم على عرش ماري. وكان عليه ان يقبل حضور حاكم، هازيانوم، مرسل من ماري. ووصفت انباتوم ابنة زمري- ليم في رسالة الى ابيها كيف ان على مدينة انداريك، تحت حكم ملكها همديا، ان تقبل رجلين في منصب مراقبين اقليمين. ونعرف من الرسالة نفسها ان المدينة يمكن ان تنجو من السلب على ايدي العدو اذا تفاوض الملك المدحور قبل الاستسلام في الوقت المناسب. ويمكن للاخلاص ان يقوى الصلة بالمصاهرة بين السلالات الحاكمة، والمعاهدات، والجزية، والمراقبين الاقليمين. ولعل الزواج بين اسرتين ملكيتين يدل على ان الملكين يعتبر احدهما الآخر نداً

له في المنزلة. ولهذا السبب فإننا نعرف ان مملكة (قطنا) كانت مهمة، لان شمشي- ادد اتخذ الترتيبات الضرورية لكي يتزوج ابنه الاصغر (يسمح- عدو) اميرة من (قطنا). واتخذ ابنه، (اشمه- داكان) الترتيبات الضرورية لحفيده، (موت- اشكور)، لكي يتزوج ابنه (زازيا) رئيس قبيلة (توروكو) القوي، وهي من الشعب الحوري الذي يسكن شرق دجلة. وكانت زوجة زمري- ليم من عائلة (يمحد) الملكية، وعديد من بناتهما الاحدى عشرة او نحو ذلك عرف عنهن انهن تزوجن زيجات ملكية. واصبحت (شيماتوم زوجة ثانية لـ(حيا- سومو) ملك ايلانصورا الشمالية. وزارتها اختها (كيروم) غير انها كرهت ما شاهدت هناك، وطلبت الى زمري- ليم ان يرسل احداً لاخذها الى بيتها باسرع ما يمكن بعد ان قال لها حيا- سومو.

(اذهبي واعتني ببيت ابيك، بعيداً عن زوجتي!) ونحن نشك بان ترتيبات زمري- ليم باءت بالفشل في هذا الصدد، انه عزم ان تتبوا ابنته، اسمى مقام هو منصب الملكة، غير ان حيا- سومو حط من مكانتها حالما انتهت الترتيبات الرسمية. وقال (حيا- سومو) لـ (كيروم) اتظنين انك تمكثين ها هنا بقوة حاكم؟ وما دمت انوي قتلك فالافضل لـ(نجمك) ان يأتي ويرجعك!).

ان تحليل العلاقة بين كيروم وشيماتوم وحيا- سومو غير نهائي، بطبيعة الحال. فإننا في الغالب لا نستطيع ان نتأكد من الفرق بين جملة خبرية واضحة، وسؤال، وتعليق ساخر. وان الترجمة يمكن ان تؤدي الى فروق عظيمة عند اعادة تنظيم حادثة، حتى عندما تكون الكلمات الشخصية واضحة. وقد اعتبرت القطعة نفسها دالة على ان زمري- ليم عين ابنته (كروم) سيدة- حاكم لدى حيا- سومو[١٤]. وكتبت ابنة اخرى

من بنات زمري- ليم، اسمها غير معروف، رسالة الى ابيها، غير محفوظة جيداً، تقول ان الآشوريين اخذوها اسيرة الى عاصمتهم ايكالاتوم في دجلة الاوسط. ويدل ذلك على انها كانت تعيش بعيدة عن موطنها، ولعلها كانت متزوجة من ملك لم تنقذه مصاهرته الأسرية مع زمري- ليم من دمار الحرب.

وتزوجت ابنة ثالثة هي (تيسباتوم) من (ايلي عشتار)، ملك (شونا)، وكتبت الى ابيها زمري- ليم، عندما هدد الاعداء زوجها بالحرب، قائلة:

(اذا كان صحيحاً ان مولاي يحب مدينة شونا وخادمه ايلي- عشتار، فلترسل ١٠٠ جندي وخادماً مخلصاً من لدنك (ليقودهم) سريعاً، وتنقذ مدينتك وخادمك! وبسببي يقول الناس الذين يهمهم امره: (لانه متزوج من ابنة زمري- ليم ينبغي ان يظل مخلصاً لزمري- ليم!) على والدي ومولاي ان يهتم بذلك).

وهكذا ظل زمري- ليم يتلقى الاخبار شخصياً عما يحيط به من ضغوط وصداقات من بناته الكثيرات المتزوجات، كما يبدو، من جميع الملوك ذوي الاهمية في الجزء الاعلى من بلاد ما بين النهرين. ولا ريب ان ذلك من الدعامات الاساسية لحكمه الطويل[١٥].

وكان تبادل الهدايا الثمينة عندما تتم ترتيبات الزواج بين عائلتين ملكيتين. فقد كتب شمشي- ادد الى يسمح- عدو: (ليقرأ معك لاؤم وسين- ادينام وماشيا هذه الرسالة معك سآخذ لك ابنة اشي يحدو الشابة. بيت ماري مشهور وبيت قطنا مشهور: هدية عرس صغيرة جداً شيء حقير، لذلك ستقدم (٥) طالنات من الفضة (١٥٠ كغم) الى قطنا هدية عرس). ويضيف ايضاً انه سيجهز صدرة و ١٠٠ ثوب. على انه كانت

له افكار اخرى، في ما بعد، فقلل الكمية: (ستقدم ٤ طالنات (١٢٠ كغم) من الفضة هدية عرس لابنته ايشي- عدو. وقد اودعت لأوم لوحاً بطالن واحد من الطالنات الاربعة من الفضة، وسأقدم شخصياً الطالنات الثلاثة).

قارن هذا بهدية الزواج التي قدمها زمري- ليم لاخته عندما تزوجت شخصاً مغموراً اسمه رشيا: ١٢ خروفاً فقط. ولعلها كانت قد تجاوزت احسن احوالها آنذاك. وربما كانت متزوجة قبل ذلك ومع ان المرء يتوقع ان تتوطد عرى الصداقة والمصاهرة بين الملوك بالزيارات الشخصية والمآدب والمناقشات الخاصة، فليس هناك الا أدلة قليلة على ان الملوك يزورون الملوك الآخرين شخصياً. كانوا يرسلون مندوبين خاصين ويفوضونهم القيام بمهماتهم ما لم يكونوا في مأزق حرج او بحاجة الى اللجوء. وعندما ادى اشكور- عدو من كارانا الزيارة الى ماري في المناسبة التي أمر موكانيشوم ان يعد مأدبة سخية، ربما كان عرشه قد اغتصب حديثاً، وكان يأمل ان يستحث زمري- ليم في تقديم المعونة. لاستعادة عرشه، لان زمري- ليم كتب في رسالة اخرى الى موكانيشوم قائلاً:

(عشر نساء وصبيان وفتاتان من بيوت اشكور- عدو وايلي- ساموح، ضعهم في مشغل النسيج).

لا ريب ان الحكام كانوا يتبادلون الهدايا التي كانت قيمها محسوبة بدقة، كما في الرسالة الآتية، التي كتبها ايشي- عدو ملك قطنا الى اشمه- داكان عندما اصبح هذا ملكاً على آشور، والتي تبين:

_هذه مسألة تفوق الوصف، غير انني سأتحدث وأنفس عن مشاعري. انك ملك عظيم. طلبت مني فرسين وقد ارسلتهما إليك.

وارسلت لي مناوين (باونين) من من القصدير. أفلا تريد ان تتعامل معي على نحو عادل؟ هذه كمية تافهة من القصدير ارسلتها لي!... لو انك لم ترسل شيئاً من القصدير قط، قسماً بإله ابي! لما غضبت هذا الغضب! فلست ملكاً عظيماً. لم فعلت هذا! أليست هذه الدار دارك؟) واذا ما اقتربت جماعة من المندوبين الملكيين من ماري، فإن زمري- ليم كان يحاط علماً دائماً بذلك مقدماً وبصورة دقيقة:

(جماعة من الرسل المندوبين من بابل واشنونا وايكالاتوم وكارانا وقبره وعرفه في طريقهم الى يمحد وقطنا وهازورو(س)، سيصلون الى هنا. فهل اسمح لهم بالمرور ام امنعهم؟) كتب بهدي- ليم الى سيده. وتدل نصوص عديدة من هذا النوع ان المندوبين الملكيين كانوا يسافرون معاً قدر الامكان، وان الملك كانت له شبكة من الرسل السريعين.

وكان الملك يغيب في الغالب عن قصره، منشغلاً في اداء الفروض الدينية في مراكز العبادة الواقعة في اجزاء اخرى من مملكته، او في قيادة جنده في حرب، او في السير بقافلة الى بلاط حاكم اعلى. لذلك كانت الملكة تقدم له التقرير عن سلامة القصر، وتزوده بمعلومات مستقلة عما يقدمه الموظفون. وكان عقبة- حمو غالباً ما يخرج من كارانا، لذلك كان يراسل زوجته ايلتاني بانتظام. وكان المسؤول رسمياً عن القصر في اثناء غياب زمري- ليم عن ماري هو بهدي- ليم الذي كان حر التصرف في حجز المندوبين بأمر من الملك، ويقرأ الالواح التي يستولي عليها وحتى المراسلات بين الملوك الاجانب[٦٦]. وكان حمورابي البابلي يعنون الرسائل الى بهدي- ليم شخصياً. ومن المحتمل انه كان على اطلاع بأن زمري- ليم سيكون غائباً لدى وصول رسالته.

كانت الاتصالات الرئيسة للملك مع كبار موظفيه وكذلك الملوك

الآخرين تتم بطريق الرسائل. وهذا احد اسباب وفرة المعلومات من الالواح الطينية. وكانت قضايا المحالفات وحركات الجند لا تعهد دائماً الى المندوبين، بل كانت تكتب بالتفصيل في رسائل ملكية. لهذا السبب، فلدينا رسائل بعث بها زمري- ليم من ماري وكشف النقاب عنها في كارانا، ورسائل من ملك كركميش اكتشفت في ماري، وكان الجميع يكتب بلغة اكدية فصحى، هي لغة الدبلوماسية العامة بغض النظر عن لغة الحاكم القومية... لذلك فإن لدينا فيضاً من المادة متجانسة يمكننا بها ان نعيد بناء السياسة والدبلوماسية لتلك الفترة المبكرة.

ملاحظات الفصل

١- قدم كريسون، في (كتابات آشورية ملكية) المجلد الاول ص ص ٧٢- ٢٨، ترجمة احدث لهذا النص. وفي رأي الكاتب ان الرسالة ربما لم تعنون الى داكان بل شمش كبير الالهة في ماري، وراعي العدل الالهي.

٢- انظر ج.م. . مون- رانكن (الدبلوماسية في غرب آسيا في اوئل الالف الثاني ق.م.) في مجلة العراق ١٩٦٥، ١٨، ص ص ٨٦- ١١٠.

٣- توجد معاهدة من هذه الحقبة من منطقة ديالى، شرق دجلة نشرها س. كرينكوس في (الواح بابلية قديمة من اشجالى وما جاورها) ليدن، ١٩٧٩، ص ٧٤ وما بعدها.

٤- تقع نوروكوم غرب دجلة، ولعلها قريبة جداً الى كارانا.

٥- تقع جميع هذه المدن في منطقة الخابور الاعلى.

٦- لا يمكن بالضبط اثبات ان ابشار- ليم هو الرجل نفسه، ولكن ذلك الشيء محتمل جداً.

٧- حلل كوبر القبائل البدوية في (البدو في بلاد ما بين النهرين في عهد ملوك ماري) باريس ١٩٥٧. وثمة وصف عام للبدو وطوال تاريخ بلاد ما بين النهرين قدمه هـ. كلنكل، لايبزك، ١٩٧١.

٨- كان شدون- لابا ملكاً في اشناكوم تابعاً لزمري- ليم.

٩- يفيد هذا المثل في القاء ضوء قوي على التعقيدات في نظام الكتابة المسمارية، وعلى مخاطر البحث عن مشابهات من (الكتاب المقدس) في مرحلة مبكرة جداً من الدرسة. (اذ انهم قرأوا هذا الاسم خطأ، داود، كما نسبوا اليامنيين الى بنيامين زوراً. المترجم).

١٠- انظروا: ارؤل في ARMV111 ص ١٥٧ ملاحظة ٢١٧.

١١- يمكن ان يكون الجلد او اللباد مادة هذا الجزء. انظر: د. شتاينكلر (الافرشة واللباد في العراق القديم) Oreins Antiguus 19, 1980 .

١٢- انظر: أ. مورتكت (فن العراق القديم)، لندن ١٩٦٩ صورة ١١٨ مسلة نصر ايانتوم من لكش وصورة ١٢٦- ١٢٧ مسلة سرجون (؟).

١٣- بعض الاختام من هذه الحقبة تقريباً تبدو كأنها تعرض سائق عربة راكباً فوق عدو ساقط، ولكن ما دامت النصوص لا تذكر اصحاب العربات العسكريين، فأما ان تعرض الاختام عرضاً للنصر وليس معركة، او لعلها ترقى الى تاريخ اسبق قليلاً.

١٤- ب.ف. باتو (دراسات عن النساء في ماري) جون هويكنز ١٩٧٤، ص ٤٢- ٤٤.

١٥- ابنة اسمها انيب- شاري تزوجت ايبال- عدو ملك اشلاكا على الخابور الاعلى، ربما بعد اخذ حاكم دويلة ناهور المجاورة بنظر الاعتبار (x 74). وابنة اخرى اسمها اينباتوم كانت متزوجة من همديا ملك اندرانيك (x84) وجد ختم ابنة يحدون- ليم، والد زمري- ليم في تنقيبات اسيمهويوك في الاناضول، ربما اثر زيجة اخرى عقدت مع ملك اجنبي بعيد. ن. اوزكوج، في بورادا (الفن القديم في الاختام) ص ص٦٢، ٦٥.

١٦- ناقش ذلك نقاشاً مستفيضاً كوبر في بهدي- ليم، مدير قصر ماري، بروسل ١٩٥٤.

الفصل الثامن
الحيوانات والنقل والمواصلات

الحيوانات الداجنة:

اظهرت اقدم البقايا للناس الذين كانوا مستقرين في سوريا وشمالي العراق ان تربية المواشي ازدهرت منذ العصر الحجري الحديث [1]. وان النصوص من العصر البرونزي الوسيط تثبت ان هذا التراث استمر، وتقدم بعض التفصيلات التي لا يمكن ان تعطيها البقايا المادية.

وكان الثور عضواً لا يقدر بثمن في المجتمع لانه كان يشير الى المحراث، وكان مصدراً للطعام، ويسحب العربات الثقيلة. وان سياقة الثيران حرفة معروفة من قائمة حصص في جاكار بازار، وان ثيران الحراثة في نصوص اخرى من ذلك الموقع كانت تطعم شعيراً.

(((٣٠) هومر من الشعير تطعم (٥٠) ثور حراثة، (٣) لترات لكل واحد منها)).

جاء هذا السجل من سجلات القصر لان القصر كان يمتلك الثيران ويطعمها ويستأجر سائق الثيران والحارث. وكانت الثيران او العجول الاخرى تسمّن من اجل استهلاك الالهة والناس.

((إذا لم يكن اي ثور متيسراً من حظائر التسمين في زرباط، فأرسلي ثوراً واحداً من حظائرك الخاصة بالتسمين الى نابسونا- عدّو))

هذا ما كتب عقبة- حمّو الى ايلتاني. وكانت الابقار تحفظ في القصر في قطعان كبيرة:

((لقد حصلت على ٣ رعاة قطعان ليساعدوني في ١٢٠٠ بقرة))

هذا ما شكا كبير الرعاة الى يسمح- عدّو، شارحاً له ان اسداً في الغابة خطف خمس ابقار، وسرق مغيرون من منطقة نائية خمس ابقار اخرى.

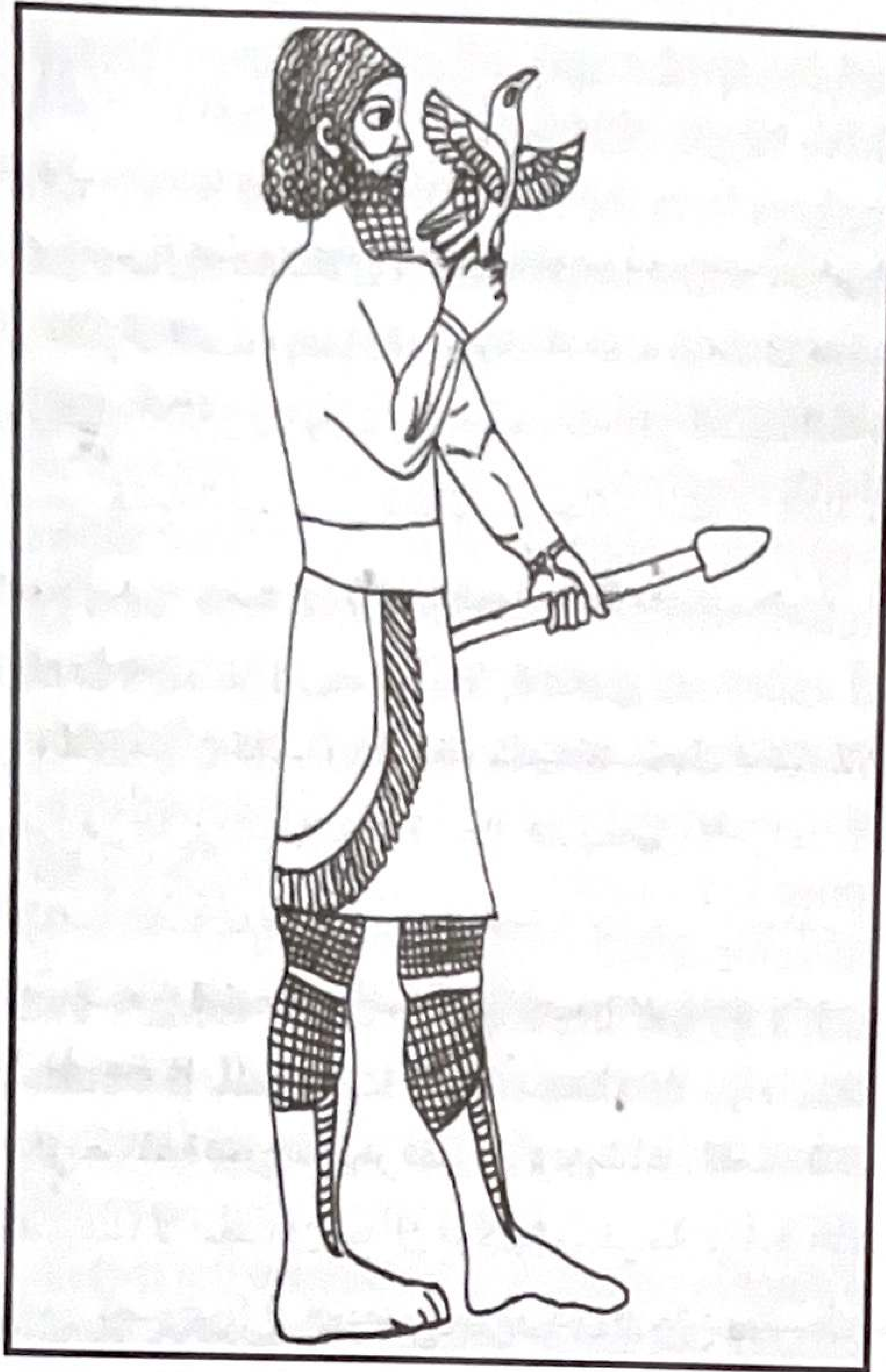
وكانت ماري مشهورة بصناعة العربات، وقد اعترف اشمه- داكَان في رسالة الى يسمح- عدّو قائلاً:

((العربات التي تصنع في ماري احسن من اي عربات اخرى في البلاد! ارسل لي نجاراً متخصصاً بصناعة عربات ماري)).

وكانت الحمير والاتن تستعمل لجميع الاعمال ولا سيما الثقيلة، في جر العربات وحمل الاثقال. وكانت حمير الاثقال تتميز احياناً تميزاً واضحاً عن حمير الركوب. وكان في جاكَار بازار وماري تمييز خاص في الكتابة بين البغل انشه- نن- نا (ANSE. NUN. NA) الذي كان يستعمل في ماري مع الخيل في مهرجان اكيتوم الآشوري، وبين بغل لاكَوم او الحمار غير المشخص [٢]. كان الحمار يحمل البضائع في قوافل التجارة، وكان ثمة حظيرة للحمير تعرف بكيكَالوم ملحقة بكل محطة تجارية. وكان يهتم بالحمير سائقوها، وهي حرفة خاصة، وكان القصر في كارانا يخصص حصة خمس لترات من الشعير طعاماً لكل سائق حمار تسمى ((اندا)). وثمة قائمة طعام شعير للحمير، من كارانا ايضاً، تقسم الحمير صنفين: حمير الملك (ولعله كان يملك تلك التي كانت تذهب في قوافل ملكية او تحت رعاية القصر) وحمير رجل اسمه بونيا.

ولعل الجمل لم يكن قد دجنّ حتى ذلك الحين ليكون حيواناً صالحاً لنقل الاحمال في الاقل في منطقة اعلى بلاد الرافدين، ولم يكن الا الحمار والبغل يستعملان لقوافل التجارة في المسافات الطويلة والقصيرة [٣].

ويكاد يكون الحمار دون ريب اكثر استعمالاً للركوب. وكانت ايلتاني واختها تركبان الحمير التي يجهزها الملك عقبة- حمّو. وكانت تستعمل محلياً ايضاً لدراسة النباتات المنتجة للحبوب ونقل الحبوب.



صورة (٤٥): صقّار (بازدار = صائد صقور) سرجون الثاني أوآخر القرن الثامن قبل الميلاد

((في ما يخص ارسال العربات وحمير نقل الاحمال، التي كتبت عنها سيدتي، فإن حمير الاثقال تحت تصرف سيدتي وكذلك العربات، في حين ان الثيران التي تحت تصرفي قد بدأت بالحراثة)).

((وان الحمير التي من الريف وتلك التي تعود الى سائقي الحمير سوف تنقل الحبوب من ازوهينوم)).

وكانت الاغنام ورعاة الاغنام والكلاب تقوم بدور في اقتصاد شمالي بلاد الرافدين. وبين قوائم المستخدمين من ماري خمسة رعاة اغنام وكذلك ثلاثة رعاة بقر كانوا مدرجين في قائمة الرواتب، وتخصص قائمة الحصص الغذائية من جاكار بازار ثلاثة لترات من الشعير لكل واحد من سبعة رعاة اغنام الذين قد يعملون تحت اشراف راع غنم واحد.

ولا ريب ان كلاب رعاة الغنم كانت تستعمل ايضاً، لان قائمة حصص من ماري تسمى خمسة رعاة غنم يحصل كل واحد منهم ستة لترات من الخبز كان يتبعه كلب واحد مخصص له ضعف الحصة. وفضلاً عن ذلك فإن الكلب كان يضاف الى مجموع كلي يختصر تحت عنوان ((رعاة غنم)).

في صناعة نسيج مزدهرة في ماري ومشاغل القصر التي تحتاج الى الصوف، لا عجب ان نجد ان موكانيشوم في ماري كان منشغلاً في ((دار جز الصوف)) او ان يسيم- سومو كان قد حشد وسجل مجموعة من ٢٦٠ رجلاً لجز الصوف. وكان الصوف يخزن ويختم في اكياس من الجلد او القماش حتى يكون عمال النسيج متأهبين للبدء بالعمل.

ولسنا متأكدين ان كانت الكلاب تحفظ لتكون حيوانات اليفة او تدرب للصيد، عنوان الرسالة الآتية التي كتبها يقيم- عدو الى زمري- ليم تبين ان الملك كان يهتم شخصياً باقتناء الكلاب.

((كتب لي مولاي عن جلب ((كلب القصر)) وكلب يزيبوم الى ماري. ومن الكلاب الثلاثة التي رآها مولاي في مدينة بَرهان، مات احد الكلاب. والآن بموجب رسالة مولاي جلبت الى مولاي ((كلبين للقصر))، كلب يزيبوم وكلب فلاحين، وكلبة اومو- شكيم،... وكلبة فلاحين وكلبي صلي- س [4]. اما الكلبة ام كلب مدينة بَرهان فقد ماتت تلك الكلبة)).

وكانت البزدرة (الصيد بالصقور) رياضة تمارس بالتأكيد في ماري واماكن اخرى في بلاد الرافدين، وعلى الرغم من عدم وجود دليل مؤكد حتى الآن من هذه النصوص فإن ختماً اسطوانياً يبدو أنه يعرض بازدرا (صياداً بالصقور) مع صقره [5]، وتظهر هذه الرياضة في المنحوتات الحجرية الآشورية الحديثة. فليس ثمة الا شك قليل ان هذه التسلية التراثية الشرق اوسطية كانت معروفة وتمارس آنذاك، حتى ولو اننا لم نعزل حتى الآن الكلمات الاكدية التي لها صلة بها، ولا نعرف هل كانت في الاساس وسيلة للحصول على الطعام يمارسها الناس الاعتياديون ام انها رياضة ملكية.

كانت الخنازير تحفظ عموماً في الشمال في جاكار بازار اكثر مما تحفظ في ماري وكارانا، لوجود شواهد قليلة على ذلك من المدينتين المذكورتين. في ماري كان الخنزير والكلب يقدمان لاطعام اسد في قفص. وفي كارانا كانت الخنازير تأتي مع الممتلكات المصادرة من

المجرمين. وكانت الخنازير ورعاتها ترد بـــصورة اكثر في مصادر جاكَار بازار: في سجل علف الماشية، ١٨ هومر من الشعر تقدم الى ٢٠ خنزيراً، ٣ لترات لكل واحد، ((التي يأكلونها في المشغل/ السجن))، تلك الكلمة الصعبة ((نيباروم)) مرة اخرى التي تظهر الآن لا يواء الخنازير وكذلك المجرمين واسرى حرب الطبقة العليا الذين يصنعون الانسجة ويتعلمون الغناء. ولم يرد ذكر رعاة الخنازير في ماري حتى الآن على الرغم من دراسة قوائم الاشخاص والحصص الغذائية ولكن في جاكار بازار ورد اسم راعي خنازير نانيزوفي قائمة مشابهة تقريباً .ونكاد لا نعرف شيئاً عن الاوز والبط والدجاج في ماري وكارانا، ولعل ذلك راجع الى انواع السجلات التي وجدت ونشرت، فتذكر رسالة واحدة ان مسمن الحيوانات المحترف كان يطعم طيوراً وحيوانات ايضاً. ويساعدنا مزيد من السجلات الريفية من جاكار بازار مع قائمة علف اخرى، هذه المرة مع شعير لسبعة غزلان لكل واحد نصف لتر، وثلث لتر لكل واحد من سبعة عشر طائراً كبيراً. وليس من الواضح تماماً ان كانت هذه الطيور والغزلان تحفظ وتطعم في متنزه ملكي بوصفها حيوانات اليفة للاستمتاع بمنظرها، ام انها كانت تسمّن من اجل المأدبة التالية، وكان رجل واحد اسمه ايلانوم مسؤولاً عنها جميعاً.

الخيول:

حين اكتشفت الكلمة التي تدل على الخيول اثارت دهشة عظيمة بين العلماء الدارسين لان النظرة العامة ان الخيول لم تكن قد دجنت حتى اواسط الالف الثاني قبل الميلاد. وكانوا يعوّلون على المقدار الضئيل من

الادلة المتاحة آنذاك ان الغزاة الهند واوربيين الذين يدعون ميتاني قدموا فن تدريب الخيول ولا سيما لسحب العربات ذات العجلتين اول مرة. وعلى الرغم من صحة القول ان العربات التي تسحبها الخيل لم يكن لها اي دور في الحرب اوائل الالف الثاني قبل الميلاد فلا ريب ان الخيل كانت تربى وتدرب ويتاجر بها وتستعمل لاغراض مختلفة في هذه الحقبة. ويأتي الدليل على هذا كلياً الى حد ما من الالواح التي وجدت في ماري وكارانا وجاكَار بازار.

أولاً، من الواح جاكار بازار، ترد قائمة شعير ((علف، ثلاثة ازواج من التي تشد عليها العدة لكل واحد ١,٥ لتر، س خيول (س لتر لكل واحد... في عهدة المدرب)). الكلمات الاساسية، ((ازواج من التي تشد عليها العدة)) و ((خيل)) محفوظة بوضوح، ومن الواضح من كميات الطعام المخصصة ((للازواج)) حيث يتكون الزوج من الخيول من اثنين او مجموعة من ثلاثة حيوانات. قائمة اخرى من الشعير حصص حبوب لخمسة من سائسي الخيل، كارتابوم، تحت مسؤولية المدرب. ولكن هذين النصين لا يبينان الاغراض التي تقوم تلك الخيول ومتعهدوها بعمله. رسالة من كارنا تعطي معلومات موثوق بها: كتب عقبة- حمّو الى ايلتاني:

((هل يمكن ان تنقل الخيل فوراً صندوق الاكواب الفضية الموضوعة في رعاية حاملي الكؤوس (السقاة) الى حامل رسالتي)).

وهكذا فإن الخيل، سواء المخصصة للنقل أو الركوب، كانت تستعمل للنقل السريع لمواد صغيرة في كارانا. وقد تجمعت الآن ادلة مختلفة من ماري لاعطاء منظور عن استعمال الخيل في تلك المدينة. وقد



صورة (٤٦): طبعة ختم اسطواني تبين عربة حربية واحدة



صورة (٤٧): طبعة ختم اسطواني تبين واحدة من اقدم العربات الحربية

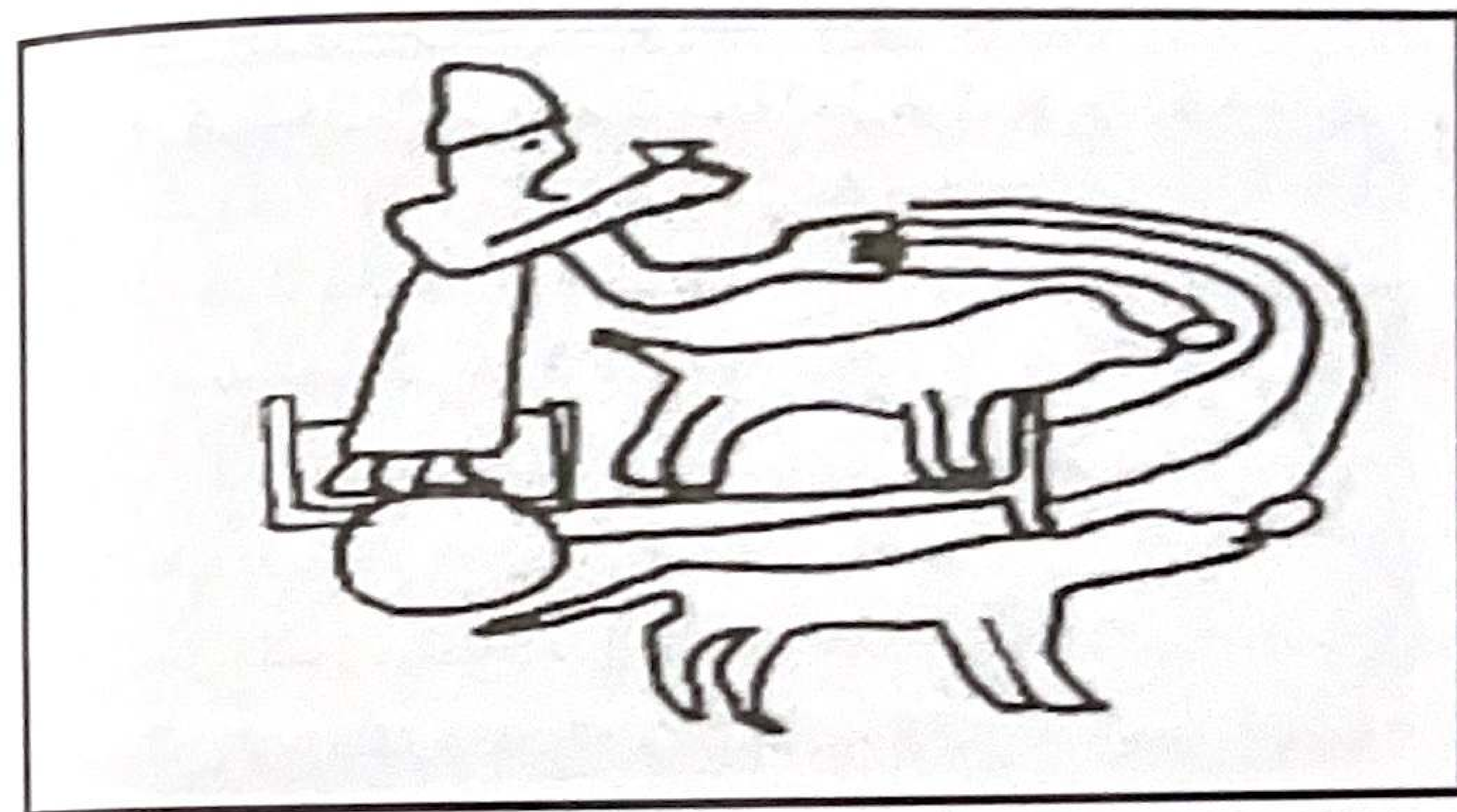
رأينا تواً ان شمشي- ادد يسأل يسمح- عنو ان يرسل من ماري بعض بغاله وخيله وكذلك عرباته ذات العجلتين او الاربع عجلات للاحتفال بالاكيتوم، المهرجان الذي يقام في آشور. يدل هذا النص على ان الوصي في ماري كان يحتفظ باصطبل للخيل وان الخيل كانت تستعمل في المواكب الدينية. وفي رسالة اخرى الى زمري- ليم من سومهو- رابي (الذي ربما سبق يقيم- عنو حاكماً على ساكار اتوم)، نعرف ان زمري ليم ارسل مندوباً الى ايلاهوت بلاد الشمال، يرافقه دليل من البلاد مع عشرة حمير تحمل خشباً، وحصان واحد. ويبدو انها قافلة تجارية صغيرة في رحلة نقل قصيرة نسبياً، ولم يكن الحصان مستعملاً لنقل الخشب، بل لعله كان هدية من زمري- ليم الى حاكم ايلاهوت.

واضح ان الخيل كانت مناسبة للتبادل الملكي من رسالة ايشي- عنو ملك قطنا الى اشمي داكان يشكو فيها انه تسلم كمية تافهة من ((القصدير)) مقابل حصانين. رسالة اخرى كتبها زمري- ليم الى السيدة ادد- دوري تذكر قطنا بانها مصدر للخيل، نخمن منها ان قطنا كانت مركزاً لتجارة الخيل وربما لتربية الخيل طوال عقود كثيرة، منذ فترة عدم وجود الآشوريين في ماري الى حكم زمري- ليم. وعلى الرغم من ان هذه الرسالة مكسورة فانها تقدم توجيهات بخصوص الاصطبلات واطعام الخيل التي من الواضح انها وصلت تواً.

وكتب الملك المتحمس: ((بشأن الخيل البيض من قطنا التي تسمع عنها دائماً، تلك الخيل اصيلة حقاً)). وورد ذكر حصان ابيض آخر في نص مكسور، ولكنه كافٍ ليبعث على التأمل، هل كان الحصان الابيض اثمن نوع واكثرها هيبة؟ وهل توجد اي صلة بين هذه الخيول البيض في وقت مبكر وعادة تكريس خيول بيض الى الاله آشور في العصر الحديدي الآشوري الحديث؟ او العادة البابلية في استعمال حصان ابيض لسحب عربة مردخ في الطريق المقدس في بابل؟ وقد حاول زمري- ليم



صورة (٤٨): طبعة ختم اسطواني تبين عربة حربية مبكرة



صورة (٤٩): عربة يجرها حيوانان متشابهان ربطت الاعنة بحلقات في الانف



صورة (٥٠): لوح من الصلصال يبين فرساً وفارساً من بلاد الرافدين.
العنان مربوط بحلقة في الانف



صورة (٥١). طبعة ختم تبين عربة حربية من عهد متأخر

في مناسبة اخرى الحصول على خيول بيض من كركميش من غير جدوى. فكان عليه ان يرضى بخيول ((حمر)) من مدينة هارسامنا الاناضولية الواقعة جوار كانيش. كانت مدينة هارسا منا هذه ترتبط بجبل أو سلسلة جبال عرف في ما بعد بـ((جبل الخيول)) [٦]. تعطي هذه الرسائل كلها انطباعاً بأن تجارة الخيول كانت امتيازاً ملكياً، ولا يوجد حتى الآن دليل على ان بدو سوتو في البادية السورية كانوا يملكون او يتجارون بالخيول. ولا نعرف ما نوع الخيول الموجودة ما عدا وجود دليل الآن لحصان بحجم صغير من تلك الحقبة.

اما التفاصيل عن هيئة الاصطبل والعدة والسائسين مذكورة بايجاز في نص واحد عن ماري. وهناك قائمة فيها معلومات اكثر عن مواد العدة التي تسلمها موظف من موكانيشوم:

واقية صدر من الطراز الاول عدد (٢)، اشياء كوماكوم من الكتان عدد (٢)، هيروم من الكتان يشد على المقعد عدد (١)، ابازيم من اللطراز الاول العدد (٤ أزواج)، أعنة من الطراز الاول العدد (٤)، غمامة جلدية على عيني الحصان العدد (زوجان))).

في هذا الوقت كان يسيطر على الخيل بحلقات انفية مع زوجين من الاعنة التي تربط بها. وقد عرف ذلك من الواح طين نضيج واختام، ويصدق ذلك على حيوانات الجر وخيول الفرسان [٧]. هذه الشكيمة لم تكن قد اخترعت حتى القسم الاخير من الالف الثاني، لذا فإننا لا نتوقع ان نجد كلمة لها في قوائم العُدة .يبدو في الحقيقة ان اختراع الشكيمة الحلقية كان بشيراً لتطور العربات ذات العجلتين المستعملة للحروب. وكان الفرسان يجلسون الى الخلف على خاصرة الحصان بطريقة تناسب الحمير والحمير الاخدرية (الوحشية)، ولكنها لا تناسب تشريح الخيل وغير مريحة تماماً لكلا الانسان والحيوان. ويبدو ان بعض التصاوير تبين

الاعنة المصنوعة من حبل رفيع، غير ان نصاً من هذا الوقت من اشنونا يبين حصة من الزيت لتزييت أعنة جلدية [٨].

قائمة اخرى تقدم تجهيزات العربات:

((٤ عجلات مالالو، ٢ عجلتان هالو ومالالو، ٣ أشياء كا ماكو خشبية، ٣ ملحقات للمقاعد، ٢ عدة صفراء، ٨ أعنة، ٤ أزواج غمامات عيون جلدية، ١٠ أزواج ابازيم)).

قرب نهاية النص المكسور يتميز فرعان من العربات ذات العجلتين او ذوات الاربع عجلات: عربات (ذات عجلتين)، وعربات (ذات عجلتين) سريعة. وعلى الرغم من اننا لا نستطيع ان نتأكد من ان الخيل وليس البغال كانت تستعمل لهذه المركبات فإن الادلة المتجمعة (ولا سيما ((أزواج الخيل التي تشد عليها العدة)) من جاكار بازار وكلمة في رسالة من ماري قد تعني زوجاً من الخيل) تبين ان العمل بالعربات كان يتطور من دون مساعدة هندو اوربية. على انه يجب التأكيد على عدم وجود دليل حتى الآن على عمل العربات في المعركة، ولعلها كانت مقتصرة على الاستعراضات والاحتفالات.

تبين رسالة من ايلا- سالم الى يسمح- عدو ان الموظفين الاقليميين ربما كانوا ينتقلون بعربات ذات عجلتين او اربع عجلات لاداء واجب رسمي، بموافقة الملك، ما دام هو الذي يجهزها. ولا تذكر الرسالة ان كانت العربة تسحبها الخيل ام تسحبها البغال.

((اعطاني الملك عربة ذات عجلتين ولكني حين تنقلت بين الريف والجبال انكسرت تلك العربة في منتصف المسافة وانا الآن انتقل ذهاباً واياباً بلا عربة. وإذا سمح مولاي، عسى مولاي، ان يعطيني عربة اخرى لانظم البلاد حتى يأتي مولاي. انا خادم مولاي، عسى مولاي الا يرفض لي عربة اخرى)).

وتبين رسالة اخرى ان تنقل الملك بعربة تجرها البغال اكثر وقاراً من استعمال الخيل، ولعل ذلك ناجم عن ان التدريب لم يكن مستكملاً حتى الآن وفي ذلك مجازفة انقلابها اذا جرّتها الخيول. ونصح بهدي- ليم قائلاً لزمري- ليم:

((يشرف مولاي مقامه ملكاً، وارى انك ملك وثانياً ملك الاكديين، فعلى مولاي الا يركب الخيل، بل عليه ان يركب في عربة (ذات اربع عجلات) تجرها البغال، وبهذا يشرف مقامه ملكاً)).

يبدو ان بهدي- ليم هنا يحاول ان يكبح حماسة ملك عارمة في السيطرة على فنون الفروسية على حساب جلاله وتقاليده الرسمية.

الحيوانات البرية:

في هذهِ الحقبة كان الاسد، الذي انقرض الآن، يجوس منطقة الفرات الاوسط، ويهدد المواشي والناس.

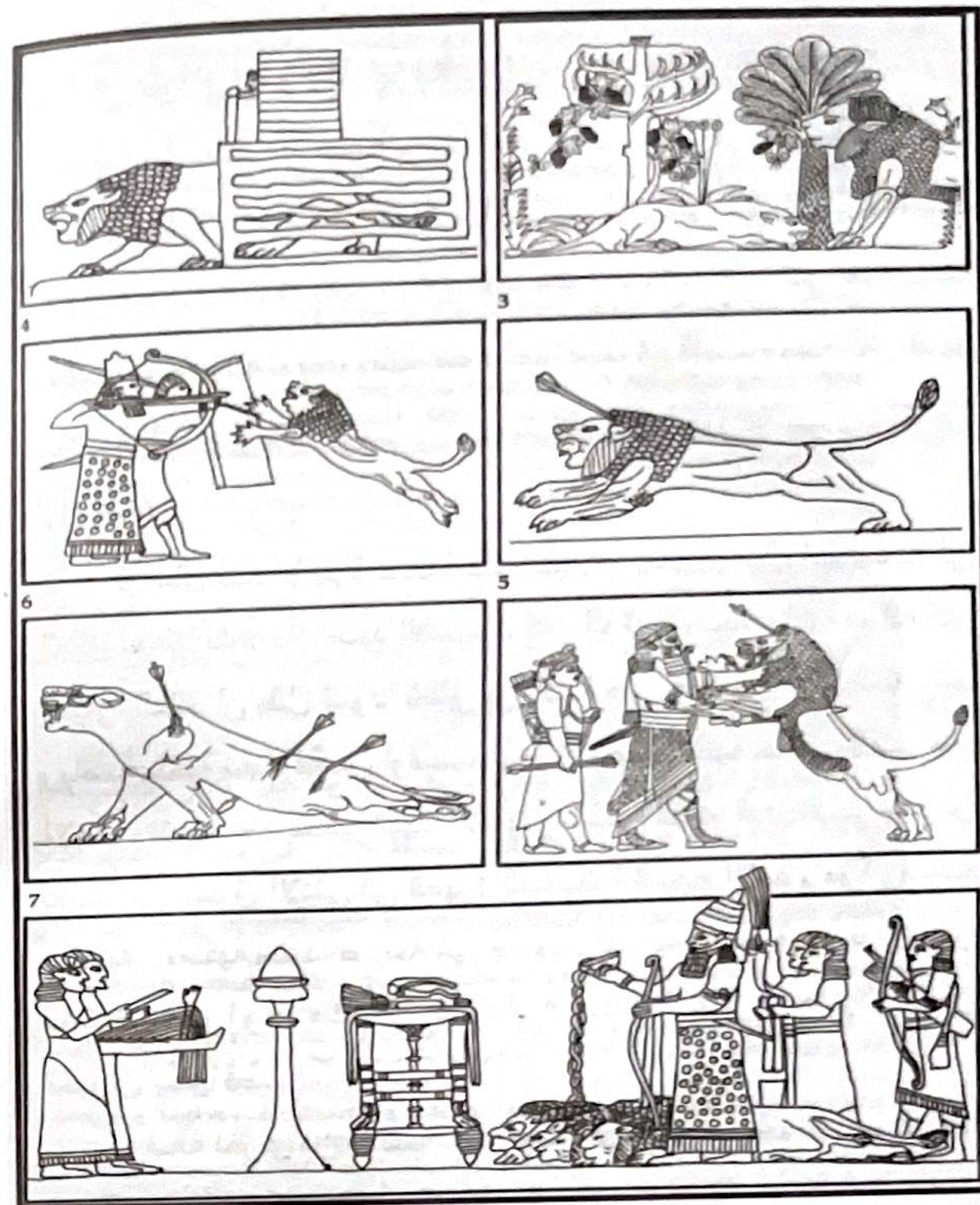
((اكلم مولاي (زمري- ليم) انا عبدك يقيم- عدّو. كتبت الى مولاي قبل هذا قائلاً امسك اسد على سطح دار في مدينة بيت اكّاكا. ليكتب مولاي ان كان يجب ان يبقى الاسد على السطح حتى مجيء مولاي ام هل ارسله اليك؟ تأخر جواب مولاي وظل الاسد على السطح خمسة ايام والقوا اليه بكلب وخنزير ولكنه رفض ان يأكل. وخشيت ان يسوء طبعه فوضعته في قفص من خشب ووضعته في سفينة وارسلته الى مولاي)).

رسالة اخرى من يقيم- عدّو ايضاً الى زمري- ليم تخص حادثة مشابهة في مدينة بيت اكّاكا المبتلاة بغزو الاسود:

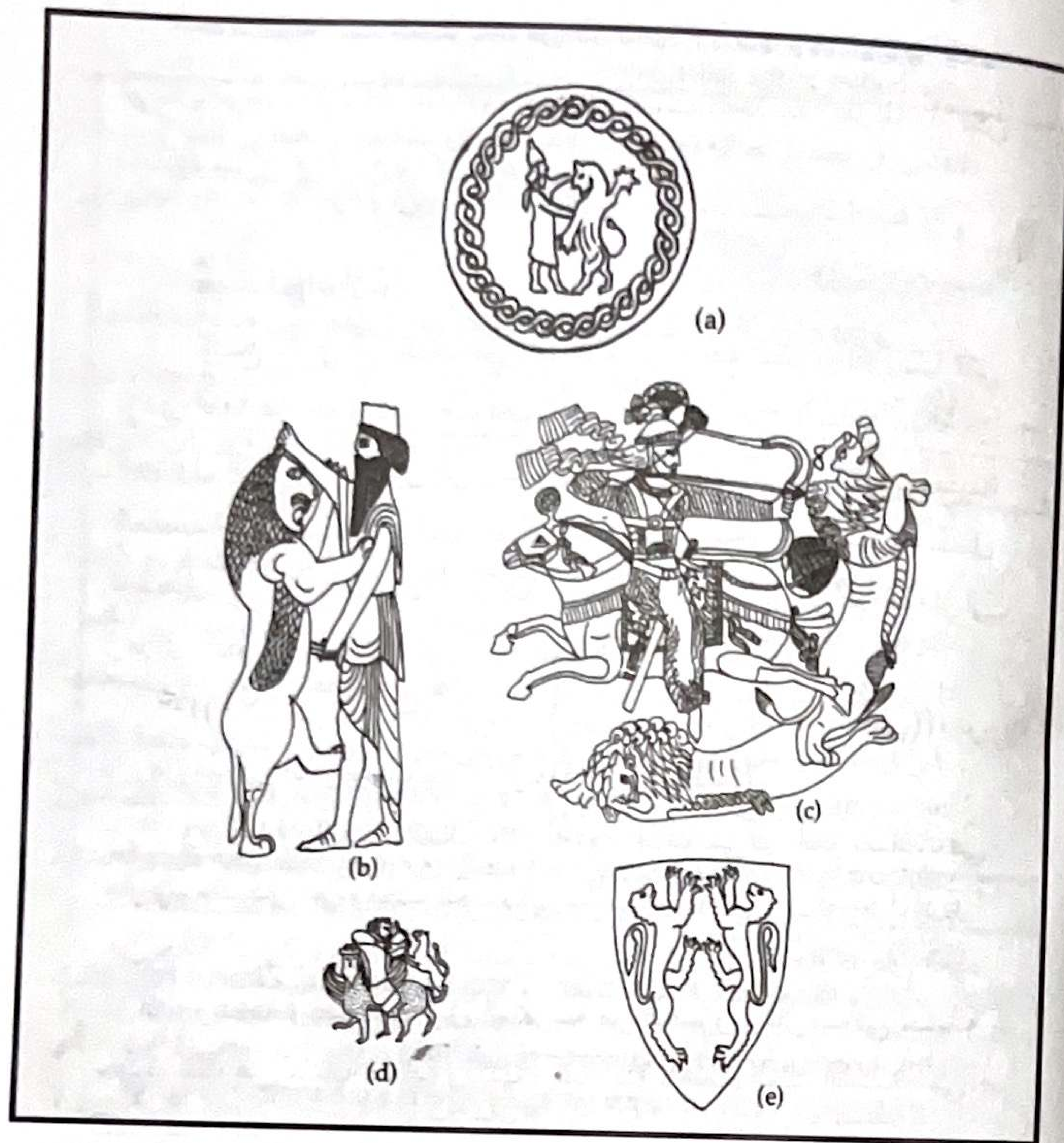
((القي القبض على لبوة فوق سطح دار في بيت اكّاكا ليلاً وفي الصباح اخبروني بذلك فذهبت وامضيت النهار كله في بيت اكّاكا لئلا يقتلوا اللبوة لاني قلت في نفسي (لعلي استطيع الحصول عليها وارسالها حية الى مولاي)). واعطيتها (كلباً) وخنزيراً لتأكل ولكنها تركتهما ولم تأكلهما. وارسلت الى مدينة بيداها لجلب قفص ولكن في اليوم التالي، قبل وصول القفص الي ماتت اللبوة. والقيت نظرة على تلك اللبوة: كانت عجوزاً مريضة. وقد يظن مولاي انهم قتلوا تلك اللبوة، ولكني اقسم بما يحرمه مولاي انه لم يمس تلك اللبوة أحد! وبما ان اللبوة ميتة الآن فقد سلخت جلدها وارسلته ليدبغ [9]. كانت اللبوة عجوزاً حقاً وماتت من الانهاك)).

ان مثل هذهِ الالام المضنية التي تبذل من اجل ارسال اسود حية الى الملك تجعلنا نشك بأن صيد الاسود كان آنذاك تسلية ملكية، وانه كان امتيازاً للملك ان يقتل اسوداً تطلق من اقفاص خصيصاً لرياضته. انها رياضة ملكية معروفة من اوقات متأخرة، وظلت باقية حتى انقرض الاسد. ونتيجة غير مباشرة لهذا الامتياز الملكي القديم الذي بقي يمارس تقليدياً في الشرق الادنى في العهود الساسانية اصبح الاسد رمزاً واسع الانتشار للملكية متخذاً طريقه الى اوروبا الغربية بطرق ما تزال غير مؤكدة. واخيراً وجد مكانه في شعار النبالة الانكليزي حيث لم يكن الحيوان محلياً قط.

رسالة اخرى من يقيم- عدّو ايضاً الى زمري- ليم تبين غزلاناً اصطيدت ومسكت بالشباك على الرغم من ان اللوح مكسور. من الواضح ان حيوانات غير اعتيادية كانت موضع تبادل في هدايا بين الحكام لان نصاً من ماري يذكر قائمة!



صورة (٥٢): سلسلة رسوم من تماثيل صيد اسود من القرن السابع قبل الميلاد



صورة (٥٣): الاسد، رمز لشعار

((١٢ ثوراً، ٤ أيائل (من نوع اليحمور)، دب واحد، ارسلت من شوبر ام ملك سوسه)).

هذه الحيوانات المجلوبة- من المحتمل ان الثيران الايرانية النشأة لم تكن موجودة في الفرات الاوسط -قد رحلت مسافة طويلة، لم تكن بالتأكيد مقرراً ان تذبح بسكين الجزار [١٠].

شبكة المواصلات:

تقع ماري الى جانب نهر الفرات وان جميع الطرق تقريباً التي تؤدي اليها هي طرق نهرية. وفضلاً عن الانهار تغطي المملكة شبكة من الجداول التي تربط المدن الرئيسة ولا سيما تيرقا وساكّار اتوم بمدينة العاصمة ماري. لذا فإن الملك يسافر احياناً بسفينة وهي وسيلة نقل تستحيل على حاكم كارانا المحاطة بارض يابسة. وتبين قوائم الطعام ان زمري- ليم كان احياناً يتناول وجبات طعامه على سفينة:

((١٧٠ لتراً من خبز كوم، ٦٠ لتراً من الخبز ((الحامض))، س لتر من طحين اسقوقو، تجهيزات رحلة لسفينة الملك)).

وبما ان النقل المائي كان له دور اساسي في المواصلات في ماري، فقد كان من واجب الحكام في ساكاراتوم وتيرقا ان يقدموا تقريراً عن حالة الانهار، ويصونوا السدود (خزانات الماء) لتوجيه جريان الماء الزائد، والحفاظ على الجداول المتفرعة من الخابور والفرات في حالة جيدة. تلك هي مسألة محلية ولكنها مهمة جداً لاهتمام الملك الشخصي. كتب يقيم- عدّو:

((في وقت سابق عندما كان الخابور في حالة فيضان بسبب ارتفاع مياه الخابور اصلحت السد القديم. وهل سمع مولاي عنه حين قال: (السد مدمر)؟ لا يوجد في الحقيقة اي دمار، واصلحته وجعلته في وضع جيد.

ولكن قبل ان يعينني مولاي على منطقة ساراكاتوم، امرت كيبري داكّان ان يبني سداً (خزاناً) واسعاً... وبعد ان عينني مولاي رممت اربعة صدوع. وان جميع السدود الاخرى في حالة سيئة،وكان عليّ ان اجعل السداد الترابية اكبر بذراعين. ويجب ان يكتب مولاي بحزم الى كيبري داكّان ان يجمع عماله، وسوف اجمع عمال منطقتي ونصون ذلك السد، وإلا فسوف يحدث دمار، ولن يكون ذلك ذنبي. وان ذلك السد ليس من مسؤوليتي)).

ولما كانت المدن ضمن حدود مملكة ماري تقع على ضفاف الانهار فإن جميع انواع البضائع كانت تنقل بالسفن. والاشياء الثقيلة جداً كانت تنقل على اطواف (اكلاك) التي ربما كانت تسحبها حمير من طريق الجر.

وهناك ثلاث سلع خاصة كانت تأتي الى ماري بالسفن وكانت تفرض عليها ضريبة عند مرورها بنقطة قرب تيرقا. الاولى هي الخمر [١١]. وكان موظف الكمارك نوموشدا- ناهراري يأخذ الضريبة ويسجلها في رسالة ترسل الى رئيسه الاعلى في ماري، وهو رجل اسمه ادّينيا توم. وكانت نسبة الضريبة ١٠ بالمئة تؤخذ اما بالفضة او كحصة من البضاعة. كان الخمر يأتي في سفن تحمل ٣٠٠ جرة، سعة كل واحدة منها عشرة لترات، وسعتها ٦ أطنان.

والسلعة الثانية هي الشعير. ولاسباب غير واضحة حتى الآن كانت ماري تستورد كميات من الحبوب: ٣٦٠,٠٠٠ لتر من (نهور) في اعالي الخابور، و ٣٦٠,٠٠٠ لتر اخرى من (ايمار) في اعالي الفرات. ولا ندري حتى الآن هل كانت الاستيرادات نتيجة ازمة اقتصادية في اثناء حكم زمري- ليم، ام ان المركزية في ماري دعت الى طلب الطعام الذي فاق الانتاج كثيراً.

ولكن رسالة من يسيم– سومو تقدم تفصيلاً مهماً:

((بخصوص السفن التي كانت مستعدة لحمل الحبوب من ايمار، لم تعد تلك السفن متيسرة. وقد حان موسم الحصاد ولم يصلوا لجمع الحبوب في المكان. من الآن فصاعداً ولمدة خمسة أشهر (أو حتى الشهر الخامس)، لن يجعلوا السفن جاهزة، وحتى إذا كانت جاهزة ووصلت، وحتى إذا كانت تلك السفن مملوءة بالحبوب، فلن يرضوا ان ترجع خالية. والآن، اذا بدا ذلك صحيحاً لدى مولاي، فهل يمكن ان يرسل لي مولاي خمسة مئات من الفضة ويدعني ويدع اصحاب الدين الذين يعيشون في ايمار ان نستأجر عشر سفن ذات سعة ٣٦,٠٠٠ لتر حتى انقل ٣٦٠,٠٠٠ لتر من الحبوب الى ماري؟)).

يبدو من الرسالة هذه ان تجار السفن الاعتيادية لم يستطيعوا استئجار عمال في موسم الحصاد وعندما تسدد الديون وتشبع البطون. وفضلاً عن ذلك انهم لم يوافقوا على أخذ حمولة ما لم يضمنوا حمولة لرحلة العودة. لذلك فقد وفى ملك ماري بوعده في انفاق المال على عجل لتأمين المؤن للعاصمة. وبما ان حصاده الخاص كان ضعيفاً فإنه كان يشتري الحبوب من الخارج في ارخص وقت على الرغم من المصاعب.

وعلى الرغم من ان الحبوب لم تكن تنقل في ما وراء ماري فإن الضريبة كانت تستوفى بالنوع (اي من البضاعة) وليس بالفضة. فقد أخذ ٥٤٠ لتراً من احدى السفن ولكن كانت الحبوب احياناً تنقل في سفن صغيرة)) وكان يؤخذ منها ٢٤٠ لتراً للضريبة.

والسلعة الثالثة هي احجار الرحى. سفينة احجار الرحى لصاحبها بيلي ليوور كانت محملة بـ ٢٠٠ حجر رحى، استوفى ٦ $\frac{1}{2}$ شيقلاً من الفضة للضريبة)).

((سفينة كوزاري لا حجار الرحى، كانت محملة بـ ٥٦ حجر رحى. ولم يكن يحمل اي فضة فأخذوا ٦ أحجار رحى للضريبة)).

وإذا لم يستطع نوموشدا نهراري تفتيش حمولة وأخذ ضريبة فإنه يرسل رسالة الى اديتيا توم في ماري:

((سفينة زومان لم تفتش ولم تؤخذ منها ضريبة، خذ الضريبة)).

وحدث الشيء نفسه لحمولة من القير. ((سفينتا القير التابعين لسين بيل ابليم وبونينه. آبي لم تفتشا ولم تؤخذ منها ضريبة. خذ الضريبة منهما)).

كان كل سجل يؤرخ بدقة باليوم والشهر.

توجد رسالة من ياسيتوم الى مراقب الضرائب اديتياتوم تصف محاولة غير ناجحة لتهريب الخمر بسفينة:

((من السفينتين اللتين تحملان خمراً العائدتين الى ايباتان، كانت جوانب احداهما مملوءة خمراً وصلت قبل شهر وعدا ذلك فانه دفع حصته من الضريبة. خذ ٣٠ جرة خمر ضريبة عن ٦٠٠ جرة خمر يحملها)).

ولا توجد حتى الان مجموعة سجلات مماثلة تتناول القوافل البرية وضرائبها. ليس لدينا في الحقيقة اي معلومات عن حجم هذه القوافل وتكوينها واين تتوقف وماذا تدفع. ولا توجد اي معلومات عن الطرق التي يسلكها المهربون المعروف انها موجودة بين التجار الآشوريين في كابادوشيا قبل قرن أو أكثر [١٢]. ولكن يمكن ان تجمع بعض التفاصيل من رسائل مختلفة. ولما قدم حكام زمري– ليم المحليين تقريراً اليه عن المبعوثين الأجانب الذين كانوا يقدمون الى ماري، فإنهم اعطوا بعض التفاصيل العرضية.

المرافقون:

كان المبعوثون يقضون السفر في مجموعات، وكان لكل واحد منهم مرافقه الخاص، أليك ابيشو، الذي يوفره الملك في اقليمه الذي كانوا يسافرون فيه. وقدم يسهدي - ليم تقريراً عن وصول مجموعة من المبعوثين الاجانب الى تيرقا قائلاً:

((وصلت مجموعة من المبعوثين من يمحد وقطنا. اني ايشتاران و يلقي ايل و اوتلي عشتار، ثلاثة مبعوثين من بابل. وصلوا ايضاً من يمحد مع مرافقيهم سامو ايشار وهو نفسه مندوب من يمحد. انهم مسافرون الى بابل. سن ايلي مبعوث من ايكالاتوم مع زولوان، مرافقه من يمحد، مسافر الى ايكالاتوم.

ياريا عنو، مبعوث من قطنا مرسل الى مولاي: جاء من غير مرافق. والآن هيئت رجلاً ليرافقه وارسلته الى مولاي)).

كتب يقيم - عنو الى زمري - ليم:

((مبعوث من كركميش، مع نابيي - عنو وملتو يلتي ايل مرافقين له من مولاي، وصل تور يحتون - ليم)).

كان المبعوثون يسافرون مع قافلة. وقد قال ايتين توموشدا عن مبعوثين احتجزهم حتى تسلم اوامر من سيده:

((غادرت القافلة يوم اول من امس. وسوف يذهب المبعوثون مع القافلة التالية)). وحين غضب حمورابي البابلي واراد الاعراب عن استيائه الى ملك عيلام، تكرر وانه صرح:

((سوف اعيد المبعوثين العيلاميين الى سيدهم من غير مرافقين!))

وفي كارانا حين اراد تاليوسونا عنو ان يرسل اثنين من خدمه الى الملك عقبة حمو، كتب الى ايلتاني قائلاً:

((اعطني رجالاً ليرافقهم (موشاليمي) ودعهم يؤمنوا وصولهم سالمين)).

الملك الذي يدفع جزية الى ملك اعلى يسافر شخصياً مع قافلة جلبت البضائع التي دفعت منها الجزية.

((سوف آخذ كثيراً من الثياب مع جزيتي الى بابل)) هكذا كتب عقبة حمو حين وافق على تفوق حمورابي عليه. ولكن حين جاء دوره ان يكون سيداً اعلى لما غزا حاكم شيروون المفلس المثير للشفقة، تلقى جزية بدوره على الرغم من ان البضائع اضطر التابع الفقير الى استعارتها من سيده الاعلى.

وان الرجال الذين جلبوا البضائع وقادوا القوافل تناولوا طعامهم في القصر. ويذكر احد النصوص قائمة بقطع لحم غنم كبيرة للرجل البابلي، والرجل من هازور والرجل من يمحد والرجل من كركميش والرجل من ايمار والرجل من اشنونا.

وما زلنا لا نعرف حتى الآن الى اي حد كانت القصور تقوم مقام منازل المسافرين (الفنادق) حيث يستطيع التجار المسافرون ان يرتاحوا ويتناولوا طعامهم.

كانت التجارة والدبلوماسية وثيقتي الصلة ما دام ملوك الدويلات الصغيرة او مبعوثوهم السياسيون المطلقو الصلاحية يسافرون مع قوافلهم التجارية، ولهذا كان من المهم معاملة بعض الشخصيات باحترام. كان احتجاز قافلة او سعاة مدة طويلة لابداء الاستياء واهانة ملك البلاد التي جاءت منها. وكان من عدم اللياقة ان تصل قافلة ملكية من غير كمية سخية من الهدايا.

ان الانسجة التي كانت تصنعها ايلتاني في قصرها في كارانا غالباً ما كانت تذهب مباشرة الى حمولة احدى القوافل. ولم يكن يوجد فرق

عظيم بين الهدايا والجزية، ولم تكن الكلمات المستعملة واضحة دائماً، عقبة- حمّو نفسه دفع جزية[٦٣] الى بابل في شكل انسجة.

((اكلم ايلتاني، انا عقبة- حمّو. سوف آخذ كثيراً من الانسجة مع جزيتي الى بابل... ارسلي لي فوراً قدر ما هو متوفر)).

رجل اسمه لاؤم كتب رسالة مفصلة الى زمري- ليم واصفاًكيف استقبل هو وقافلته في بلاط حمورابي، ملك يمحد.

((اكلم مولاي، خادمك لاؤم. دخلنا لتناول الطعام مع حمورابي ودخلنا فناء القصر واعطونا انا وزمري عدّو وياريم عدّو -ملابس لنلبسها، ورجال يمحد الذين دخلوا معنا اعطوهم ملابس ليلبسوها حتى صار كل واحد لابساً زي يمحد. ولكن خدم مولاي رسل الشا سيكيم، لم يعطوهم ملابس، لذا تكلمت نيابة عنهم الى سين - بيل- ابليم قائلاً:

((لماذا تفرق بيننا كأننا لصوص؟ خدم من نحن وخدم من رسل الشا سيكيم؟[٦٤] نحن جميعاً خدم مولاي)).

قارن معاملة رجال ماري تلك خارج البلاد بهذه الرسالة عن جماعة من العيلاميين في ماري:

((اكلم مولاي، انا يسيم- سومو. كما كتب لي مولاي بالضبط، جلبوا جرة خمرة، وخروفين ممتازين وبعض الثلج من مولاي، واخذوها الى العيلاميين. وكتب لي مولاي قائلاً:

((العيلاميون متلهفون لوجبة طعام، وهم منزعجون بشأن وجبة الطعام وهداياهم[٦٥].

اما انت نفسك أو أحد حاشيتك يجب ان تنظر في القضية)).

فارسلت ياتار- عدّو ينظر الى السفينة وتجهيزاتهم، ووجد انهم غير منزعجين ابداً بشأن هداياهم أو وجبات طعامهم، انما هم منزعجون بشأن عمل القصر، واخبروا ياتار- عدّو كل شيء عن ذلك. لذلك ارسلت الآن ياتار- عدّو اليك لكي يطلب مولاي منه تقريراً كاملاً)).

وإذا توقعوا حدوث مشكلة فإنهم يرسلون مبعوثاً مع القافلة، او مبعوثاً يرسلونه بعد ذلك إذا تعرضت القافلة الى مصاعب في بلدان اجنبية. كتب يسمح- عدّو الى حمورابي البابلي قائلاً:

((قبل مدة قصيرة ارسل ((اخوك)) (اشمي- داكان مع قافلة الى تيلمون (البحرين). ثم انطلقت تلك القافلة عائدة الى الوطن، ولكن ايلي- ابيوه احتجزها للنزاع بشأن بئر. الآن، ارسلت س وايمكاروم ليرافقا تلك القافلة الى بابل اليك. لتحتجز تلك القافلة لديك حتى يكتب اليك ((اخوك)) قائلاً انها يمكن ان تغادر. ((اخوك)) بخير، ومدينة ايكالاتوم بخير، انا بخير ومدينة ماري بخير)).

ان مثل هؤلاء المبعوثين الذين يرسلون في ظروف خاصة كانوا يختلفون اختلافاً واضحاً عن المبعوثين النظاميين الذين كانوا يهتمون بجماعات المسافرين داخل المملكة. وفضلاً عنهم، قد يقرر الملك ارسال مبعوث عسكري، صابوم تقريباً توم، مع قافلة حتى حدود مملكته إذا كان هناك نذير بشؤم.

كتب يقيم- عدّو مرة تقريراً عن وصول سورا- حمّو الى مدينة هوهرو قائلاً:

((بلشونو، ويوصي- ابل، رعايا مولاي، ومبعوثوه، ما يزالون معه، مئة جندي قادمون معه ايضاً)).من الخطأ محاولة التمييز بين المسافرين الدبلوماسيين والمتاجرين، لأن كثيراً من التجارة كانت تنقل الى الخارج لتبادل الهدايا بين الحكام. ولكن لا بد من وجود تجار مستقلين لا يحملون اخباراً شخصية من حكامهم. ولن نتوقع وجود سجلات لهم بين سجلات القصر- ومن المهم تذكر ان كل سجل في الموضوع عن ماري وكارانا وجاكّار بازار يأتي من قصر، ومهما كان عددها عظيماً فإنها لن تعطي رأياً متوازناً.

كان سير التجارة على الطرق العامة منتظماً. وقد اكد لاماساني الذي يسكن في آشور لايلتاني في كارانا قائلاً:

((القافلة تأتي بانتظام)). وقد وصفت رسالة مكسورة من شمشي ادد الى يسمح- عدّو كيف انطلقت احدى القوافل في رحلة: اخذوا الفأل، وزود الرجال بقرب الماء (وربما باحذية خفاف) ومؤن تكفي عشرة ايام لتديمهم حتى يصلوا مقصدهم في قطنا[١٦]. وليس من السهل تقدير معدل حجم القوافل. احد الادلة جاء من رسالة تصف كارثة المت بالمسافرين:

((ايلي – ايدينام، مبعوث مولاي، الذي ارسله مولاي الى ايلاهوت، وتوليش مبعوثة من ايلاهوت، والحمير العشرة التي كانت تحمل خشب الارز الابيض[١٧] والحصان الذي جلبوه -بين مدينتي (أ) و (ب) شنت غارة على اولئك الرجال. وقتلوا ايلي – ايدينام، وخدمه الاربعة، والحانيين الاثنين اللذين كانا معه، وتوليش الرجل من ايلاهوت مع خدمة الخمسة وخادمته. واخذوا الحمير العشرة والحصان الذي جلبوه. لم ينج من اولئك الرجال سوى رجلين من رجال مولاي وثمانية رجال من ايلاهوت)).

ان جماعة بهذا الحجم لم تكن كبيرة حتى تستطيع منع قطاع الطرق ومن المحتمل ان التحذير المبكر للفأل الذي أخذوه قد اخفق في هذهِ المناسبة.

ويوجد دليل على إعداد أكبر: ٥٠ نومهيين و ١٥٠ بابليين كانوا يرافقون ملك كورداء، سيما هلانة، الى ماري. وقد تكون هذهِ الحالة غير اعتيادية لان سيما هلانة ربما دُحر وطرد من عاصمته كاهات[١٨]. وتعطي رسالة اعداداعلى كثيراً لان قافلة حانيين شبه بداة تحمل حبوباً وصوفاً في اعلي بلاد الرافدين: كان لدى الحانيين ٣,٠٠٠ حمار. وفي رسالة الى زمري- ليم نسمع عن قافلة لم يسمح لها بمواصلة المسير من غير اذن من كارانا الى كانيش في اثناء حكم اشكور- عدّو:

((٥٠ حماراً ورجالها (من القافلة) واصلوا الذهاب الى كانيش، ولكن البقية حجزهم)).

ويمكن ان يستدل من الرسائل ان الرسل (السعاة) الذين حملوا الواحاً من موظفي المنطقة الى الملك سافروا اسرع من القوافل ولذلك لم يسافروا دائماً معهم. ولسوء الحظ فإن الكلمات الحقيقة لا تفرق بين مثل هذا الساعي و المبعوث أو الرسول الملكي. الأول غالباً ما يشار اليه بأنه خادم، صوهاروم، ومن الممكن ان يسافر وحده على بغل او حصان داخل مملكته الوطنية. ولا يوجد اي دليل قاطع على ابدال السعاة الراكضين او الراكبين بمحطات بريد. تذكر إحدى الرسائل ان ساعيين راكضين رافقا مبعوثاً من كركميش ولعلهما كانا كمن سعاة البريد. رسالة اخرى تقول ان السعاة السريعين، صوهارو قالوتيم ارسلوا لاحباط حركات جند لم تكن ضرورية.

((اكلم يسمح- عدّو، انا اشمي- داكان. عن اشارتي المشاعل اللتين رفعتهما ليلاً، ألم تلاحظ ان البلاد كلها قد تأتي للمساعدة؟ ارسل رسائل الى جميع بلاد انداريك وبضمنها منطقة هاسيدانوم، وبضمنها منطقة نوروكوم، ارسل سعاتك السريعين ليقولوا: (عدد كبير من الاعداء ذهبوا للاغارة على الريف، لهذا السبب رُفعت اشارتا المشاعل، ولكن لا حاجة الى ان تأتوا للمساعدة)).

كان هناك نظام مراكز محمية، تنطلق منها عمليات شرطة راكبة تسمى بازاهاتوم. قد تكون هذهِ مراكز (مخافر) حدود أو محطات ابدال على الطرق العامة، أومراكز شرطة. ولا توجد حتى الآن اي صلة محددة بين هذه المراكز وبريد السعاة. لقد وجدت للمساعدة في تعقب المجرمين والهاربين والقاء القبض عليهم ولكن لا يوجد مفتاح صغير يمكن ان يشير الى انها كانت تستعمل محطات بريد. يقيم- عدّو كتب تقريراً الى زمري- ليم:

((في اليوم الذي ارسلت هذه الرسالة الى مولاي وصل زو- هتتي من يمحد. ولم اسأله حتى الآن عن اخباره، ولكن رجال مراكز باز اهاتوم اعلنوا (وصوله الي)).

((في اليوم الذي ارسلت هذه الرسالة الى مولاي، وصل داريا وخشب الارز الى تيلا زبيوم واعلن رجال مراكز باز اهاتوم (وصوله اليّ، وحالما يصل سوف ارسله الى مولاي)).

ولا يرد في اي من الرسالتين اي بيان عن اعتداء يفسر زج الشرطة لذا فإن التفسير الافضل قد يكون ان المراكز فضلاً عن وظائفها البوليسية، كانت تستقبل المبعوثين قبل ان يصلوا المدينة، ولذلك يقدمون تنبيهاً مقدماً الى الحاكم.

اشارات المشاعل:

لعل الطرق في تلك الايام كانت مطروقة فقط. وليس ثمة دليل حتى الآن من هذه النصوص اي تبليط (اكساء سطحي) او عن جسور الوديان والجداول والانهار على الرغم من ان الجسور ذكرت في الواح معاصرة من بلاد الرافدين السفلى [٢]. ومن المحتمل ان المعديات (مراكب العبور) والمخاضات (الاماكن التي يمكن عبورها خوضاً) هي القاعدة. ولم يشهد على صحة ((الطريق الملكي)) في العصور التالية الذي نال حظاً من الاكساء في الاماكن الصعبة. لذا فإن الاحوال الجوية كانت تؤثر في انظمة السفر الى حد بعيد.

وقد قرر شاريا ملك رزما السفر الى ماري ولكنه اضطر الى تأخير مغادرته بسبب مطر غزير. وكانت تقارير عن الطقس المحلي من حكام من المناطق ترسل بين حين وحين الى العاصمة ولعل ذلك بسبب تأثير الاحوال الجوية الرطبة في ترتيبات السفر، ودقة مواعيد البريد. وكانت

اخبار المطر الغزير تنقل في اغلب الاحيان. وقد أثر المطر ايضاً في استعمال اشارات المشاعل، وهذا مثال آخر جرى وصفه في الرسالة الآتية:

((امس خرجت من ماري وامضيت الليل في زوروبان، واليامانيون جميعاً رفعوا المشاعل، من سوما الى ايلوم- مولوك ومن ايلوم- مولوك حتى ميشلان. جميع مدن اليامانيين في منطقة تيرقا رفعوا المشاعل جواباً. وانني لم استطع حتى الآن ان اجد السبب لتلك المشاعل، ولكني سأحاول ان اجد السبب وسوف اكتب الى مولاي. ولكن ليتقوى حرس ماري، وعسى ان لا يخرج مولاي من الباب)).

في رسالة اقتطفت سابقاً اتضح ان اشارات المشاعل شملت كثيراً من امبراطورية شمشي- ادد ويمكن ان تستعمل لاستدعاء امدادات عسكرية فورية. اشارتان من المشاعل تعنيان ((اسرعوا للمساعدة)) في حين ان اشارة واحدة من مشعل يمكن ان يكون لها اكثر من معنى، وسببت الالتباس:

((اكلم مولاي، انا زيدريا خادمكم. كتب لي مولاي عن اشارة المشاعل قائلاً: لماذا رفعت اشارة المشاعل؟ ألم يصدر الامر لرفع اشارة مشاعل من ((هانا)) ومن هنا فقط؟ هذا ما كتب لي مولاي؟. حسناً، حين ارى اشارة مشعل لن ارفع اشارة مشعل، ولكن حين ارى اشارتين فإنني سأجمع البلاد وارفع اشارتين)).

ان المنطقة المحيطة بالفرات الاوسط وعلى طول الخابور الاسفل ارض مستوية، وان روابي المدن القديمة تبرز فوق مستوى السهل، وان الحصون القديمة ظاهرة جلية، في مثل هذه الاحوال الطبيعية بلا ريب ان الاشارات النارية بدت وسيلة اتصال سريعة إذا كانت قابلة للتكيف. ولكنها لم تعتمد على الاحوال المناخية فقط، بل على خطأ الانسان ايضاً.

((اكلم يسمح- عدّو، انا هابيل- كينوم. كتب مولاي قائلاً: ان اشارتي مشعل رفعتا ولكننا لم نر اشارتي مشعل مرفوعتين قط. في اعالي البلاد اهملوا اشارة المشاعل ولم يرفعوا اشارة مشعل، يجب ان ينظر مولاي في مسألة اشارات المشاعل. وإذا كان ثمة اي سبب يدعو للقلق، يجب وضع موظف مسؤولاً عن ذلك)).

وعلى الرغم من المصاعب الباقية بشأن الكلمات المستقلة، فإن النصوص من ماري بنحو خاص بينت ان الاتصالات والسفر كانت منظمة تنظيماً عالياً في اوائل الالف الثاني، وكانت مرنة الى درجة تسمح للتجار والجنود والشرطة والسعاة بالسفر بسرعة وأمان نسبيين، وهم عارفون باحداث انباء الطقس والاوبئة والتغيرات في المشهد السياسي والعسكري. وكان استقرار ورخاء القصور يتوقف عليها.

ملاحظات الفصل

١- جي. ميلارت، العصر الحجري الحديث في الشرق الادنى، لندن ١٩٧٥ ولا سيما ص ١٣٥ وما يليها.

٢- عموماً يستعمل مصطلح عام ولا يستطيع المرء أن يتأكد هل يعني ذلك بغلاً وليس حماراً، على الرغم من ان الكلمة ترجمت بحمار.

٣- من اجل الاطلاع على المراحل والحقب والمناطق التي اصبح الجمل فيها داجناً، انظر ل. ر. بووليت، ((الجمل والعجلة)) هارفرد ١٩٧٥.

٤- يدل (س) على ان القسم الثاني من اسم الرجل لا يمكن قراءته بسبب التلف الذي اصاب اللوح الطيني.

٥- د. كولوث، كتالوك اختام غربي آسيا في المتحف البريطاني اختام اسطوانية، لندن قسم ٢١٤ وما يعاصرها في ص ص ١٠١- ١٠٢ وثمة إشارة محتملة الى البزدرة في الحقبة البابلية القديمة توجد في النص الادبي CT. 155 ii 6.

٦- ((البشور ليتانيز))، تأليف اي رينر في مجلة دراسات الشرق الادنى العدد ١٥ السنة ١٩٥٦ ص ١٢٩ وما بعدها.

٧- ب. ر. س. موري ((دليل مصور لتاريخ ركوب الحصان في العراق قبل الحقبة الكاشية)) في مجلة Iraq العدد ٣٢ سنة ١٩٧٠.

٨- غير منشورة، مقتبسة في ((قاموس شيكاغو الاشوري)).

٩- ترجمة هذا الفصل تتبع ترجمة م. ستول ((بيبليوتيكا اوريتتالس)) العدد ٣٥ السنة ١٩٧٨، ص ٢١٨.

١٠- يسمى الفناء في قصر ماري ((فناء البنات الصغيرات)) (IX 31)

ويمكن ان يشير هذا اما الى حظيرة مسيجة للحيوانات الحية او الى زخرفة جدارية. وفي الفناء ١٠٦ كسرات من جص جداري ملونة تصور عنزين و... على قائمتيهما الخلفيتين على تل.

١١- أ. فينيه ((النحر في ماري))، في ((ارشيف التنقيبات الشرقـيـة)) العدد ٢٥ السنة ١٩٧٤- ١٩٧٧.

١٢- ك. ر. فينهوت ((معالم التجارة الآشورية القـديمة)) ليدن ١٩٧٢ ص ٣١٦ وما بعدها. ١٣ في هذهِ الحالة المصطلح المسـتعمل لا لبس فيه.

١٤- معنى هذا المصطلح غير مفهوم.

١٥- اللوح ٢٢١ vii يسجل تقديم مثل هذهِ ((الهدايا)). وهي قائمة بالفضة والثياب التي اعطيت الى اجانب ذكرت اسماؤهم.

١٦- من ماري مروراً بتدمر الى قطنا في عشرة ايام. قارن ((بيد يكر)) ١٩١٢، تسعة ايام من دمشـق الى تدمر. يؤكد النص اسـتعمال طريق صحراوي ولكنه لا يذكر اي حيوانات استعملت للنقل.

١٧- Juniperus Oxycedrus .

١٨- توجد قـوائم ادارية لرجال في مجموعات يمكن ان تشـير الى جماعات من المسـافرين، ولكن بـعض العلماء يفضل ترجمتها بمجموعات عسكرية.

المعاني الدقيقة في ذلك السـياق لمصطلحـات مفتاح الرموز بـيكيتوم pigittum و اوماتوم ummatum غير مؤكدة حـتى الآن، انظر ستيفاني دالي مقالة في ببليوتيكا اورينتالس العدد سـنة ١٩٧٩ ص ٢٩٢.

١٩- انظر ف. فون سودن ((القاموس الاكدي)).

الفصل التاسع

اواخر العصر البرونزي والعصر الحديدي

اواخر العصر البرونزي:

نهبت القـصور البابـلية القـديمة في ماري وكارانا ودمرت .وكان حمورابي ملك بابل قد بزغ نجمه من بـداية متواضعة ليفوزبامبـراطورية واسعة،وكان زمري ليم عدواً قوياً لم يكن بوسعه ان يرضى بدور ملك تابع، فأعطاه حمورابي مهلة،وانقضت سنة بين اندحـار جيش زمري ليم وتدمير القصر تدميراً تاماً حتى سوي بالارض ،ولم تقم له قائمة قط[1] وكان عقبة – حمو راغباً بتسوية النزاع في بداية الامر ،واننا نجهل ظروف تدهوره ولكنه لم يصمد بعده اكثر من خمس سنوات او اكثر ودمر قصره ايضاًولم يسـكنه احد مرة اخرى قط [2] على الرغم من ان المعبد ظل مستعملاً.

وكانت نتائج الاعمال التدميرية التي قـام بـها حمورابـي واسـعة الانتشار ،ولم يغمر ماري الخمول بعد الف عام من السمو الرفيع حسب بـل انتهت انماط الطرق التجارية القابلة للتطور ،وانقطعت المستوطنة التجارية الاشورية في كانيش في الاناضول، انشطتها بعد اجيال كثيرة من مؤسساتها التجارية الرابحة وكانت المملكة الحديثة الاولى قد بدأت في هذه الحقبة .

وتدهورت القوة الاشورية في اواسط دجلة في اثناء حكم حمورابـي لمصلحة الحوريين الساميين الذين مدوا تأثيرهم من بلاد فارس الى البحـر المتوسط وظهروا بصفة تجار من الدرجة الاولى في حقبة نوزي بعد نحـو ٢٥٠ سنة، وقد سميت هذهِ الحقبة باسم موقـع نوزي الذي يقـع في مملكة عرفة،شرقي دجلة،قرب كركوك الحديثة ،وان عدداً كبيراً من آلاف الالواح تصور المعاملات التجارية في مجموعة صغيرة من التجار خـلال عـدة



صورة (٥٤): كأس زجاجية كبيرة

اجيال وتقـدم لنا معلوماتنا المحـددة عن تلك الازمنة، وعلى الرغم من انها جاءت جميعاً من مدينة واحدة فأنها غير محدودة تماماً في محـتواها،لانها تذكر كارانا مراراً كثيرة [٣] وقد وجد لوحـان صغيران من طراز نوزي في كارانا نفسها [٤] وقد اخفقـت ماري في اسـتغلال ازمنة الرخاء في العصر البرونزي المتأخر (من نحو ٦٠٠ (ق.م) اذا كانت الحجة من الصمت مبررة ،على الرغم من ان (عربة ماري الشهيرة)كان تلامذة المدارس يتذكرونها في اوغاريت[٥]. ان تاريخها الان ينحرف عن تاريخ كارانا،التي على الرغم من ذلك ازدهرت وبقيت مركزاً تجارياً رئيساً لتجار نوزي.

وقد كشفت اطوار واسعة لهذه الحقبة بالتقـنيات في كارانا وكشـفت كثيراً مما له اهمية. فقد كانت بناية عامة واسعة تنتصب على قـمة القـصر البابلي القديم ،ولعلها كانت قصراً لملك من ملوك كارانا كان مذكوراً في لوح من نوزي [٦] . لم تكن المدينة كلها محصنة بل في الحقيقة يبدو من تنقيبـات اخرى ان كثيراً من الثروة كانت مخزونة بكميات واسـعة ومحـصنة في بنايات تحصيناً قوياً تقع خارج المدن. كان يمر خلال مدينة كارانا او بجانبها ((طريق كارانا العظيم))[٧] لان مرور التجارة كان ما يزال المصدر الرئيس لثروتها، مرتبطاً بالانتاج المحلي للانسجة الصوفية. وتخبرنا نصوص من نوزي عن هذا التراث المتواصل للصناعة الصوفية من ازمنة بابلية قديمة، تدل على ان انتاج كارانا كان مشهوراً خارجها ولم يكن مقـرراً اسـتهلاكه محلياً.

كان مبعوثو القصور فوق العادة يرأسون القوافل التجارية كالسابـق.

وكان كثيرمن التجارة يتم في هيأة تبـادل تسـمى هدايا. غير ان التجار المرتحلين الذين يقومون باعمال القصر كانوا يتاجرون ايضاً نيابة عن افراد مخصوصين ، من اجل الفائدة الخاصة [٨] وثمة ثروة وافرة بوسعها ان تجعل

المعبد المهدم يعاد ترميمه. وبعد ان بني المعبد في العصور البابلية القديمة ولعل بسبب الاسس التي لم تكن قادرة على تحمل ثقل سقف تسنده عقود نصف قطرية،او لعل بسب الارض الرخوة، انهار المعبد الضخم جزئياً، وكان من الواجب ان يرفع بدعمه بجدران تقوية، وحصلت في حقبة نوزي بعض الترميمات الاخرى ،وكان المعبد القديم بزقورته مايزال المعلم الرئيس لعمارة المدينة وقد وجد في احدى حجرات المعبد مخزن عظيم للخرز والاشياء الاخرى المصنوعة من الزجاج والمواد شبه المنصهرة[٩] وفي الحقيقة ان الصفة المميزة لهذه المميزات لدى العالم الاثاري هي وجود مواد شبه منصهرة مزججة كانت تنتج بكميات ضخمة. وجد مستودع آخر مشابه في ضريح مقدس في المنطقة المجاورة للقصر .

يحمل كثير من هذه الاشياء الزجاجية والمواد المنصهرة شاهداً على مهارة صناعية عظيمة . وثمة كأس زجاجية فيها زخرفة مطعمة على ارضية زرقاء غامقة تحتوي على طوق من اشرطة مائلة حول الحافة، وطوقين من منحنيات مستدقة الرؤوس حول البدن. الالوان هي الاصفر والرمادي والازرق والابيض تتكرر بالتعاقب ،والقاعدة طوق اصفر ،وثمة قنينة جميلة مصنوعة من مخاريط زجاجية ملونة بالاحمر والاخضر والابيض وتجتمع في تركيب فسيفسائي لتكون شكلاً متعرجاً.

قنينة اخرى ارتفاعها ١٧،٥ سم مغطاة بنقش مرصع في شكل حبال من زهور صفر وبيض وبرتقالية على ارضية زرقاء فاتحة .

موجودات قطنا :

ان صورة الهة والموجوهرات التي قد تعود اليها في هذه الحقبةيمكن ان ترسم من نص فريد استخرج من تنقيبات في مدينة قطنا في ١٩٢٧ [١٠] انه رقيم كنوز الالهة بيليت- ايكاليم، سيدة قطنا [١١] ويبدأ بتمثال صغير للالاهة نفسها مصنوع كلياً من الذهب الاحمر ،وتحمل سيفاً من الذهب الاصفر بيدها ،وكانت تمتلك كثيراًجداً من الخرز المنظومة في قلائد وحلي يمكن خياطتها بالملابس ، واشياء مرصعة بأحجار صفر وزرق او بتقليد لها من مواد مصهورة ،ولعل جميع ذلك قد اهداه متعبدون تعبيراً عن شكرهم ،وكتب على بعضها اسماء واهبيها،كل قلادة كانت مسجلة بقائمة منفصلة تبين انماط الخرز المنظومة فيها ،كان بعضها بيضوياً او اسطوانياً ولكن كثيراً منها كان في شكل حيوانات ،وكانت الاوصاف في النص تتوافق احياناً مع ما موجود فعلاً في المعبد في كارانا ،والمواد هي من ذهب ،او مواد شبه منصهرة ،ومرمر، وعقيق احمر وحديد وتشمل الاشكال ابن آوى ونسراً او عجلاًوذبابة وضفدعاً ونسراً ذهبياً من مصنوعات توكريش،واسداً وتمساحاً وسمكة وصقراً وتيناً وتمراً وعليقاً وخروف - الوم مكسواً بورق ذهبي،وكانت تمتلك ايضاً اشكالاً اخرى من المجوهرات، الواح ذهبية منقوشة، وحلي تلبس على الصدر واقراط واطواق رقبة واساور من اللازورد الحقيقي. شجرة طرفاء من اللازورد الحقيقي . تمثال من اللازورد المقلد (زجاج ازرق شبه منصهر) لرجل اسمه او صور -بيشو .

اربع خرز ذهبية تزن ١٣،٥ شيقلاً من الملك سين - ادو ابن الملك نابليما .

زهرة- صيصا توم من الذهب المرصع بالازرق .

لوح واحد عليه نقش ورقة ذهبية ،وعليه وجه خمبابا من دوروشا ملك قيزا (قادش)



صورة (٥٥): تمثال برونزي صغير لإلاهة حربية من منة البيضا



صورة (٥٦): تعليقة (مدلاة) لخمبابا، من كارانا

يبين النسر والتمساح والصقر التأثير المصري الذي كان قوياً في سوريا في هذه الحقبة، وتوجد ايضاً موتيفات (جزئيات) مصرية في كارانا ففي ذلك الوقت خرج فراعنة المملكة الجديدة من وادي النيل وسيطروا على جزء كبير من سوريا وفلسطين ،ولم يجلبوا معهم الجنود والحكام فقط بل نشروا اشكالاً فنية خاصة بهم تمثل ثقافة مادية متميزة،ويلاحظ تأثير توسعهم على منطقة اوسع كثيراً من المنطقة التي كانوا يحكمونها مباشرة.

في المعبد في كارانا ،،وجد بين الخرز والحلي قالب من طين نضيج لانتاج الواح عليها صورة امرأة عارية تمسك ثدييها. ويبين ذلك ان المعبد نفسه كان يصنع ويبيع كثيراً من الاشياء التي يقدمها المتعبدون. لوح هذه السيدة العارية وكسرة نموذج سرير من طين نضيج يبين ان المتعبدين الذين يعانون مشكلات الخصوبة (العقم)او الرضاعة (قلة الحليب) او الارق اوالحب الزوجي كانوا يقدمون احد هذه الاشياء التماساً للمساعدة ،بعد شرائها من حانوت المعبد .

وكان بين الاشكال الجديرة بالملاحظة من الخرز في كارانا ابو الهول،الاسد ، والذبابة والضفدع والقنفذ وقناع صغير جداً يمثل خمباباً ارتفاعه ٢،٢سم موضوعة خمبابا شائعة في حلي قطنا وكارانا،وتوجد ايضاً في معبد كارانا بطريقة مختلفة تماماً.

وقد اكتشف قرب مدخلي بابين في نقطتين في معبد من دور نوزي نصفا كتلة حجرية ضخمة منحوتة في شكل خمبابا البشع وهو منفلق من الوسط ،اكتشف الجزءان في موسمين منفصلين مختلفين من التنقيب،ولكنهما تطابقا تمام المطابقة وقد فرح المنقب بذلك ،وفي الحقيقة توجد علامات على ان الحجر انكسر في زمن قديم ولعله اصلح حين اعيد تركيبه في حقبة نوزي،وربما يرجع التركيب الاصلي الى تاريخ تأسيس

المعبد في ايام شمشي – ادد الاول. وخمبابا رجل عفريت يحمي غابة الارز حتى قتله كلكامش وانكيدوافي ملحمة كلكامش،يشبه وجهه امعاء ملتفة،وقد كان حارساً ضارياً بوسعه تفادي اذى الشر ،ولذلك كان موضعه عند مدخل المعبد ،ورواج استعماله في شكل تميمة[١٣].

قائمة جرد بالموجودات في قطنا تبين كنوز (الهة الملوك)وتوجد مع الخرز والمجوهرات اشياء ذات اهمية مادية صولجان ذهبي وخنجر من الذهب الخالص ومقبض من الذهب عجرته المدورة (في شكل رأس)من اللازورد الحقيقي وتوجد ايضاً اوعية للشرب متنوعة عليها اسماء الرجال والنساء الذين وهبوها وبضمنها وعاء في شكل رأس ثور. يبين هذا الشيء الاخير ان تراث اوعية الشرب في اشكال رؤوس حيوانات استمر من غير انقطاع من زمن زمري –ليم وجاء اثنان من الاوعية الذهبية من مدينة مألوفة هي شيروون التي تغلب عقبة-حمّو على ملكها الضعيف في القرن التاسع عشر ،وقد انتجت ،ربما بعد ثلاث مئة سنة وعاءً ممتميزاً بأسلوب محلي مميز.

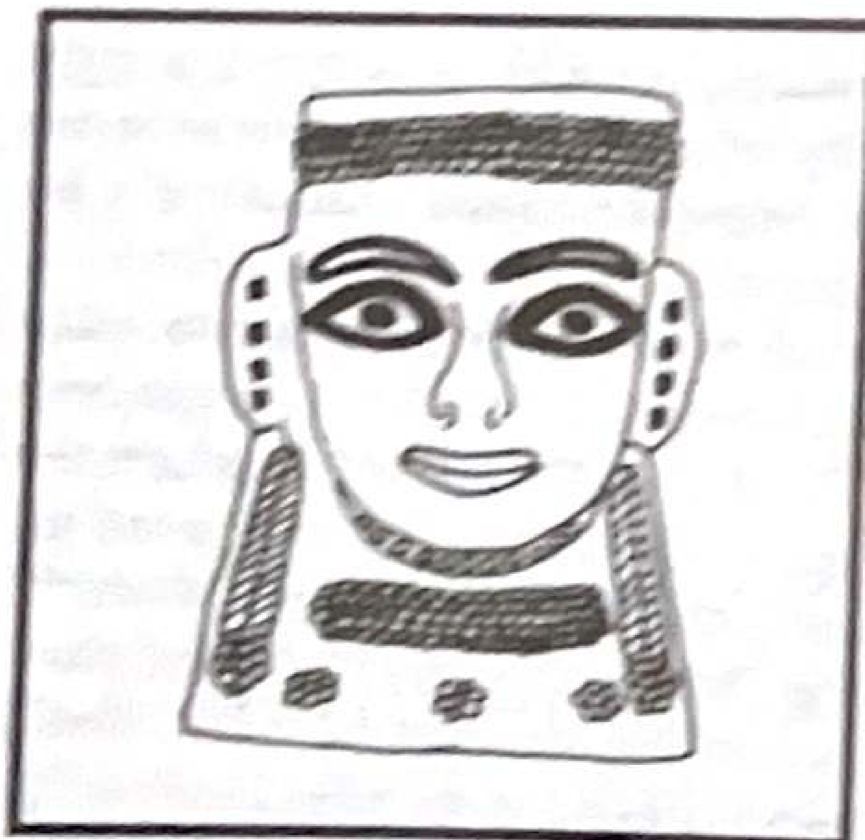
تواصلت مهارة صنع الزجاج والمواد شبه المنصهرة الى منتصف الحقبة الاشورية حتى نهاية الالف الثاني، وحلت القوة الاشورية الناهضة محل القوة الحورية في عرفة،وذابت كارانا في المملكة الاشورية الجديدة ،وان التجار الذين تركوا سجلات معاملاتهم التجارية في القصدير (او الرصاص)[١٤] والخيل والشعير متناثرة في عموم المعبد ،ومنطقة القصر ،لم يعودوا يتطلعون نحو عرفة بل نحو آشور وبقدر ماتبين هذه المجموعة الصغيرة من السجلات ،فأن العوائل التجارية ازدهرت ستة اجيال في القرن الثالث عشر بالدرجة الاولى ،في اثناء حكم الملكين الاشورين شلما نصر الاول(١٢٧٤-١٢٤٥) وتوكولتي –نينورتا الاول (١٢٤٤- ١٢٠٨)[١٥]



صورة (٥٧): لوح طين نضيج يبين رؤوس خمبابا،
كما وضعت في معبد كاراتا



صورة (٥٨): كتلة حجرية لخمبابا وجدت في معبد كاراتا



صورة (٥٩) قناع من مصهور الزجاج من كاراتا

في هذا القرن الثالث عشر من الرخاء كان المعبد الكبير في كارانا قد اقيم مجدداً فوق سطح من الدمار الذي قد يؤشر الى نهاية هيمنة عرفة وبداية الحكم الاشوري. كان هذا في الحقيقة اعادة بناء على خرائب قديمة . ووجدت مستودعات اسس لحيوان صغير ومزهرية من مرمر رقيق في الجدران الجديدة ،وجدد البهو الاصلي في المقام بمنصة جديدة من اللَبَن.

وكان مايزال انتاج عمل من الزجاج والمواد المنصهرة المزججة الممتازة ،وتضم ثلاثة اقنعة صغيرة لرؤوس نساء وقد وصف المنقّب اجملها:

(قناع نسوي من مادة منصهرة مزججة ذو عينين وحاجبين من المادة نفسها مثبتة بمادة القير، ضفيرتان من الشعر مصنوعتان من قضبان لولبية من الزجاج المصهور صُفت بازواج على جانبي الرقبة وتنتهي بمجموعات من الاقراص الزجاجية الصغيرة ،واستعملت ايضاً اقراص سود وبيض وصفر لتدل على قلادة ذات جواهر وطوق (او ياقة) وتاج، وثبتت كل اذن بصف عمودي من اربعة ثقوب [16]ووجد دليل صغير من هذه الاعمال يمكن ان يعود تاريخها الى هذه الحقبة ويمكن ان يعزى ذلك اما الى التعرية او الى مصادفات في الاكتشاف لانه جرى التنقيب في بعض القبور الجميلة جداً ولعل تاريخها يرقى الى الحقبة الاشورية الوسيطة ،وهي تقع فوق بقايا قصر زمري –ليم. كانت الجثة توضع اما في التراب او في جرتين موضوعتين فوهة لفوهة،بأتجاه شرقي – غربي دائماً. وقد وضعت الى جانب الجثة اوان صغيرة كثيرة مصنوعة من مادة مصهورة مزججة، وربما كانت اوعية عطور ومستحضرات تجميل وزيوت ودهون، وحلي من احجار وذهب ،اقراط ذهب،وخرز من عدة اشكال مختلفة مزججة ،كانت هذه مدافن اناث بالدرجة الاولى ،وكان فيها ايضاً مرآة من البرونز لكي تستطيع المرأة الميتة ان ترى لتزين نفسها بالحلي والاصباغ والعطور الموضوعة حولها .

هناك ايضاً(اقنعة) نسوية من مواد مصهورة مزججة في مدافن ماري، مشابهة تماماً لما وجد في نصوص مختلفة كارانا وقد وُضع(القناع) في احدى الحالات فوق عظم قص الميتة تماماً[17] وقد بين المُنقّب ان الثقوب في كل اذن في الاقنعة كانت لأمرار خيوط او حبال لشد القناع الى جسم الشخص او ثيابه ،لانه لم يكن من الزي السائد قط في بلاد الرافدين لدى النساء ان يلبسن عدة اقراط في اكثر من ثقب واحد في اذن واحدة ،لذا فأن وظيفة القناع وكذلك اشياء القبور الاخرى، قد تكون للزينة بأن يعلّق وجه الاهة الحب بين الثديين مقارنة بالوردة او زهرة الاقحوان حديثاً التي تخاط في وسط مشد الثديين [18]. وبما ان الرؤوس من الزجاج المصهور وجدت في المعبد وفي قبر امراة ،فأننا يمكن ان نخمن ان المعبد كان يبيع او يؤجر هذه الاشياء لجعل المرأة اكثر جاذبية،انها واسعة الانتشار ،من فلسطين الى جنوبي بلاد الرافدين، هوس ازياء اجتاح الشرق الادنى القديم قاطبة [19] وفي نهاية القرن الثاني عشر (ق.م) كانت كارانا ماتزال مزدهرة واندمجت في الامبراطورية الاشورية الوسطى ،وكانت كارانا تدفع الضرائب في شكل مواد غذائية الى ملك آشور، تيكلات- بيلاسر الاول (١١١٤- ١٠٧٦)[20]. ولكن ماري اصبحت مستقلة ،وتحت حكم حاكمها الوطني توكولتي – مير قاومت الملك الاشوري ،اشور – بيل- كالا(١٠٧٣-١٠٥٦) الذي قاد حملتين دمويتين على ماري وسلخ جلد الحاكم السيء الحظ لصلابته [21] ولكن في حوالي سنة ١٠٥٠ ق.م دَبّ الضعف في الاشوريين وترك طريق التجارة القديم من آشور الى كارانا،وهجرت جميع مدن القوافل جنوبي التلال وزال الغرض من وجودهالان الطريق الرئيس صار يمتد الان الى شمالي الطريق القديم .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صورة ([illegible]): [illegible]



صورة (٦١): نحت بارز على البازلت للالاهة كوبابا (سيبلا) من كركميش، القرن التاسع ق.م.

والمعابد مستودعات للثروة التي لم توزع من جديد قـط ،وصارت وسـائل الرفاه والانتاج الفائض في الامبراطورية كلها متمركزة في آشـور ونمرود ونينوى،وانقـطعت الضيافة الملكية للاجانب على اسـاس الند للند وكذلك تبادل الهدايا بأحترام ،وقللت بلاد اشور من شأن ماضيها المتميز ،وصارت تنظر الى بابل من اجل التراث الثقافي لان جنوبي بلاد الرافدين عانى اقـل بكثير مما عانى شمالي بلاد الرافدين في الاوقات المضطربـة ولم يكن لكل من ماري وكارانا دور نافع تضطلع به،لذا تغير المشهد .

وكانت المنطقة الى الجنوب من ماري تعرف بـ(سوهو) حـيث كان الاراميون البداة اعداء الاله آشور ،يعيشون من القرن الثاني عشر وما بـعد ،كانوا افضل تكيفاً لحياة البادية من اسـلافهم ،في اوائل الالف الثاني لانهم الان زادوا من مجالهم وسرعة تنقلهم بواسطة الجمل ،واذا حـصل تغير في الخصب وفي التزود بالماء في بلاد الرافدين العليا في ذلك الوقت فأن البـدو ذوي الجمال كانوا مؤهلين للتغلب على هذه المصاعب وكان بوسعهم تجنب دفع الضرائب الى الدولة الاشورية العظمى بطريقة لايسـتطيع اهل المدن المستقرون فعلها. ومن الغريب في هذا الوقت ان بدت المنطقة كلها مأهولة بالفيلة لان تيكلات -بيلاسر يقول :

(قـتلت عشـرة افيال ذكور في وادي حـرّان ومنطقـة نهر الخابور ،واسّرت اربعة افيال حية) .

ومع ذلك فأن الوسائل البابلية القديمة الوفيرة من ماري واماكن اخرى لم تذكر الفيلة قط ، ولم يكن العاج مادة شائعة في تلك الحقبة مقارنة بـالثروة من العاج الموجودة في اوائل الالف الاول [٢٢] .

وبذلت جهود متقطعة لتحسين المنطقة. وفي اوائل القرن العاشر قـام بيل- ايريش الحاكم المستقل في شاديكافي على الخابور الاسفل بتجديد قناة

هناك واعادة بناء معبد خرب في محاولة منه لاحياء منطقة صغيرة في اثناء حقبة ضعف اشوري ، وعبد هذا الحاكم كوبابا، الإهة كركميش القديمة، الى جانب سامنو هو الاله الحوري ،وكان مقامهما بالمعبد المجدد [٢٣]. وفي سنة(٩٠٠ ق.م) جدد للملك الاشوري ادد- نيراري الثاني مدينة ابقو ، التي لا تبعد كثيراً شمال غربي كارانا (والتي تحولت الى اكوام خربة) على الرغم من انه استنزف اعداد الفيلة شمالي الفرات الاوسط بقتل ستة افيال واسَرَ اربعة حية [٢٤] وفرض توكولتي-نينورتا الثاني الجزية على المناطق المحيطة بماري وزار سيرقو (تيرقا القديمة) وذهب يصطاد ايضاً ولكنه لم يذكر اي فيلة [٢٥] ومع ذلك فأن اشور- ناصر- بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩)حين اخذ الجزية من حاكمي سوهي ولوبدو تسلم خمسة افيال حية (وجاءت معي في حملتي)[٢٦].

ولم يحاول الاشوريون حتى نهاية القرن التاسع بتطوير واستيطان الارض بين نهري دجلة الاوسط والخابور الاسفل بمقياس واسع . في ذلك الوقت اما اصاب الاهمال المدن القديمةفنسيت اسماؤها او ان لفظ الاسماء القديمة تغير . فأصبحت تيرقا الان سيرقو ،وربما اصبحت قطّونا باسم قطني وصاريطلق على ساكاراتوم اسم سانكاريت ،وقد بنى جد زمري ليم المسمى يكيد- ليم حصنا كان ذات يوم شاخصاً على حدود مملكة ماري سمي بأسمه ((حصن يكيد -ليم)) وآل اسم الحاكم القوي الآن الى النسيان فحرف اهل الحصن الجهلاء اسمه الى(حصن كاتليمو) [٢٧] .

كانت كارانا في ذلك الوقت جزءاًمن اقليم رصابا الواسع الذي يدين بمساحاته الى المناطق الواسعة التي لم تكن مأهولة الاّ بشكل غير كثيف ولم ينلها الا الاهتمام القليل ولم تشارك الاّ بانتاج ثروة ضئيلة ولم تكن موضع تهديد خارجي للمدن الكبيرة على نهر دجلة وصار اقليم الرصابا من ماري

الى كارانا وعلى طول الخابور الاسفل تحت ادارة رجل طموح اسمه نيركال -اريش [٢٨] في اثناء حكم ادد- نيراري الثالث (٨١٠- ٧٨٣) وشلما نصر الرابع (٧٨٢-٧٧٣) كانت كارانا في ذلك الحين خرائب نكرة لا اسم لها ، ظلت مهجورة مئتين وخمسين سنة، وانهار المعبد القديم والزقورة ،ولم يعد يمكن تمييزها باي شيء سوى تل من اللبن المنحل .

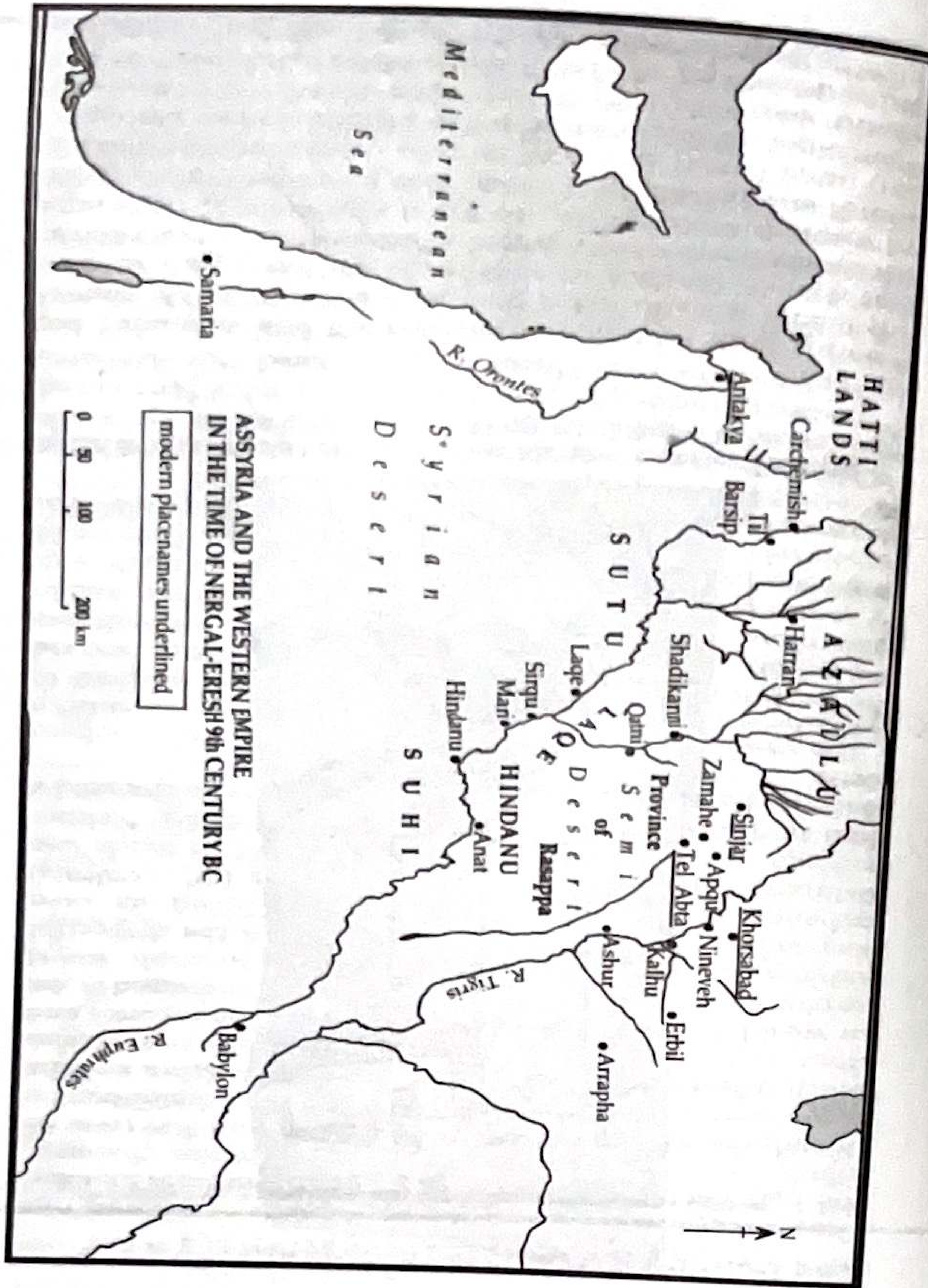
نيركال- اريش :

كان نيركال -اريش حاكم الرصابا مدة ثلاثين عاماً في الاقل [٢٩] واعطيت خرائب كارانا اسماً جديداً هو زماهي ،وعادت يسكنها اناس ربما كانوا مهجرين بالقوةمن دول متصلبة على اطراف الامبراطورية الاشورية[٣٠] ولعل تحت رعاية الحاكم اقيم جدار ضخم يحجز تل المعبد المتهدم على الجانب الشمالي،شيد في زاوية على جدران المعبد القديمة ،حيث ادخل فيها ركن معبد جديد[٣١] كان هذا المبنى الجديد مقاماً مكرساً الى ادد اله الطقس وعند المدخل الى الحرم الداخلي ينتصب تمثالان في شكل رأسي اسدين وقد اندلع لساناهما الى الاسفل في شكل يشبه نصل خنجر وكشف عن تمثالين آخرين دلخل المقام .ولعلهما كانا يشكلان قاعدتي عمودين خشبيين .

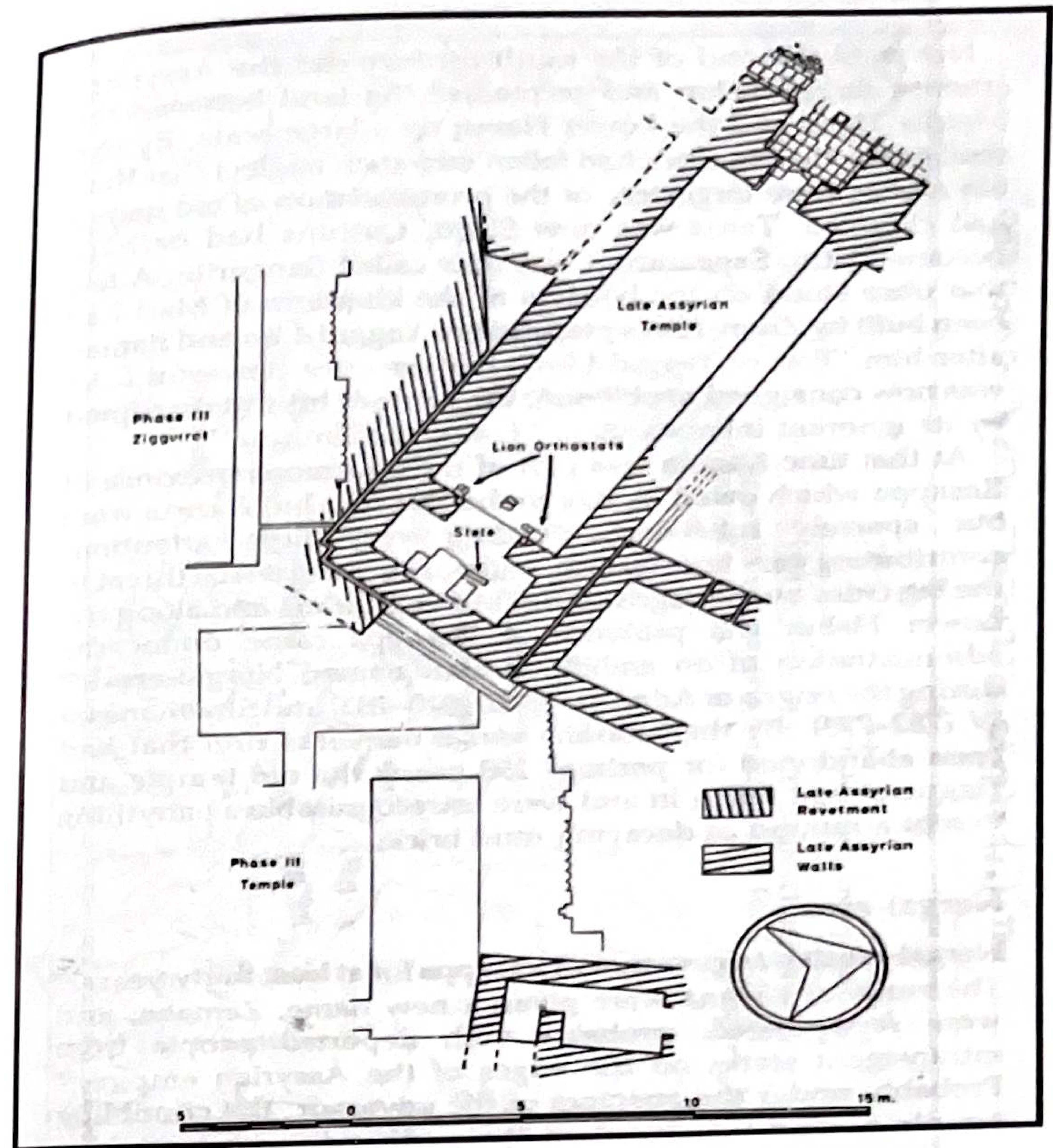
ان موتيف (جزئية) راس الاسد المندلع لسانه الخنجري متجهاً الى الاسفل هو موتيف حوري قديم وجد في الحرم المقدس في بازيليكايا، بجانب بوكازكوي العاصمة الحيثية .لعل ذلك يرمز الى قيام اله الطقس في كلا المقامين بطرد الالهة القدامى الى العالم الاسفل[٣٢]. وقد نسي عند العهد الاشوري الحديث الالهة التي كرس لها المعبدالرئيس والزقورة في كارانا ،لذلك قد تكون الخناجر ذات الرؤوس الاسدية المقصود بها تجنب غضب

الالهة القديمة النازلة على المعبد الجديد الذي انتهكت ارضه المقدسة. كانت جدران معبد ادد مزينة بخط بارز ضخم من القـير يمثل عفريتاً مركبـاً له جناحان وساقا حيوان وقدمان ذواتا براثن،وقد وجد في هذا المعبد شيئان هما مصريان في موتيفهما وسـواء كانا من صنع سـوري او مسـتوردين من مصر ،فانهما يدلان على ان اتصالات قديمة بالغرب قـد اسـتؤنفت في هذا الوقـت ،وكان كلاهما من الزجاج المصهور. رأس كبـش وخرزة مخرمة عليها (عين حورس) وعلى كل حـال ،لم يكن ثمة دليل واضح يبـين طول المدة التي بقي فيها المعبد قيد الاستعمال،واذا امكن ربط نهب المبنى بتدمير المدن الاشـورية على ايدي الميديين وحـلفائهم في (٦١٢ ق.م)فأن هذه الاشياء يمكن ان تكون اشياء مصرية حقاً ،كرسها اناس من زماهي حاربوا في مصر تحت امرة اسرحدون واشور بانيبال بعد اكثر من قرن من بـناء المعبد .

في داخل سرداب المعبد ينتصب سطح معبد حـجري موضوع على منصة من لبن والى جانبه لوح حجري كبير عليه نحت بـارز لادونيراري الثالث(ملك اشـور الذي خدمه نيركال اريش) ارتفاعه ١،٣٠ في حـالة كاملة.وعلى جانبي راسه رموز الالهة العظام،ومن خصر الملك الى حاشية ردائه نقشت كتابة مُحيَ النصف الاسفل منها، ولكن امكن اعادة قراءتها من الحفر الصغيرة التي تركتها العلامات المسمارية وقد نقش شكل موجز لهذه الكتابة ايضاً خناجرعلى ذوات رؤوس اسد ،ولما اصبح من الممكن قـراءة القسم الممسوح من الكتابة على اللوح الحجري ،فقد اصبح السبب واضحـاً لهذه الاجزاء الممسوحة بـصورة غير متوقـعة وهذه ترجمة للكتابـة كلها المنقوشة على اللوح الحجري [٣٣].



صورة (٦٢): خارطة بلاد آشور والامبراطورية الغربية في زمن نيركال اريش



صورة (٦٣): خارطة المعبد الآشوري الجديد

((الى ادد اعظم رب ،بطل الالهة،القوي، اكبر ابناء انو،الشديد وحده،ساقي السماء والارض الرفيع ،الذي يأتي بالمطر الذي يجلب الرخاء ، الساكن في زماهي ،الرب العظيم،ربه :

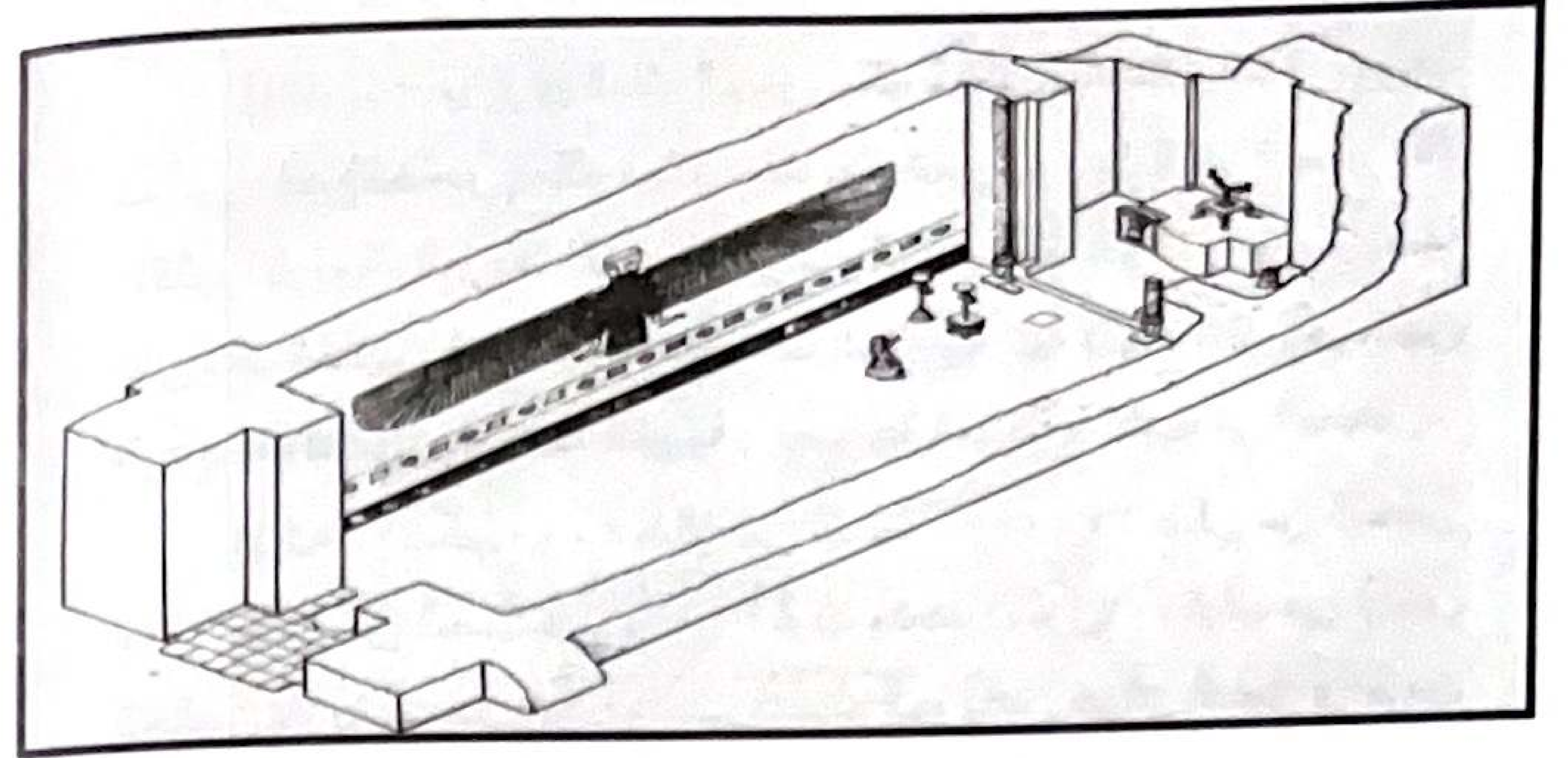
((انا،ادد- تيراري الملك الجبار ،ملك العالم ،ملك بلاد اشور ،وريث شمشي - ادد (الخامس) ملك العالم ،ملك بلاد اشور ،وريث شلما -نصر ملك الاقاليم الاربعة والعربات المعبأة للحرب والجند والمعسكرات ،امرت بحملة على بلاد الحانيين ،في سنة واحدة جعلت البلاد الغربية كلها- بلاد الحانيين ،تركع عند قدمي، وفرضت الجزية والضريبة المنتظمة عليهم في المستقبل.

((انه [٣٤] تسلم ٢٠٠٠ طالن من الفضة[٣٥] ، ١٠٠٠٠ طالن من النحاس ، ٢٠٠٠ طالن من الحديد ، ٣٠٠٠ ثوب متعدد الالوان ، وثوب من الكتان الخالص جزية من ماري [٣٦] ودمشق. تسلم الجزيةمن جوش السماري ،ومن حاكم ،صور، ومن حاكم صيداً.

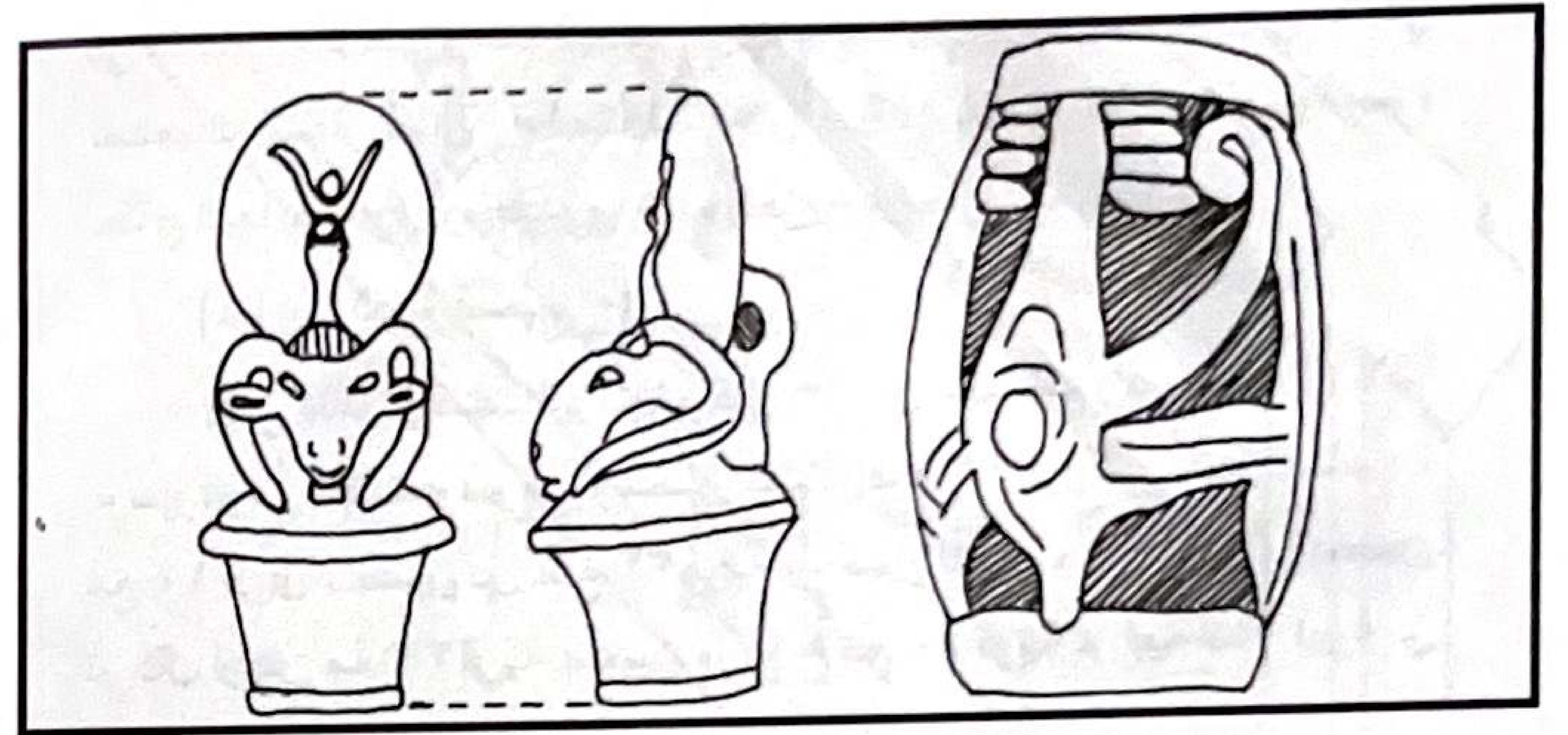
((زحفت بالجيش الى البحر العظيم حيث تغرب الشمس [٣٧] ونصبت في مدينة ارفاد التي وسط البحر لوحاً عظيماً يعرض شخصي الملكي .صعدت اشجار لبنان وقطعت اشجاراً، ١٠٠ شجرة ارز ناضجة،مادة احتاج اليها بقصري ومعابدي . تسلم الجزية من ملوك بلاد نيري.

(هنا يبدأ القسم الممسوح)

((في ذلك الوقت امرت نيركال -اريش ،حاكم رصابا/ ولاكة ،وسيرقو، وعانات،وسوهي وحصن عشتار ،مع ١٢ قرية [٣٨] سوق سين ، مع ١٠ قرى ، حصن س ،مع ٣٣ قرية ، حصن اشور ، مع ٢٠ قرية،حصن نركال اريش مع ٣٣ قرية ،حصن مردوخ مع ٤٠ قرية ،رابية ادد- نيراري مع ١٢٦ قرية خلف جبل سنجار ،٢٨ قرية في منطقة ازالو،،حصن ادد- نيراري،مع ١٥ قرية من منطقة لاكة ،مدينة ادد، مع ١٤ قرية في منطقة قطني،المجموع ٣٣٠ مدينة بأناس تابعين اسسها نركال اريش وبناها بأسم مولاه .



صورة (٦٤): صورة إعادة بناء المعبد من الداخل



صورة (٦٥): خرز مصرية

(مدلاة رأس كبش من مصهور زجاج اخضر)



صورة (٦٦): مسلة من حجر الكلس لادد- نيراري الثالث وحاكمه نيركال- ايريش من تل الرماح

((كل من يمحو سطراً واحداً من هذه الاسطر ،عسى الالهة العظام ان تحطمه تحطيماً شديداً))

لو كانت هذه اللعنة الاخيرة ذات تأثير فان الرجل المسؤول عن مسح عدة اسطر من هذه الكتابة قد لقي مصيره القاسي .تبين هذه الكتابة ان نركال اريش، حين كان في البدء مع سلطة الملك، حاول ان يعيد جعل المنطقة التي كانت تقع فيها كارانا القديمة، زماهي الجديدة، ماهولة بالسكان. وقد كانت مدنه الجديدة بمزارعها ومافيها تكاد تمتلىء بأسرى الحرب واناس مرحلين بالقوة من دول الغرب التي جرى احتلالها حديثاً،لم يكن هذا هو اللوح الوحيد الذي اقامه: فقد وجدت مسلة آخر،غربي سنجار، يعرف بمسلة سبع الذي لم يمسح،ولكنه لايشير الى مستوطنات جديدة ،ولعله كان نصباً اقدم.

لماذا مسح جزء من الكتابة؟ الجواب عن هذا السؤال هو مسألة تخمين بشأن دليل ضئيل جداً. لاريب ان المستوطنات الجديدة قد وضعت عدداً كبيراً من الناس تحت تصرف الحاكم بوصفهم جيشاً اقليمياً ولعل ذلك اغراه بالقوة متوعداً بتهديد كامن للملك.،ان تسمية مدينة جديدة بأسم شخص كان حقاً مقصوراًعلى الملوك والالهة فقط. ولعله لم يحرم من الحظوة حتى في حكم شلما نصر الرابع بما انه كان يخدم بوصفه حاكماً في ظل ذلك الملك في سنة(٧٧٥ ق.م).

وربما كانت زمرتان تعملان في زمن حكم ادد- نيراري. ثمة رقيم من الحجر من نينوى يرقى تاريخه الى ادد- نيراري ويذكر نركال - اريش بالاسم [٤٠] .ويعاهد الرقيم ان يضم اقليم رصابا منطقة هندانو،ولن يزيح احد من ورثة ادد- نيراري الحاكم نركال -اريش عن منصبه هناك ،ولن يفصل هندانو عن الرصابا، وقد كانت هندانو منطقة على الفرات الاوسط اسفل ماري،ومن الواضح ان محاولة غير ناجحةجرت لاضعاف سلطة نركال -



صورة (٦٧): منظر في داخل المقام الآشور المتأخر في كارانا- زماهي. المسلة في الخلف



صورة (٦٨): قاعدة حجرية من عمود، رأس اسد ولسانه نصل خنجر، من كارانا زماهي

اريش حتى حين كان ادد- نيراري مايزال يعتلي العرش . وحذا حذونيركال -اريش حاكم آخر رفيع المستوى،كان مقره قرب تل عبطة،على بعد ٢٥كم جنوبي زماهي[٤٣] . اقام هذا الرجل الذي اسمه بيل- حرآن- بيلو - او صور ،لوحاً صور فيه نفسه ، وليس الملك، بحجم كامل،واسمى المدينة في تل عبطة باسمه:(حصن بيل-حرّان-بيلو-اوصور) ازدهر في مدة تمتد من حكم شلما نصر الرابع الى تيكلاث- بيلاصر الثالث (٧٨٢-٧٢٧)في ذلك الوقت اصاب بلاد اشور ضعف شديد،حين كانت مملكة اورارتو تتسع وتبسط سيطرتها على المصادر الطبيعية الحيوية ،وقد تقلصت تجهيزات بلاد اشور تقلصاً شديداً في خامات المعادن والخيول في خلال اربعين سنة، وتقلص كثير من الامبراطورية الآشورية غربي نينوى تقلصاً فعلياً في تلك الحقبة وكان ذلك الوقت الاوج الذي بلغته الملكة الشهيرة سميراميس،زوجة شمشي-ادد الخامس وام ادد- نيراري الثالث التي ذكرها هيرودوتس بأنها احدى الشخصيات البارزة في بلاد وادي الرافدين القديمة العريقة وقد وجد حديثاً مسلة في تركيا تبين ان سميراميس عبرت الفرات في(٨٠٥ ق.م) وانها كانت على صلة وثيقة بشمشي ايلو القوي الذي كان اعلى حاكم في بلاد اشور في النصف الاول من القرن الثامن [٤٢] . اقام شمشي- ايلو مسلات باسمه الخاص وسجل منجزاته في عاصمته الاقليمية تل بارسيب[٤٣] ،التي لاتبعد كثيراً شرقي كركميش،وربما ايضاً في كارابور التي تقع على بعد ٢٥كم جنوب شرقي انطاكيا الحديثة[٤٤] ولعل هذا الرجل حقاً وليس نركال- اريش هو الذي وضع الاساس في الاتجاه نحو الاستقلال بين الحكام الغربيين.

شمش- ريش- اوصور :

انتجت منطقة ماري مسلة لطيفة للالف الاول ايضاً. اكتشفت المسلة في بابل حيث نقلها ملك بلاد بابل الجديدة غنيمة ،ولعله نبوخذ نصّر الثاني الشهير (٦٠٤-٥٦٢)[٤٥] . وقد جعلها دليل جديد من التنقيبات الحديثة في الفرات الاوسط قادرين على تحديد تاريخها اخيراً في ٧٦٠ ق.م على وجه التقريب، حين كان في بلاد آشور ملك ضعيف هو آشور- دان الثالث [٤٦] وكانت المسلة تحيي اعمال حاكم اسمه شمش- ريش-او صور منقوشة بالمسمارية بلهجة بلاد بابل وليس بلاد آشور ،الحجرليس الاشوري المعتاد في شكل محدب الاعلى،وترى الالهة واقفة على قواعد مربعة تمثل جبالاً نمطية، ليست رموزاً ولكن بشكل بشري مع الملك. كل إله يمسك شعار سلطة قوة. ادد اله الرعد يلوح ببرق ذي شعب بكلتا يديه ،وتوجد رموز الهية في الاعلى ايضاً (مسحاة)مردوخ المدببة ،حامي بابل الى جانب قلم نابو،وقرص شمش المجنح ،اله الشمس ،الى جانب اله القمر سين .

ولايخلو النص مماهو مثير للدهشة :الثرثرة والتكرار والتنظيم المغلوط بالنسبة الى التصميم والشكل المعهود في تلك الحقبة . فقد اضيفت فكرة متأخرة في احد الاماكن الى الكتابة، مما اوقع الفوضى في تصميم الاسطر والاعمدة. وعلى وفق قواعد ذلك الزمان كانت اللعنة على كل من يدمر النصب او اي كلمة فيه تاتي في نهاية الكتابة ،وبهذا تطوق (او تحتضن)جميع الكلمات المنقوشة، ولكن اللعنة هنا تأتي في وسط النص .

ويوضح النص ان ماري وماجاورها ،مثل زماهي ،كانت قليلة السكان، وان هذا الحاكم كان يقصد ادخال حياة جديدة في المنطقة البائسة،غير ان الاماكن القديمة هنا بقيت على حالها وماري ماتزال ماري،وطيرقا تحورت الى سيرقو .وقد اسس شمش- ريش- او صور مدناً

جديدة وطرد ٤٠٠ من المغيرين ابتغاء السلب والنهب من قبيلة تؤمانو وقتل ٣٥٠ فرداً منهم حين تدخلوا في احتفال مهرجان في مدينة جديدة.

((انا شمش ريش-او صور حاكم بلاد سوهو وبــلاد ماري. الجدول الرئيس لبلاد سوهو اصبح قديماً وقوة العمل صغيرة جداً لصيانته. اصبــح ضيقاً جداً من مدينة هرزة الى مدينة يبيء ونظمت وســطه بــطول ١٠٠٠ ((قصبة)) (ربــما كانت نحــو ٣/٥٠ كم) وعرض ذلك الجدول ٢٢ ذراعاً ،وازلت الجسر عند مصب الجدول لكي استطيع ارســال ســفينة حــمولة عرضها ٢٥ ذراعاً وذهبت انا وضبــاطي راكبــين (ســفينة)في الجدول واخرجنا السفينة من الريف عند السد الغاطس، عند مصب الماء.

(زرعت اشجار النخيل في باحة القصر في مدينة ريبــا- شــارّو ونصبت عرشاً وقاعدة عمود في ريبــا- شــارّو [٤٧] وبــنيت مدينة جديدة واسميتها كباري- بناها [٤٨] ورفعت ادد و ابلاداد [٤٩]وشالا ومدانو (الهة لها) ورتبت الامور لهم ان يعيشوا في مسكن جميل .

((من يأتي في المستقبل ويقترب [٥٠] من هذهِ المسلة او من يمحو الاسم المكتوب ويكتب اسمه بدله:عسى الهة السماء والارض العظام ان تجعله يفقد اسمه ونسله ووريثه ،وذريته. وعســى ان لايعمل عملاً كما فعلت .عســى اللعنة ان تحبط عمل كل من ينتهك هذا ولايخشى الكلمات .

((زرعت نخلاً في باحة القصر في مدينة مقام الاله)).

زرعت نخلاً في باحة قصر مدينة (سوق نابو) وحسنت انتاج التمور اســفل مدينتي ،ضواحــي المدينة، وزرعت النخيل. بــنيت ســدة جديدة للري،عرضها ٣٧٠ (؟)ذراعاً (١٩٥م ،فوق السدة القــديمة ،واجريت فيها الماء من جدول سوهو من السدة الى السد(الغاطس)،زرعت جميع اشــجار الصفصاف التي تنمو الان فوق الجدول لكي تحاك سلال السخرة منها للعمل

في الجدول[٥١] (اي تصنع في المكان نفسه)،ولكي استطيع ان اقطع الواحــاً منها واستعملها لتقوية الضفاف[٥٢] زرعت اشجار الصفصاف، كل واحــدة منهاعلى الجدول فقط لئلا يستطيع بدو سوهو ان يدخلوا القــصر من ورائها .[٥٣]

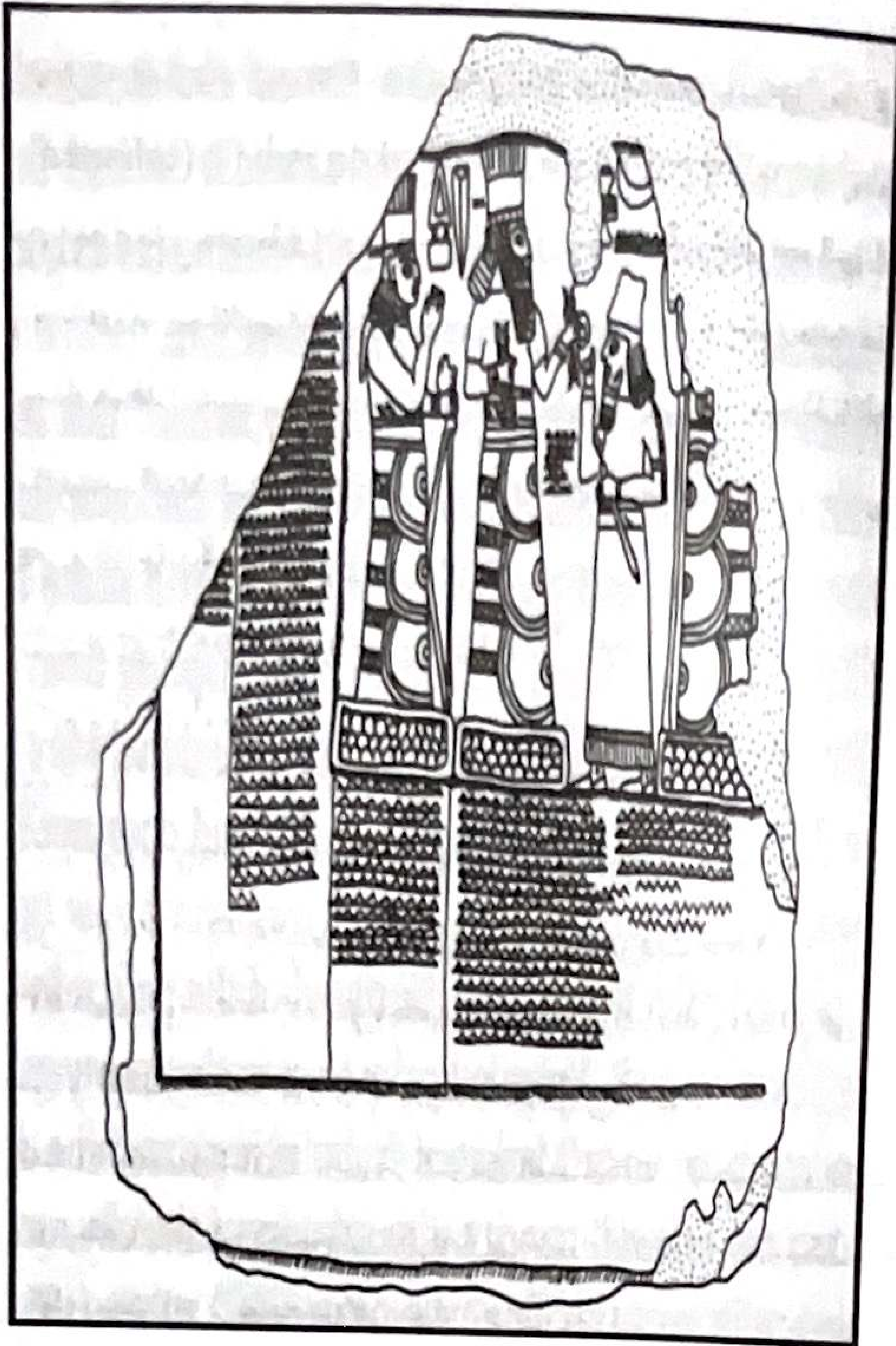
(انا شمش- ريش -او صور ،حاكم سوهو وبلاد ماري. النحل الذي يجمع العسل الذي لم يره احد من اسلافي ولم يجلبه الى بلاد سوهو، جلبــته من جبل رجال هبها ،وجعلته يستقر في بساتين مدينة (جباريّ- التي بناها). النحــل يجمع العســل والشــمع، واعرف كيف اذيب العســل والشــمع - والبستانيون يعرفون ذلك ايضاً.

(ان من يأتي في المستقبل يمكن ان يسال شيوخ المدينة الذين سيقولون :انها مباني شمش- ريش - او صور ،حاكم سوهو ،الذي ادخل نحل العسل الى بلاد سوهو))

مااعظم ماتغيرت البلاد والثقافة منذ ايام زمري -ليم.فقد ذهبت الالهة القديمة ،(اوتور- مير ،شمش،وانونيتوم-وبيليت-امكاليم،ونصب في محلها الهة مختلفة،وازيلت الاحــراج (الاشــجار الكثيفة)من البــلاد واهمل الري،وصار البدو تهديداًدائم الحضور للقــصور نفســها واذا كان النحــل معروفاً في ايم شمشي-ادد الاول فانه عاد الى البرية منذ عهد طويل ،وفقدت مهارات تربية النحل. كان شمش- ريش -او صور جاهلاً تماماً بــالماضي فيفترض ان اعماله الجيدة كانت ابــداعات جديدة:كان مهتماً بالحــاضر والمستقبل اكثر من معرفة الماضي ،وقد تغيرت لغات الفرات الاوسط ايضاً :فلم تعد البابلية القديمة لسان الكتابة والكلام الرئيس، مع استخدام الامورية والحورية في الكلام ايضاً وندر استعمالها في الكتابة،واصبحــت الارامية الان كلية الوجود، وبقيت البابلية للكتابة الرسمية فقط ،وكشف شمش- ريش

–او صور عن مصاعبه وعدم اطلاعه على البابلية في كتابته. تؤشر هذه الكتابة الاخيرة نهاية الثقافى البابلية كما تعرف من ماري وكارانا.

كانت ماري مهجورة ونشأت مدينة جديدة على مسافة قصيرة اعلى النهر، اسمها دورا يوروبوس، لتملأ دوراً مماثلاً[٥٤] وتردد صدى روحي لاواخر الاشورية الجديدة ووجدت الهة ارامية، محرفة قليلاً، في اهداء الكتابات والاسماء الشخصية للاراميين المتأثرين بالهيلينية الذين عاشوا هناك: ابلاداد اله الشمس الحامي في عانات، كان يعبد بأسم ابهلاد، ووجد شمش ايضاً– بين الهة العرب القادمين حديثاً. ولم تظهر مدن جديدة في جوار كارانا التي ظلت مهجورة منذ ذلك الحين.



صورة (٦٩): مسلة شمش- ريش- اوصور، حاكم ماري

ملاحظات الفصل

١- تقول التذكرةالسنوية عن سنته الثالثة والثلاثين انه دحر جيش ماري،وتقـول تذكرته السنويةعن سنته الخامســـة والثلاثين انه دمر ســور ماري ،انظر: Reallexikon Sub Datenlistten ص ١٨٠-١٨١ .

٢- من المفترض عموماً ان الرُقم الحديثة التي وجدت في احد المباني انها قريبة جداً من تاريخها من تدمير المبـنى،ولكن ثمة احـــتمال وجيه ان هذا امر مغلوط،فأذا كانت رسائل هاتنوابي وحدها هي التي اكتشفت فان المرء قـد يفترض افتراضاً مغلوطاًانه كان الحاكم الاخيرقبل التدمير.

٣- انظر: Reallexikon Sub Karana .

٤- انظر: د.ج.وايزمن (رقم تل الرماح) ١٩٦٦ مجلة Iraq ع ٣٠ /س ١٩٦٨ ص ص ١٨٦-١٨٧.

٥- نظر: مجلة Syria ع ١٢/س ١٩٣١،ص ١٤٧.

٦- اوتسن/مجلة Iraq ع٣٠/س١٩٦٨/ص ص ١٣٥-١٣٦ .

٧- نص ١٠٨٨٧ A O السطر ٧، انظر نشرة الاشوريات ع ٢٨. س ١٩٣١،ص ص ٣٣-٤٣، قراءة مصححة قدمها ك. ديلر،هايد لبرك.

٨- سي .ز اكانيني(تاجر نوزي) في مجلة Iraq ع٣٩،س ١٩٧٧.

٩- المادة المنصهرة Frit هي مركب من السـليكات والنحـاس والكالسـيوم وتستعمل لتقليد الاحـجار الكريمة او شبــه الكريمة اما باشــكال كاملة او تطعيمات (او ترصيعات)في مواد اخرى.

١٠- ج.بو تيرو (موجودات قطنا)نشرة الاشــوريات ع ٤٣/ س١٩٤٣ (الجزء الاول والثاني)ع ٤٤،س ١٩٥٠ (الجزء الثالث).

١١- بسبب الاضطراب الذي يعزى الى نظام الكتابة ،فانها في الغالب يشار اليها خطأ بانها نينكالNingal زوجة اله القمر يكتب اسـمها NIN.E.GAL ،ويجب ان يترجم من الســومرية الى الاكدية بـيليت- ايكاليم ،كماتبـين بوضوح الصيغة الحيثية لاسمها بينتيكالي Pentigalli .لم يكن اسم الاهة القمر مترجماً الى الاكدية ،وربما كان يلفظ نيكال Nikkal.

١٢- انظرب.ر. س. موري (موقع توكريش ودورها ف غربي ايران في الالف الثانـــي ق.م Feestschrift for B. DeCarden, ed .E.During Caspers, London 1982, .

١٣-في الســنوات منذ انتهاء التنقيبـات في كارانا،وجدت كتلة حـجرية جديدة لخمبابا تل المعبـد ونظفت ،وهي الان معروضة في متحـف الموصل في حـــالة جيدة جداً من الصيانة وصورت في مجلة Iraq ع ٤٥/ س١٩٨٣ اللوح الخامس أ (va) وكانت خمبابا تعرف في حقبة سابقة باسم خواوا.

١٤- ماتزال توجد مشـــكلة في هذه الحقبـــة بشـــأن الكلمة الاكديةاناكوم (annakum) القصدير . ولابد انهم كانوا يتاجرون بالرصاص بـكميات كبيرة جداً لانتاج (كما اثبتت التحليل الكيمياوي) لون اصفر ذهبـي في مادة منصهرة ،وزجاج ومواد زينة واصباغ اخرى، وكذلك إكساء اشياء حجرية وصنع تماثيل صغيرة شـائعة ،واضافتها الى النحـاس او البـــرونزكان القصدير الآن في القالب عملة نقدية الى جانب تحسين الصب. كان القصدير يستعمل الآن في القالب عملة نقدية الى جانب الفضة،ومن المشـكوك فه ان كان غزيراً الى درجة تكفي لاسـتعمالات اخرى غير اسـتعماله في صنع البرونز ،ولكن توجد كلمة واحدة فقـط في نصوص التجار ،لعله اذن كان له الاسم نفسه لدى تجار القـصدير والرصاص (ويوجد هذا الاضطراب في لغات تالية ، انظر الملاحــظة(٢) في الفصل الاول ،ولكن المشــتغلين

بالبرونز وصانعي مواد الزينة وصانعي الزجاج اسموا الرصاص باسمه الاكثر خصوصية ، اباروم abarum في سياقات الصناعة.

١٥- هـ.و.ف . ساكز و د.ج. وايزمن ، ١١ رقم تل الرماح ١٩٦٥-١٩٦٦ في مجلة Iraq ع ٣٠/س١٩٨، ص ص ١٥٤-٢٠٦

١٦- د،اوتس مجلة IRAQ ص٢٥ ١٩٦٦/٢٨

١٧- أ.باروت ،مجلة ١٩٣٧/١٨ Syria ،ص ٨٣

١٨-اي بيلتنبرك (اقـــنعة وجه من خزف مزخرف) في اســـــتروم ،وهولت واولونسون،هالة سلطان-،دراسات في علم اثار البحر المتوسط (٤٥/٣-١٩٧٧) يظن ان هذه الاشياء قد تكون تذكارات حج الى معبـد مخصوص. هـ،كوهنه، /بغداد ميتيلونكن ٧/ ١٩٧٧ ص ١١٠ يبين انها قـد تكون ذات صلة بعبادة الالهة كوبابا.

١٩- بلتنبـرك ،في العمل المقتبـس ،يجمع امثلة معروفة آنذاك ،يضاف اليها الان مثال من آيسن- ايشان - بحريات ff مونشن ١٩٨١، ص ٦٧ وتافل٢٦.

٢٠- هـ-فريدانك١٩٧٦، Heft x1x.

٢١- أ-ك كريسن (كتابات ملكية اشورية) ،المجلد الثاني ،فيسبـادن ١٩٧٦،ص ٤٩ ،قارن ايضاًص ٦٠ ،الفقرات ٢٧٨-٢٨٠ ،قطعة من عرض تاريخي منشورة حديثاً تذكر تمرداً في ماري،قمعه الملك البابـلي في القـرن الثاني عشر قبل الميلاد انظر ســي ووكر ،عرض تاريخي بابـلي ٢٥/ في زكر شوميم،دراسات اشورية ،مقدم الى ف،ر،كراوس ،ليدن ١٩٨٢،ص ٣٩٨ وما بعدها .وهذا دليل اضافي على اهمية ماري في منعطف الالفية.

٢٢- ناقش الخروج عن القـياس د.كولون،عن وجود العاج في مجلة Iraq العدد ١٩٧٧/٣٩.

٢٣- كريسن،م.ن،ص ص ٧٢-٧٣.

٢٤- كريسن ،م.ن، ص ٨٧،ص ٩٢.

٢٥- كريس .م.ن، ص ١٠٣.

٢٦- كريسن. م.ن ،ص ١٧٥ بنى ايضاً قصراً في ابقو.

٢٧- دبليو روليك ،دور- كاتيلموا،في اورينتاليا السلســلة الجديدة ٤٧ /١٩٧٨ ،ص ٤١٩ وما بعدها،وهـ . كوهنه زور هستوريش جيوكرافي آم اويترن هابور،اركايف فور اونيتور شونك ٢٥ /١٩٧٤-١٩٧٧ /ص ص ١٥١-١٥٥.

٢٨- يعرف ايضاًبأسم باليل اريش.

٢٩-كان يحتل وظيفة ذلك اللقب في ٨٠٣ و ٧٧٥ق.م انظر: بليكسيكون ســوب ابنيمن ص ٤٢٢ ،(موسوعة الكنى والالقاب).

٣٠- س.دالي مســـلة ادد- نيراري الثالث ونيركال- اريش من تل الرماح في مجلة ١٩٦٠/٣٠ Iraq ولاسـيما ص ١٤٠وكان في المدينة منادٍ اســـمه كباري منشغل في معاملات الاراضي مع نيركال اريش: ج.ن. بوســتكيت ،رقـيم اشــوري جديد من تل الرماح في مجلة ١٩٧٠/ ٣٢ iraqص ٣١ ومابعدها .

٣١-د.اوتس،مجلة ١٩٦٨/ ٣٠ Iraq / ص ص ١٢٢-١٣٣ .

٣٢-انظر ك.بيتل ،هاتوشا،اوكسفورد ١٩٧٠ ، ص ص١٠٩-١١٠

٣٣-للتصويبات والتحسينات منذ اول نشر لهذه الكتابة انظر دالي،اورينتاليا العدد ٣٨/ ١٩٦٩ ،ص ٩٦ وبوســتكيت في مجلة تاريخ الشـــرق الاجتماعي والاقتصادي ١٧/ ١٩٧٤ ،ص ٢٣٨.

٣٤- تتغير الكتابة من ضمير المتكلم الى السرد بضمير الغائب في هذه النقـطة ،ولعل ذلك لانها أُلفت من عدة تقارير اطول،كتب بعضها بـضمير المتكلم كله، وكتبت الاخرى بضمير الغائب .

٣٥- ١٢١،٢٠٠ كغم او ٦٠،٦٠٠ كغم اعتماداً على ثقل او خفة الطالن المستعمل هنا .

٣٦- (ماري) هو لقب الملك حزائيل او ابنه بن- حداد

٣٧- المقصود البحر المتوسط.

٣٨- يمكن ترجمة هذه الكلمة الى (مزرعة) او (ضيعة زراعية)

٣٩- اي .اونكر ، مسلة نحت بارز لادد- نيراري الثالث من سبع وميراميس(منشورات الامبراطورية العثمانية) رقم ٢ اسطنبول ١٩١٦

٤٠- معظم طبعات بوستكيت الحديثة(والمراسيم والموافقات الملكية الاشـورية الجديدة) ستوديا بوهل سلسلة مايور ١٩٦٩/١ ،صص ١١٥-١١٧ من غير ترجمة للنسخة القـديمة الموجودة لدى ج.كوهلر و أ.او نكناد ،اسيريشـه ريختسور كوندن (وثائق اشورية صحيحة) رقم ٣ لايبزك ١٩١٣.

٤١- اي.انكر (لوح بيل حرّان -بيل- اوصور).

(منشورات متحف الامبراطورية العثمانية) رقم ٣، ١٩١٧.

٤٢- او- اي تيشوريك ،بعض المنحوتات الصخرية البـارزة الجديدة في تركيا (دراسات اناضولية) ٢٥/ ١٩٧٥ ص ١٦٩ ولاسيما ص ١٨٠.

٤٣-ف.ثورو-دانكن ،تل بارسيب،باريس ١٩٣٦ ص ص ١٤٢-١٥.

٤٤- تيشوريك ،م،ن، ص ١٨٠.

٤٥- ف،هـفاليسيا خ (مسلات بابلية منقوشة) رقم ٤ لايبيزك ،١٩٠٣.

٤٦-معلومات من ورقة عن تنقيبات حديثة على الفرات في العراق قرأها م.روف M.Roaf في الماتقى العالمي للاشوريات التاسع والعشرون لندن ١٩٨٢ .

٤٧- اقتراح بديل لقراءة هذا الاسم هو (مدينة كباري الثاني).

٤٩- ابلاداد ،حرفياً ابن اداد، الذي يعرف انه عُبد في الفرات الاوسط في القرون الثامن الى السادس قبل الميلاد ولاسيما في مدينة كانو.انظر اي يبنيسـكي ،ابلاداد في اورينيتاليه ٤٥/ ١٩٧٦.

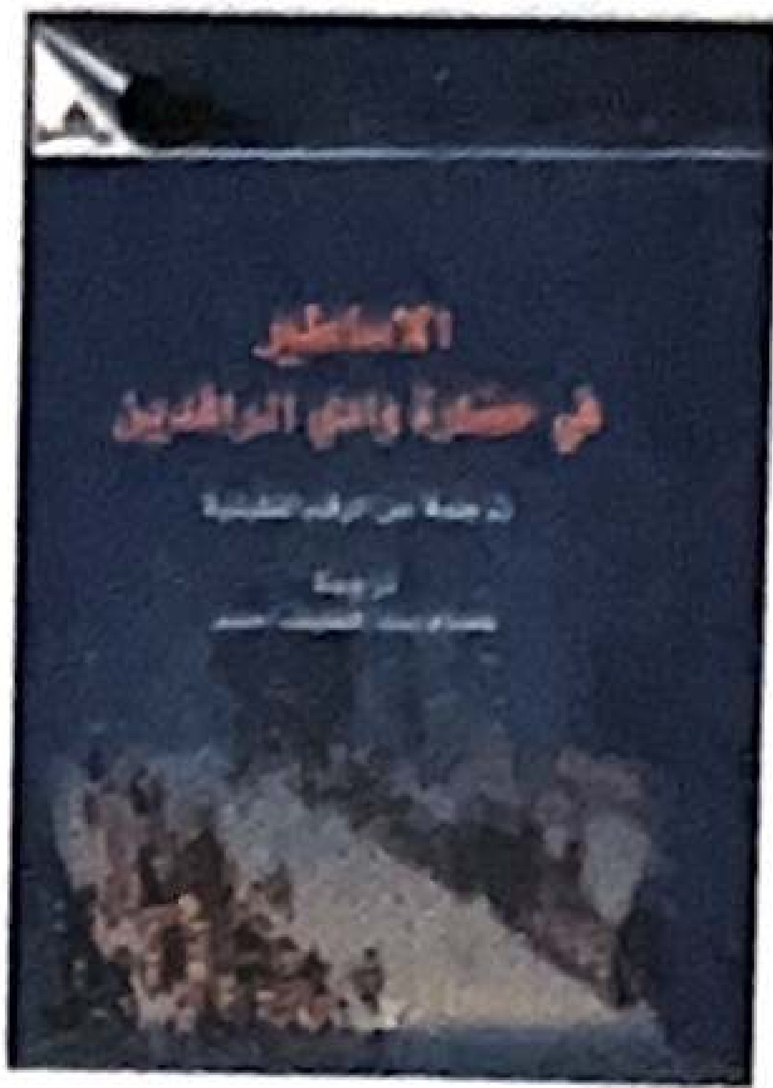
٥٠- الفعل هنا دخيل من الارامية في الاكدية انظر فون ،سودن، اورنتاليا السلسلة الجديدة ٤٦ ،ص ١٩٢.

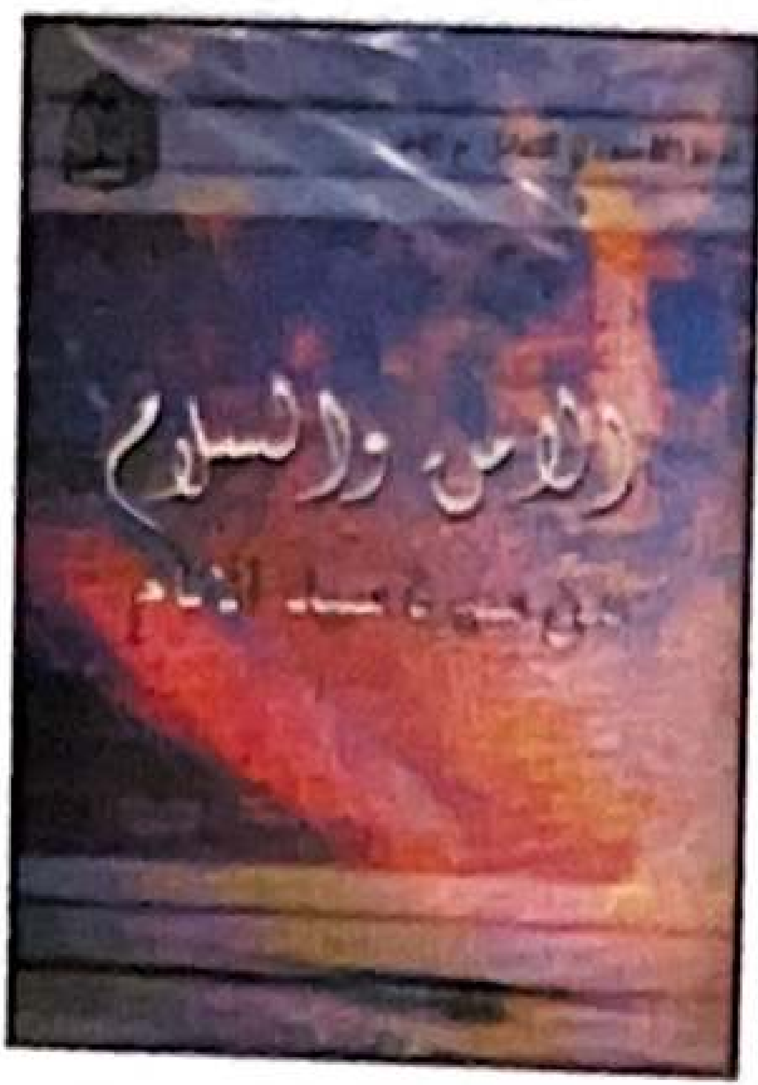
٥١- هذا المعنى مأخوذ بالاتصال بقاموس شيكاغو الاشوري،هارو Haru ،كانت ماري مشهورة باشجار الصفصاف في زمن شمشـي-ادد الاول الذي كتب الى ابنه في ماري ارشيف ماري الملكي ٩٨ I ،حين مكثت هناك لاحظت هناك اشجار حورسمكها ٣ مع اكالو وارتفاعها ١٠ اذرع .. اقـطع لي ٢٠ او ٣٠ من مثل اشجار الصفصاف هذه وارسلها لي بالسفينة .

٥٢- تؤخذ اراتي Arati شكلاً من اريتوم، وهي كلمة من ماري البابلية القـديمة بقيت بتغيير اصوات العلة بعد ١٢٠٠ سنة .

٥٣-ترجمة هذه العبارة مشكوك فيها. فيبدو انها تعني ان القصركان يقع اسـفل الجدول حيث لاتوجد اشجار لئلا يمكن مهاجمة القصر باستعمال الاشـجار غطاءً .

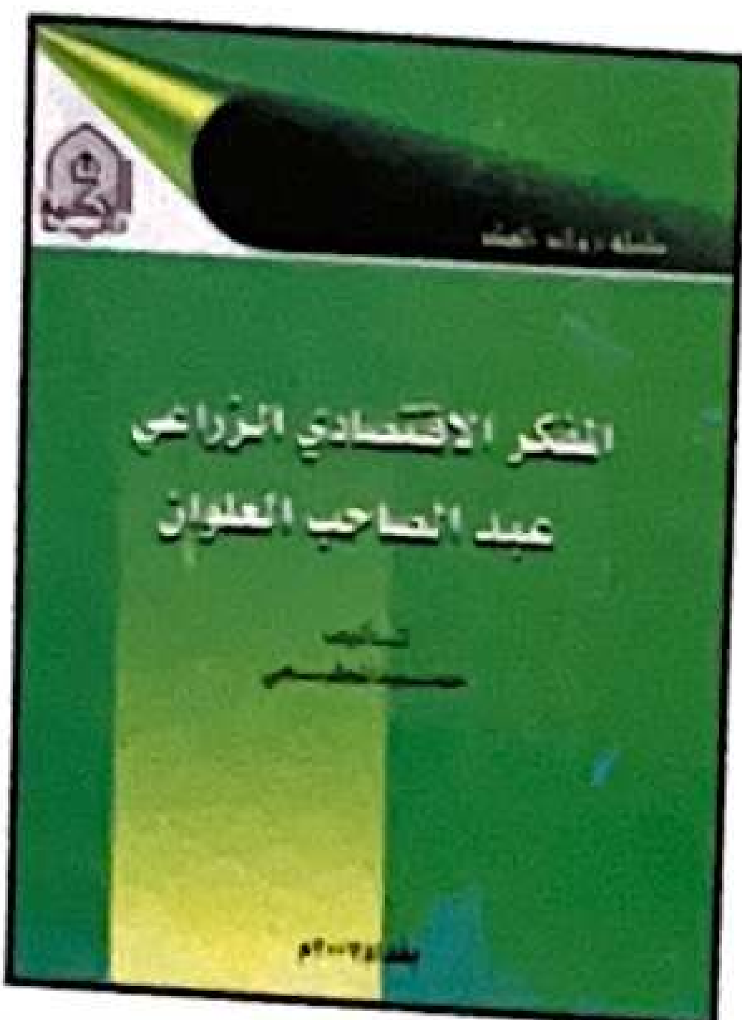
٥٤- ربما وجدت دور يور بوس في شكل قرية أو مدينة صغيرة اسمها دامارا في زمن زمري ليم،ولكنها كانت ذات اهمية قليلة .







اصدارات بيت الحكمة







هذا الكتاب

(ماري وكارانا: مدينتان بابليتان قديمتان) المنشور اول مرة في ١٩٨٤ في لندن ونيويورك، دراسة مفصلة عن جوانب من الحياة في بلاد الرافدين: في مدينة ماري، الآن في الجانب السوري، وكارانا، الآن في الجانب العراقي. ويتمثل ذلك في تصوير حياة بعض اعضاء العوائل الملكية والرجال والنساء الذين كانوا في خدمتهم ونوع الاعمال التي كانوا يقومون بها. وتصور مآكل الناس ومشاربهم. ووسائط النقل التي كانوا يستعملونها، ومعتقداتهم وعباداتهم وممارسة تلك العبادات والايمان والقرابين وتقاليد دفن الموتى. وتبين ذلك دور النساء الملكيات ونساء عامة الشعب واعمالهن ومراكزهن في المجتمع والدولة. وكذلك الحرب والدبلوماسية والمعاهدات التي كانوا يعقدونها والخدمة العسكرية وتعداد السكان، وقصورهم وفنونهم.

■ بيت الحكمة/ جمهورية العراق- بغداد

■ هاتف/ ٤١٤٠٠١٥/ ص ب ٥٣٦٤٠

■ Email:baytal_hikma@yahoo.com
info@baytulhikmairaq.org

■ رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ٢١٦ لسنة ٢٠٠٨

■ المطبعة الوطنية/ هاتف ٨٨٦٧٩٣٧

■ تصميم الغلاف/ هدى عيدان الجبوري